كتـــاب

رسائل الخوارزمي

تأليف

أبو جعفر محمد بن موسى الخورازمي

Abu Ga'far Mohamed Bin Mousa Al-Khuwrismi

تصحيح

محمد قطه العدوي

Mohamed Qutta Al-Adawi



كتاب رسائل الخوارزمي

الطبعة الاولى

تصحيح ومقابلة الشيخ

محمد قطه العدوي

طبع بمطبعة

عبد الرحمن رشدي بك

سنة ١٢٧٩

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين هذه رسائل الاستاذ أبي بكر الخوارزمي رحمه الله تعالى

(كتب)

(الى الحاجب أبي اسحق لما نكبه الوزير ابن عباد رحمه الله تعالى)

وفقك الله في مراجعة الحق لما تستحق به انتهاء محنتك وألهمك في استيفاء شرائط التوبة ما يطرق لك النهوض من صرعتك ولا خلصك الله مما أنت فيه من جناية غيرك عليك حتى يخلصك مما كنت فيه من اساءة نفسك اليك فان نفسك أعظم خصميك وان كانت أصغرهما لديك وقد مثلت أيدك الله بين أن أحرش لك كلامي وأفوق نحوك سهامي وأقضي بذلك حق عظتك وأخرج من عهدة ما يلزمني في هدايتك وبين أن الين مس قولي لك فتبقى في نفسي حاجة من نصيحتك فرأيت الاول على أوجب والى الصواب أقرب هذا وأنا أقول

أخوك الذي ان أجرضتك ملمة * من الدهر لم يبرح لها الدهر واجما

ولا أقول

ولبس

وليس أخوك بالذى ان تشعبت ● عليك أمور ظل يلحاك لائما

أصاب المرقش أيدك الله فى بيت الواجم ولم يصب فى بيت اللائم وكيف يهدى الطريق لرشده فى غده دون أن يلام على غيه فى أمسه وكيف يتوصل الى تحسين الصواب الآنف الا بتقبيح الخطا السالف وكيف لا يلام المسئ والنهى عما بعد يقتضى اللوم على ما قبل وكما لا بد فى الكلام من الاثبات والنفى كذلك لا بد فى العظة والنصيحة من الامر والنهى فاللوم اذا على هذه القضية أجدر اذ كانت النصيحة التى عليها قامت وبها استقامت وهل يلوم المرء الا اخوانه الاقارب وهل يرخى له عنان العذل ويتجوز معه فى اللوم الا معارفه الاجانب واذا فرغت للحق زاوية من قلبك وحكمت على هواك لعقلك علمت أن ما تكرهه فيما تحب خير لك مما تحب فيما تكرهه وأن دواء تستبشعه وفيه شفاؤك خير من غذاء تستلذه وفيه داؤك ولئن كان ظاهر كلامى يلذعك فان باطنه لينفعك أنت أيدك الله تعلم أنك كنت من الذل فى مكان يتخطاك الناظر ويدوسك الخف والحافر لا يشرفك نسب ولا يرفعك أدب ولا يرجوك صديقك ولا يخافك عدوك عن يمينك الخمول وعن يسارك الذبول وبينهما الفقر الذى لو قسم على الاغنياء لصاروا فقراء والضعف الذى لو فرق على الاقوياء لعادوا ضعفاء تصبح فى قل وتمسى فى ذل وتروح الى أنثى وتغدو الى طفل فأنصفك الدهر الظالم وانتبه لك البخت النائم وأراد الله تعالى أن يرفع من حكمتك ويقوم من حدبتك فينظر كيف تعملون والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فاتصلت من ولى نعمتك برجل لو اتصل به الادبار لتقدم الاقبال ولو خدمه النقص لفضل الكمال ولو تعرف اليه الجماد لنطق بجده ولو استجار به أمس الدابر لرجع بسعده فما هو الا أن نسبت اليه وحسبت فى آثاريه حتى قاتلت الايام بسلاحه وطرت الى المنى والمطالب بجناحه وحتى طمحت الى أمور كنت عنها مصروفا وخطوت الى أشياء كنت عنها مقطوفا

ومثل الذى نلته حافيا ● يؤثر فى قدم ناعل

وحتى زارك قوم لو زرتهم فيما قبل لطال وقوفك بين الدار والباب وتكثر ترددك بين الاذن والحجاب وخدمك أناس ما منهم أحد الا وقد لاحظته بعين هائب ونقلت اليه قدم راغب أو راهب هذا الى استسلامه لك من الردى بيد الهدى واخراجه اياك من ظلمة العمى والتقليد الى نور العدل والتوحيد فلزمك ولاؤه مرتين وأحاطت برقبتك نعمته من جهتين لانه أنقذك من النار كما أنقذك من العار وأعتق رقبتك من اسار الضلال كما أعتقها من ذل السؤال فكانت نعمته عليك مضاعفه وصنيعته اليك متداخله وكل ذلك بعين احسان الله تعالى يمد نفيس احسانه اليك لتؤدى زكاة الاحسان وترتهن الصنيعة باليد واللسان وتريك يقظان ما تحتلم وسنان ويزف اليك من أبكار الصنع ما لم تخطبه بهمتك ولم تستوجبه بقيمتك الى أن أصلح عليك الدهر الطالح وملكك عنان البخت الجامح وأنت سكران من خمر اليسار والغنى غريق في لجج المطالب والمنى لو طلبت النجم لرقيت اليه بسلم معك أو طرت نحوه بجناح لك والاقبال يستر عيوبك والامهال يغفر ذنوبك ولا ستر أكثف من اقبال ولا شفيع أنجح من امهال والدولة تجعل البعيد قريبا والمدبر المخطئ مصيبا والمجدود يمس بيديه ما لا يراه المحدود بعينيه ويتناول قاعدا ما لا يتناوله غيره قائما ولا رسول أسرع من دهر ولا مستحث أوحى من يسر بلا عسر فلما جازيت النعمة بالكفران ونسيت هل جزاء الاحسان الا الاحسان نظرت الايام اليك شزرا وبدلتك باليسر عسرا فأصبحت تلك البوارق وهي صواعق واستحالت تلك المواهب وهي مصائب وتقاضاك دهرك ما أسلف واستأنف بك خلاف ما سلف والدهر غريم لا يماطل اذا اقتضى وحاكم لا يراجع اذا قضى ومعير اذا لم تحفظ عاريته ارتجع ومعط اذا لم تشكر عطيته منع ومؤدب اذا لم يتعلم منه عاقب واذا تعلم منه أدب وهذب على أني ما رأيت معلما أحسن تعليما من زمان ولا متعلما أسوأ تعلما من انسان فها أنت قد ذمك حامدك ورحمك حاسدك واحتقبت

اوزار

أوزار الندامه ورضيت من الغنيمة بالسلامه وكانت الايام تعدنا بك فأوعدتنا فيك وخلف ليل الشك نهار ووراء سكر النعمة خمار فأنت الآن على دواؤه التوبه وبريح شفاؤه الرجعة والفيئه فان ثبات توبتك فقد انقطعت مدة الداء وظهرت بركة الدواء وان تكن الاخرى فربما قد أخلف الدواء شاربه وخان الرجاء صاحبه فيا طبيب نفسه ارفق بها ويا مداوى جراحه الطف بها واعلم أنه قد كان شكر الرخاء أهون من مصابرة البلاء وكان حفظ الصحه أيسر من معالجة العله ولو وجدتك العافية من أكفائها لما طلقتك ولو رأتك النعمة من رفقائها لما فارقتك وأقل ما كان يجب لصاحبك عليك أن لا تستعين بنعمته على كفران نعمته ولا تكتب حسنته فى جريدة سيئته ولا تسل عليه من لسانك سيفا يده صقلته ولا تشرع اليه من كلامك رمحا يده قومته

لقد جازيت بالاحسان سوءا * اذن وصبغت عرضك بالسواد
ورحت تسوق عير الكفر حتى * أنخت الشرك فى دار الجهاد

يا أيها الرجل وكلكم ذلك الرجل كم تهتكون حجب العوارف بيد الكفران وكم تصافحون النعم بالبغي والعدوان وكم تفضون ختام العافية بالغدر وكم تسترون الخيرات بقلة الشكر وكم لا تبرزون الصنائع فى معرض من حسن الذكر ولا تقلدونها حلية من طيب النشر وكم تتبعون الوفاء بالملق وتنادون على الامانة كما ينادى على الثوب الخلق وكم تقبحون فى النعم وتحسنون فى النقم وكم تجهلون ما عرفه الحطيئة مع خبث مذهبه ولؤم مركبه حيث يقول

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

اعلم أن كفران النعمة لو أحله الشرع لحرمه الطبع ولو جاز من طريق الملة والديانه لحظر من طريق المروءة والصيانه فان للمحسن من الله عينا كالئة لا تنام وان وراءه من واقية الاحسان ركنا منيعا لا يرام ومن تقلد نعمة الله من انسان فقد ضمن له عهده وصار فى حكم الاحسان عبده واذا خدم غيره وهو

قوله وربما الخ فى نسخة فقد ربما قد قيل اخلف الخ اه

حتى فقد شأن الاول فى نعمته وغش الثانى بخدمته وهل يبرأ العليل بين طبيبين وهل يسع الغمد سيفين وهل ينطق لسان واحد بشكرين أو يتسع قلب واحد لمحبة اثنين ولهذا الشأن طلقت الناس ثلاثا وفارقت المدح بتاتا لما وردت من الوزير على من خدمة غيره تذكرة ليس لها غفران وسيئة لا يمحوها احسان فلما رأيته علمت أن الايام قد خبأته لى ذخرا وأعدته لى عذرا وأراد الله تعالى أن أعاشر الناس حزنا وتذللا وأجوب البلاد حزنا وسهلا حتى اذا جبت الآفاق وقلبت الاخلاق وصارت الارض فى عينى دارا هجم بى السعد على حسنة الايام وغريبة الانام ونصفة الدهر الظلوم ومكرمة العالم اللئيم فاذا هو ضالة رجائى الحائم وبغية قلبى الهائم نختمت به جريدة المدح والثناء وأغلقت باسمه باب الاستماحة والرجاء وقصت له مغاليق فكرى ودفعت اليه مقاليد نظمى ونثرى وأقطعته لسانى غير منقطع ووهبت له قلبى غير مرتجع ونظرت الى أبى الطيب والى تناقض حكمته وتفاوت طرفى فعلته حيث قال فى سيف الدولة

لا تطلبن كريما بعد رؤيته * ان الكرام بأسخاهم يدا ختموا

ثم قال فى كافور الاخشيدى

قواصد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا

فلقد باع من الوفاء علقا خطيرا واعتاض من الطمع ثمنا يسيرا وحال ضباب الحرص والرجاء بينه وبين العهد والوفاء وكان يضايق نفسه فى اختيار المتاع ويسامحها فى اختيار المبتاع ويخلع خلعة من نظمه تساوى بدره على عرض من لا يساوى بعره ويزف كريمة من كرائم شعره الى من لم تقم عنده كريمه ولم تعرف له قيمه لو رأى الطمع فى جحر فأرة لدخله ولو أتاه الدرهم من است كلب لما غسله فلا جرم أن الناس كما استحسنوا قوله استقبحوا فعله وكما أعجبوا بشعره تعجبوا من غدره يشكر ثم يشكو ويمدح ثم يهجو ويشهد ثم يجرح شهادته ويعطى ثم يسترجع عطيته وكم من حر فضله ثم ثلبه وكم من عرض كساه ثم سلبه وكم من صحفة أكل منها ثم

يصق

يصدق فيها ولكن في قميص أبي بكر رجلا اذا أعطى لم يرتجع واذا طلق لم يراجع واذا بنى لم يعد على بنائه بالهدم واذا مدح لم يطأ على عقب مديحه بالذم واذا طيب فكيه بالمدح لكريم لم يلطخهما بمدح للئيم واذا نتج كرائمه كفوا جيبهن أن يتبرجن للاديه ويجتليهن غير عينيه وانما الغدر من أخلاق النساء فمن تعلق بطرف منه فقد رغب بنفسه عن كمال الذكران وجذبها الى شق النسوان وهو اذن مخنث من حيث الخلق غير مخنث من حيث الخلق وقد يصلح الانسان خلقه ولا يمكنه أن يغير خلقه فالغدر اذن على هذه القضية هو التخنيث الاكبر والتأنيث الاعم الاكثر والوفاء حمية القلب كما أن التوقي من الطعام والشراب حمية الجسم وثبات الحمية من قوة الحميه وحفظ العهد من شرائط الرجوليه واني لاعجب ممن يعادي المقبل والله معه والايام مدد له وداعية الجد خلفه وقدامه وقد رأيت ما صارت اليه مصارع أعداء هذه الدوله وختمت به أحوال حساد هذه النعمه فقد غمزوا قناتها وقرعوا صفاتها فاخترموا واصطلموا فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا طافت الايام على الوزير بعنا ياهم فأبقاه الله تعالى وأفناهم ولم يزل نقمهم يحارب كماله وادبارهم يزاحف اقباله حتى أجلت معركة العواقب عنه راضيا وعنهم ساخطين وأقشعت غبرة الايام والليالي عنه قائما وعنهم مصروعين

فلو لم تبق لم تعش البقايا * وفي الماضي لمن يبقى اعتبار

عافاك الله امش مع الدهر كما يمشي واجر مع الفلك كما تجري وارفق بمن رفعت الايام به وارع لمن رعت السعادة له ولا تزاحم الفلك الدوار ولا تناطح الاقسام والاقدار ولا تصغر الكبار ولا تحكم على الدهر فان الدهر حاكم لا يحكم عليه ومسلط لا يؤخذ على يديه وانزل حيث أنزلك الاستحقاق وخذ ما سمحت به لك الارزاق ولا تجلس على طريق السيل الراعب ولا تطعن في نحر القضاء الغالب ولا تحارب جيش السعد ولا تطاعن حد الجد ولا تستسلف أجلك ولا تتناول ما لم يوضع لك واحذر قوس الخذلان فانها نافذة الرميه صريعة الرميه قد والله أوجعت بهذا العتاب قلبك وجاوزت

بالعقاب ذنبك ولكنى عاتبتك لك وحاربتك عنك رجاء أن يستخشن مس هذا الكلام لك ويستحسن تألم وقع هذه السهام بك ولولا ذلك لم أذقك مرارته ولم أعرض لطيف ما بينى وبينك له وما أغتم لك من الحبس وروعته ولا من الهوان ولذعته كما أغتم من نظر ولى نعمتك اليك ووقوع بصره عليك وقد قعدت تحت أعباء بره وقابلت احسانه بكفره وزرعت منك النعمة فى بقعة لم تزد ريعا ولم تجلب نفعا فأنا أبكى لك من يوم اطلاقك لا من يوم حبسك وأتفكر فى ساعة سعدك لا فى ساعة نحسك فقد شغلنى الخجل عن الوجل ونسيت لقبح الموقف الثانى هول الموقف الاول فلا اغضاضة عليك من امتداد يد الدهر اليك

فان أمير المؤمنين وفعله * الكالدهر لاعار بما صنع الدهر

(وكتب)

(الى كثير بن أحمد لما هرب من الامير أبى الحسن)

كتابى الى الشيخ وأنا فى خمار شر بى من يد الدهر فقد كانت بشعة الخمر طويلة السكر قليلة النفع كثيرة الضر والحمد لله تعالى على حفظه على الدين وان ذهبت الدنيا وعلى أن صودرت على المال لا على العرض والتقوى وصلى الله على محمد خير الورى خرجت أيها الشيخ من نيسابور وأنا زاملة شكر وثناء وجمال مدح ودعاء وقتيل خجل وحياء اذا تفكرت فى كثرة أعدائى وقلة شفعائى وفى ضعف أعوانى وقوة خصمائى ثم نظرت الى وقد خرجت من تلك الغمه وشققت رداء تلك الظلمه موفر الحال والمال صحيح العرض والجمال لم تنشب فى أظافير الفقر ولم ينفذ فى حكم الدهر علمت أن الشيخ قصر عنى يد المحنة وهى طويله وصرف عنى ولاية النحوس وهى بسيطه ولو بلغه غاية مراده امكانه وساعده على نيته فى زمانه لحجب صروف الدهر عن فنائى ولقام بين الحوادث وبين لقائى عرف الله تعالى له نيته وبلغه فى الدنيا والآخرة أمنيته ولازالت نعم الله تعالى عليه ضافيه وأيامه من الغير صافيه ولازال كما لم يزل عليه رقيب من عدله ومعه وزير من عقله

وله

وله مادح من فضله وطوله ووراءه واق من قوله وفعله فلعمرى لئن كنت أشكر لمن وهب لى مالا انى لمن وهب لى روحى أشكر ولئن توفر على افضال من أغنانى ان افضال من استبقانى ولوشاء لافنانى أوفر فقد جادت على الملوك بالصلات وجاد على ذلك الامير بالحياة فهنا ما الله بهذا الشكر الغريب وهذا الثناء العجيب وذلك انى أشكر الملوك على انهم أغنونى وأشكره على انه لم يفقرنى وأمدحهم لانهم أحيونى وأمدحه على انه لم يقتلنى وأعتد لغيره أن بذل لى كل خيره وأعتد له أنه كف عنى بعض شره والشكر على قدر الاحسان والسلع بازاء الاثمان والسلام

(وكتب)

(الى محمد العلوى من الرى فى هذه المحنة)

كتابى أطال الله بقاء سيدنا من بعض مطارح الغربه ومساقط النكبه فانا فل من فلول هذا الزمان لابل فل من فلول هذا السلطان والحمد لله على سلامة الروح والمهجه وان كانت سلامة ضعيفة المنه رقيقة الكسوه ثقيلة الحركه قليلة البركه ليس بينها وبين الهلاك الا أقرب من خطوه وأسرع من لحظه ذكر الشوق فيما بينى وبين السيد رجيع من القول وكانة من كاف العقل والفضل على أنى والله مشتاق اليه شوقه الى ابتناء العلا ومشتته للقائه شهوته لبذل الندى أذكره وان كنت لا أنساه وألقاه بقلبى وان كنت لا ألقاه وأسأل الله تعالى أن يريناسلامته سليمه واستقامة أحواله مستقيمه فلا شئ أحوج من السلامة الى السلامه ولا الى الاستقامة من الاستقامه وأن يجعل أقسام صنعه لديه متقاطره واحساناته اليه متناصره مترادفة ومتلاحقة متوالده قد رأى السيد ما كان من العلانية حين فوقت نحوى سهامها ونشرت لحربى أعلامها وتسلحت على بالسعاية وهى سلاحها الذى به تقاتل ويدها التى بها تطاول والسعاية سلاح من لا سلاح له والنميمة كيد من لا كيد عنده وشر من الساعى من أنصت له وشر من متاع السوء من قبله فلما رأيت بينى وبين

الموت جبارا رقيقا وحجرا ضعيفا دقيقا ورأيت نفسي قدا كتنفها أربعة أشياء ما منها شئ الا وهو يقرب عليها مسافة الممات ويقطع عنها علائق الحياة خصم فاجر وسلطان جائر وبخت عاثر وزمان غادر آثرت الغربة على وطن معه أذى واخترت الظمأ على شراب فيه قذى وفارقت دار الهوان والحمية تتبعني وعزة النفس تشيعني ولي من الصيانة رفيق وزميل ومعي من العزم هاد ودليل وليست تبعد على العزم مسافه ولا تصعب على الارادة شقة ولا مشقه وما علمت أني أعيش حتى أصادر على اللسان وأسلف الشكر قبل الاحسان وقد كنت رأيت حاكما يحجر على يتيم أو معتوه في وفره ولم أر أميرا يحجر على كاتب في كتابته أو على شاعر في شعره وانما الشكر أيد الله السيد فرس جامح ان منع عن سننه قطع أرسانه واستلب عنانه فشق به سائسه وهلك معه فارسه والشعر يتقلب مع الجود حيث كان ويرتاد المعروف والاحسان وانما هو ماء سارب بل سيل راعب اذا سد عليه طريقه خرق في الارض خرقا وجعل لنفسه طريقا بل طرقا وما أشبه من أكره الالسن على مدحته الا بمن أكره القلوب على محبته

يحب المديح أبو خالد * ويفجر من صلة المادح
كبكر تحب شديد النكاح * وتفرق من صولة الناكح

(وكتب)

* (الى تلميذ له فوض اليه أشغاله) *

كتابي هذا ولو استقبلت من أمري ما استدبرت وقدمت من رأيي ما أخرت لما أمضى فينا الفراق حكمه ولا أنفذ فينا سهمه ولاقتنا جميعا أو رحلنا معا واني لاظلم الفراق اذا شكوته واتعنف الدهر اذا هجوته وبيدي ضرباني ومن سهمي رمياني فانا كالقاطع يده بيده والفاجع نفسه بنفسه ومطرق الفراق الى قلبه ومتجرع غصص البين وكربه

أطوي المنازل عن حبيبي دائما * وأظل أبكيه بدمع ساجم
هلا أقمت ولو على جمر الغضا * قلبت أوحد الحسام الصارم

ما تذكرت

ماتذكرت تلك الايام التي سلبتنيها الدهر بل سرقتنيها وغبنني بل دلس علي فيها وكانت أرق من حاشية البرد وأحسن من طلوع السعد وأحلى من انجاز الوعد واعذب من القند بل من النقد وأعبق من الورد وما أردت الاورد الخد بل من المسك والند وأطيب من القرب بعد البعد ومن الوصل في أثر الصد بل كانت أرق من نسيم الزهر في السحر ومن قضاء الوطر على الخطر بل كانت أقصر من ليل السكارى أونهار الحيارى الا أكات الوجع وشربت الجزع وانثنيت على كبدي خشية أن تتقطع

ولو أنني أعطيت من دهري المنى * وما كل من يعطى المنى بمسدد
لقلت لايام مضين ألا ارجعي * وقلت لايام أتين ألا ابعدي

(وله)

البستان قد وعدتني ياسيدي اقامة وظيفته بالشجر وبالنور والزهر وأنت ياسيدي بالانجاز قمين ووفاؤك به ضمين وذلك المكان مرتع ناظري ومتنفس خاطري ومجال بصري ومدار فكري ومنهلي اذا شربت ومحدثي اذا خلوت ومسلاتي اذا اغتممت وشمامتي اذا اشتممت وما ظنك بمكان ليست فيه زاوية الا وقد صب علي فيها كاس بل طاس وشرب عليها انسان بل اناس ونام في حافتها وجه صبيح وتقلب في أطرافها قد مليح وكأني بك وقد عرضت هذا الفصل على الناس فظنوا أني أصف بستان الزاهر أو دار ابن طاهر أواذكر الجعفريه أو البركة المتوكليه أو أعني سغد خراسان أو شعب بوان أو أنعت نهر الابله أو متنزه الغوطه أو شعب انطاكيه ولا يعلمون أني انما أذكر بقيعة طولها باع وعرضها ذراع أعني باع البقه وذراع الذره وأقل من لا وأصغر من الجزء الذي لا يتجزى لو طارت عليها ذبابة لغطتها أو دخلتها نملة لسدتها تسقى بالسعط صباحا وتنكت بالخلال مساء أشجارها مائة الا تسعة وتسعين وانهارها خمسون الا تسعة وأربعين واني لشاعر اذا أحس من لسانه بسطه ووجد في خاطره فضله وأصاب من القول جريانا ووجد ميدانا قال ما وجدت بيانا وما ظنك بقوم الاقتصاد

محمود الامنهم والكذب مذموم الافيهم اذاذموا ثلبوا واذامدحوا سلبوا واذارضوا رفعوا الوضيع واذاغضبوا وضعوا الرفيع واذاأقروا على أنفسهم بالكبائر لم يلزمهم حد ولم تمتد اليهم بالعقوبة يد غنيهم لايصادر وفقيرهم لايحتقر وشيخهم يوقر وحدثهم لايستصغر وسهامهم تنفذ فى الاعراض اذانبت السهام عن الاغراض وتصل الى البعيد كماتصل الى القريب شهادتهم مقبولة وان لم ينطق بها سجل ولم يشهد بها عدل وسرقتهم مغفورة وان جاوزت ربع دينار ولو بلغت ألف قنطار ان باعوا المغشوش لم يرد عليهم وان صارموا الصديق لم يستوحش منهم بل ماظنك بقوم هم صيارفة أخلاق الرجال وسماسرة النقص والكمال بل ماظنك بقوم اسمهم ناطق بالفضل واسم صناعتهم مشتق من العقل بل ماظنك بقوم هم أمراء الكلام يقصرون طويله ويخففون ثقيله ويقصرون ممدوده ولم لا أقول ماظنك بقوم يتبعهم الغاوون وفى كل واد يهيمون ويقولون مالا يفعلون

(وله)

(الى تلميذ قطع فى مجلس أدب وكابر واختلط فيه)

بلغنى انك ناظرت فلما توجهت عليك الحجة كابرت ولما وضع نير الحق على عنقك ضجرت وتضاجرت وقد كنت أحسب أنك أعرف بالحق من أن تعقه وأهيب لجلباب العدل والانصاف من أن تشقه كانك لم تعلم أن لسان الضجر ناطق بالعجز وأن وجه الظالم مبرقع بالقبح وأنك اذا استدركت على نقد الصيارفه وتتبعت خطأ الحكماء والفلاسفه فقد طرقت الى عيبك لعائبك ونصرت عدوك على صاحبك وقد عجبت من حسن ظنك بك وأنت انسان والله المستعان

(وكتب)

(الى أبى عمر المنكدرى وزير صاحب جرجان)

وعد الشيخ يكتب على الجلمد اذا كتب وعد غيره على الجمد ولكن صاحب الحاجة

الحاجة سيء الظن بالايام مريض الثقة بالانام لكثرة من يلقاه من اللئام وقلة من يسمح به من الكرام وفلان قد نفض عندى غرارة شكره واستعان بي على تحمل ما أثقله من أعباء بره فاعلمته أنى أثقل منه بنعمة الشيخ ظهرا وأضيق منه بما لزمنى أداؤه صدرا وأنشدته شعرا

أعيني هلا اذ كلفت بها * كنت استعنت بفارغ العقل

أقبلت ترجو العون من قبلى * والمستعان به لفى شغل

ثم انى تذممت أن أرد اخوانى فى ماعون طلبوه من لسانى فاصحبته هذه الاحرف والشيخ يلاحظه بالزيادة حلاوة الشكر ويعرفه فعلا لا قولا حميد عاقبة ما أفاض فيه من طيب النشر فمثله عرف الشاكرين الصنعه ونفق بينهم هذه السلعه

(وكتب)

(الى صاحب ديوان الحضرة وقد طولب أبو بكر بحضور الديوان فلم يفعل)

هذا أطال الله بقاء الشيخ الرئيس حال نيسابور وأهلها بل حالى وحال الاحرار فيها

وأصبح أقوام يقولون ما اشتهوا * وغاب أبو عمرو وغابت رواحله

وقد كنت آوى من الشيخ أيام مقامه بهذه الجنبة الى كنف رحب وجناب خصيب وباب واسع ونائل شائع ووجه اذا نظرت اليه قرأت نسخة الكرام فى وجنتيه تلمع آثار الكرم بنور أساريره وتعرف بشرى النجاح فى تباشيره وفم يبشرنى بابتسامه قبل أن يبشرنى بكلامه ويجيبنى بالنجح باشارته قبل أن يترجم بعبارته واذا رأيته رأيت بختى قد أقبل الى فى معرض الكمال وطالع سعدى قد اطلع على بنيل الآمال عن يمنى الجمال وعن يسارى الجلال فأغدو الى بابه يقدمنى الامل والرجاء وأروح عنه فيشيعنى الشكر والدعاء وأحمل حوايجى منه على جبل الجود الذى لا تحركه المطالب ولا تثقل عليه الرغبات والرغائب بل على بحره الذى لا ينزفه الاستقاء ولا تكدره الدلاء ولا يرى قعره ولا يدرك غوره وانما يصبر على حوايج الناس ويلتذ سمعه

باستماع صوت رحى الاضراس من ولد في طالع السخاء وغذي في حجور الكرماء وقرع سمعه منذ صباه بأصوات الادباء والشعراء ومرن على البذل والعطاء

والثقل ليس مضاعفا لمطية * الا اذا ما كان وهما بازلا

حتى اذا ما كادت غصون آمالي ترف بعدما يبست ووجوه مطالبي تضحك بعد ما عبست رمتني الايام بفراق الشيخ فأخدج رجائي الحامل وجف ضرع أملي الحافل وسكت لساني القائل وفترت فتور التاجر بارمتاعه وغاب مبتاعه وخجلت خجل أبي البنت زهد فيه أختانه وضحك منه جيرانه وردت عليه بكره وسيق اليه مهره وقلت لو أراد الله بالادب خيرا لما غاب من كان يجمع شمله ويكرم أهله ويعرف فضلهم وفضله ولو انصفت الادب بعد غيبة الشيخ لرثيته مرثية الاموات ولاقت عليه مأتم الممات ومحوت اسمه من جريدة الحياة هذا وقد وردعلى عمل الخراج من لا أطريه بجرمه ولا أتناوله بطرف ذريعة أووسيله وكاني به وقد حشدني في جملة العامه وأدخلني في غمار سائر الرعيه وأوقفني على جسر قدامه الخسران وخلفه الهوان وفجعني بدريهمات جمعت بتقحم المهالك واختراق المسالك والممالك ودنانير قطعت القفار وخاضت البحار وناطحت الحوادث والاقدار فان بذلتها أبرزت وفراطالما كان مخزونا وان منعتها ابتذلت عرضا لم يزل مصونا على أني أحمل على الجمال التجمل وأوثر البذل على التبذل وأنشد شعرا * حنانيك بعض الشر أهون من بعض * وما أيسر دواء هذا الداء لوطاوعتني نفسي العاصيه وتابعتني رجلي الآبيه فدخلت الديوان وصانعت الزمان وفتحت جراب النفاق والرياء وأغلقت باب الحفاظ والوفاء ولكن النظر الى عين الشمس أيسر علي وأهون على عيني من أن أنظر الى هذا الصدر وقد جلس فيه غير ذلك البدر واني لاغار على الكرم كما يغار على المحرم وأبخل بالمراتب كما يبخل غيري بالمكاسب وأستحيي لعيني أن أقصها على الصغير وقد جاس مجلس الكبير لا ابتلاني الله بمجالس الغيره

ولا

ولا أفاوض في مقامات الغم والحيره فان ابتلائى بذلك وجدنى ضيق ساحة الصدر قريب غور الصبر كثير المباراه قليل المداراه هذا أطال الله بقاء الشيخ حالى فهل لى عنده فرج ارتجيه أو نظر أتجمع فيه وهل يحرك لفظة من ألفاظه أو لحظة من ألحاظه يرد بها على وجهى ما نضب من مائه وعلى عرضى ما ذهب من بهائه ولعمرى ان حاجتى الى الشيخ فى هذا الدراج صغيرة ولكنى لا أستصغر منه يسيرا كما لا أستعظم منه كبيرا واعلم أن الحر يسع الدقيق بفطنته والجليل بهمته وان أبطأ عنى كتابه بالفرج خشيت أن يسرى فى السم العربطى الى أن يصل الى الترياق البطى أعوذ بالله من أن يكون دائى نقدا ودوائى وعدا

(وكتب)

(الى رئيس طوس يعزيه فى شقيق له)

كتابى عن سلامة وما سلامة من يرى كل يوم ركنا مهدودا ولحدا ملحودا وأخا مفقودا وحوضا من المنية مورودا ويعلم أن أيامه مكتوبه وأنفاسه محسوبه وأن شباك المنايا له منصوبه اف لهذه الدنيا ما أكدر صافيها وأخيب راجيها وأغدر أيامها ولياليها وأنغص لذاتها وملاهيها تفرق بين الاحبة والاحباب بالفوات وبين الاحياء والاموات بالوفاة وورد على خبر وفاة فلان فدارت بى الارض حيره وأظلمت فى عينى الدنيا حسره وملأ الوله والوهل قلبى وسواسا وفكره وتذكرت ما كان يجمعنى واياه من سكرى الشباب والشراب فعلمت أنه شرب بكاس انا شارب من شرابها ورمى بقوس سوف أرمى بها فبكيت عليه بكاء لى نصفه وحزنت له حزنا لنفسى شطره وسألت الله تعالى فانه أكرم مسؤل وأعظم مأمول أن يفيض عليه من رحمته ما يتمم به سهمه من نعمته وأن يتغمد كل زلة ارتكبها بمغفرته ويضاعف له كل حسنة اكتسبها بمنته وأن يذكر له تلك الاخلاق الكريمه وتلك المروءة الواسعة العظيمه فان الله تعالى ليحب السخاء فى الجحد فكيف فى الموحد وان سخاء النفس ونصب المائدة خلق من أخلاق الصديقين

وشعبة من شعب النبيين ثم تذكرت ما نزل بسيدى من الوحشة لفقده والغمة من بعده والتحسر على قربه ببعده فخاص الى قلبى وجع ثان أنسانى الماضى وثالث أنسانى الثانى حتى استفرغ ذلك ما فى صبرى بل ما فى صدرى وحتى صار الوجع وجعين والمصاب اثنين ثم رجعت الى أدب الله تعالى فقلت انا لله وانا اليه راجعون اللهم لاشكاية لقضائك ولا استبطاء لجزائك ولا كفران لنعمتك ولا مناصبة لقدرتك اللهم ارحم الماضى رحمة تحبب اليه مماته وأبق الحى ببقاء تهنئه فيه حياته واطبع على قلبه حتى لا يطيع داعية الجزع ولا يضيع عنانه بيد الهلع ولا يثلم جانب الاجر والذخر بالاثم والوزر ولا يجد عدوه الشيطان سبيلا اليه ولا سلطانا عليه اقتصرت من تعزية سيدى على هذا المقدار لا جريا على مذهبى فى الاقتصار والاختصار ولكنى لم أجد من لسانى بسطه ولا من قريحتى فضله ويحق لهذه الفادحة الحادثة أن تدع اللسان محصورا والبيان مقصورا وأن تحدث فى العقل خللا وفى البنان شللا وليعزّنى سيدى بخير ما هداه الله اليه من جميل العزاء الذى لم يعدم جميل الجزاء ليكون سكونى الى ما أعرفه من سلوته اضعاف قلق كان بما ظننته من حرقته وان كنت أعلم أنه لا يخلى ساحة الحلم والعلم ولا يخل بالواجب من التمسك بالحزم ولا يحل عقدة صبره ولا تتداعى أركان صدره ولا يعمى عليه الرشد فى جميع أمره وهذه شريطة الكمال وسجية الرجال

(وكتب)

(الى أبى الحسن الطرجودى بشداروطوس)

فلا ترتفع عنا بشغل وليته * كما لم يصغر عندنا قدرك العزل

ليت شعرى ما الذى رآه فى الكبر حتى اعتقد ملته واستقبل قبلته وفى العجب حتى تبوأ ساحته واستوطن راحته وفى الجفاء حتى علق أسبابه ولبس جلبابه وما الذى ارتكبته من بين اخوانه حتى أفردهم عنى وكأنهم دونى حتى كأنى قطعته ووصلوه ونسيته وذكروه وجفوته وبروه حتى كأنه عرض جريدته فوجد اسمى ملحقا بحواشيها ومثبتا فى أخريات أساميها فهلا اذ لم

- يؤهلني لرتبة الخاصة بعطلي اسوة بالعامة وهلا اذ لم أستحق منه فضلا رزقت منه عدلا وهلا تصدق علي بكتابه الي فالزموني على المساكين صدقة وللفقير هدية فكنت أجعل يوم وصول كتابه الي عيدا ونيروزا جديدا حواً تصدق به الى قيمه طريفا وتليدا وأطرف بكتابه في اخوانه واخواني وابا هيم به مباهاة الاخ باخيه الذي مساعيه مساعيه ومساويه مساويه وكل شيء من فضيلة ورذيلة فهو شريكه فيه صفحت أيد الله سيدي عن هذا الذنب القطيع والجرم الشنيع فهل لسيدي أن يستأنف لنا حالة أخرى ويأخذ بنا في طريقة غير الاولى فان الاستقالة تأتي على العثرات وان الحسنات يذهبن السيئات وان قليل الاستغفار ينسي كثير الخطايا والاوزار خرج فلان الى ناحية سيدي وهو جوهرة من جواهر الشرف لا من جواهر الصدف وياقوتة من يواقيت الافكار لا من يواقيت الاحجار واذا نظر اليه من مرآة نظيره وقلبه بيد العشرة استدل به على حسن انتقادي وصائب ارتيادي وعلم أني لا أختار غير الخيار ولا أجني غير خير الثمار ولا أصادق غير الاحرار فلينطق سيدي لسانه بشكره وليكفه الدقيق والجليل من أمره وليمش على عقبي لا بل مقدمتي الى الطافه وبره عرض سيدي هدايا تلك الناحية وكيف أطمع في هدية من يبخل برد السلام ويحاسب أصدقاءه على الرسالة والكلام وكيف يسمح بالجوهر الحاصل من يبخل بالعرض الحائل وكيف يتوسع في النافلة من تضايق بالفريضة أنصفنا الله تعالى من أصدقائنا فانا بحوله وقوته ننتصف من أعدائنا

(وكتب)

(الى وزير قابوس بن وشمكير)

وكل ولاية لابد يوما • مغيرة الصديق على الصديق

قد كنت أنتظر مصداق هذا البيت من سيدي حتى حقق الله تعالى ظني ولو أكذبه كان أحب الي وأوقع لدي فسبحان من جعل حظي من وفاء الاخوان بخوسه وتجارتي فيما أعاملهم به ويعاملوني به وكوسه فان كان

سيدى عن بهذا الجفاء اخوانه نخلطنى بهم وجعلنى واحدا منهم لقد أخلف ثقتى بانفرادى من صحبه وأخلف ظنى بناحيتى من قلبه وكنت أحسب أنه يخصنى من بينهم بفضل الثقة كما خصصته من بينهم بفضل الثقة وان كان وصلهم وقطعنى دونهم لقد عكس حكم الرجاء وغرس الجفاء فى منبت الوفاء وأساء الترتيب بين الاصدقاء وما أدرى له فى واحد من الفعلين عذرا وان كان أحدهما أثقل وزرا واسوأ برا وأقبح ذكرا وقد كنت طويت بيد اليأس بساط العتاب وأغلقت باب المراجعة وضيعت مفتاح الباب ثم استظهرت بهذه الاحرف وستردمن سيدى على أذن عن العتاب صماء وعين عن الوفاء عمياء ونفس تبغض الوفاء كما يبغض الناس الاعداء وتعشق الجفاء كما يعشق الرجل المرأة الحسناء وتشتهيه كما يشتهى الظمآن الماء وانتظارى الجواب عنها أكذوبة من أكاذيب الامانى وأغلوطة من أغاليط زمانى ومناقضة الحكم القياس وارجاف من أراجيف الوسواس ولكنها سخرة من سخر الفراغ تكلفتها وحاجة فى نفسى قضيتها

(وكتب)

(الى رئيس بهراة يعزيه بابن أخته وبنته)

كتابى أيد الله الشيخ الرئيس وأنا سليم المهجة سقيم القلب والمنة صحيح العرض والجسد عليل الخاطر والجلد للمصيبة فى فلان رحمه الله فانها مصيبة خرجت من كمين الدهر قبل أن يستعد لها بعدد الصبر وجاءت مجىء البغتة ووثبت وثبة المسارقة وغلبت الايام على ذلك الحر أطرى ما كان غصنا وأتم ما كان حسنا وأبعد ما كان أملا وأظهر ما كان جذلا حتى كان المنون أخذته خلسة وانتهزت فيه فرصة وفقد الشباب الطرى أكثر جزعا وكسر العود الرطب أشد وجعا

ان النجيعة بالرياض نواضرا ● لاشد منها بالرياض ذوابلا

ولو كان الدهر يجيب من خاطبه ويعتب من عاتبه لاستدركت هذه الفعلة عليه ولفوقت سهام اللوم اليه لكنه أصم عن الكلام صبور على وقع سهام الملام

قوله بابن اخته ما يأتى يفيد انه اخوه اه

(قوله وغلبت فى نسخة وعلت اه)

آلملام يختضر العيدان ويهتصر الاغصان ويخترم الشبان ويبلي الآمال والابدان ويلحق من يكون بمن كان والشيخ جدير بأن يتدرع لهذه الفجيعة درعا من كريم التسلي وجميل التعزي لا تخرقها يد التذكر ولا تهب عليها ريح الغم والتحسر ولا تطمح نحوها عين التغير والتنكر وأن يلق هذا الخطب الكبير والغم الكثير بصبر هو منهما اكبر وتجلد هو منهما اكثر فان الكبير في قلب الكبير صغير وان العظيم على العظيم حقير

والثقل ليس مضاعفا لمطية ... الا اذا ما كان وهما بازلا

وليحذر أن يجمع على نفسه ذل الغربه وثقل الكربه وان كان لا غربة على عاقل ولا وحدة لفاضل فان الداء اذا قابل داء لم يقبل دواء ولم يرج لصاحبه اشفاء وليعلم أن الله تعالى قد أخذ منه اليسير وأبقى له الكثير وسلبه الصغير ومنحه الكبير سلبه أخا كان يعتضد باخوته ومنحه أبا يجمع خير الدارين بأبوته وأبقى له اخوة هم قوة اليد والعضد وغاية الايد والمدد وزينة العدد والعدد وجمال الدهر والابد فسبحان من اذا سلبنا من هو املك به منا أجرنا واذا صبرنا على ما لا بد من الصبر عليه شكرنا واذا امتحن كانت محنته خيره واذا منح كانت منحته نعمة كبيره ورحم الله فلانا ذا الخلق المعسول والكنف المأهول والطعام المبذول صاحب المرعى الخصيب والقلب الرحيب والوجه الطلق والجناب الغدق الشاب سنا وجلادا والشيخ حلما وسدادا الذي كان زينا اذا دنا وذخرا اذا نأى وعدة للآخرة والاولى الذي كان يهين ماله ليكرم نزاله ويبذل ديناره وداره ليصون زواره ويضحك في وجه النازل عليه عند نظره اليه كان الموت ينتقد الافاضل ويبهرج الاراذل وكان الآخرة تختار الاخيار وتترك على الدنيا الاشرار وكان أعمار الكرام مشاهره وأعمار اللئام مداهره قال الطائي

عليك سلام الله وقفا فانني ... رأيت الكريم الحر ليس له عمر

وأما البنت رحمها الله تعالى فقد كانت حياتها عفافا وسترا ووفاتها ثوابا وذخرا

ولقد كانت فى زمان الصحابة فى رجاله غريبه وفى نسائه عجيبه والعفاف فى ذكرانه معوز وفى اناثه معجز والعقل فى شيوخه نادرة تفقد وفى شبانه ضالة لا توجد فالحمد لله الذى سترها بالحياء فى حياتها وبالتراب بعد وفاتها وأسبل الله تعالى على سيدنا سترين واستوجب منه ومنا له شكرين ولقد ثكلتها ثكل الرجل لاخص أخواته بل لاكرم بناته فقد كانت لى من جهة ميلادها والحال بينى وبين والدها بنتا ومن جهة تربيتها معنا أختا والمستور عزيز فى كل مكان ومحبب الى كل انسان وممدوح بكل لسان

فان تكن خلقت أنثى لقد خلقت * كريمة غير أنثى العقل والحسب

فرحمها الله تعالى رحمة تلحقها بمريم وآسية فى الاولين وبخديجة وفاطمة فى الآخرين وبأم الدرداء ورابعة فى نساء الصحابة رحمة الله تعالى عليهم أجمعين ولولا ما ذكرته من سترها ووقفت عليه من غرائب أمرها لكنت الى التهنئه أقرب منى الى التعزيه فان ستر العورات من الحسنات ودفن البنات من المكرمات ونحن فى زمان اذا قدم أحدنا فيه الحرمه فقد استكمل النعمه واذا زف كريمته الى القبر فقد بلغ أمنيته من الصهر وقال الاول

ولم أر نعمة شملت كريما * كنعمة عورة سترت بقبر

وقال الثانى

تهوى حياتى وأهوى موتها أبدا * والموت أكرم نزال على الحرم

وقال الثالث

وددت بنيتى ووددت أنى * وضعت بنيتى فى لحد قبر

وقال الرابع

ومن غاية الجد والمكرمات * بقاء البنين وموت البنات

وقال الخامس

سميتها اذ ولدت تموت * والقبر صهر ضامن زميت

وقد كنت عـلى أن أفرد فى معناها كتابا الى الشيخ ثم تطيرت له من تناسق التعزيتين كما توجعت له من تواتر المصيبتين وأرجو أن تكون هاتان

الحادثتان

آلها لانتان خاتمة الكروب وقافية المطلوب ثم تجىء النعم بعدها مترادفة بل مترافدة ومتظاهرة بل متواترة ومتناسقة بل متطابقة فان المحن اذا تناهت انتهت والرزايا اذا توالت تولت ولكل غمرة محنة معبر ولكل مورد نعمة مصدر وسيجعل الله بعد عسر يسرا ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا

على انها تعفو الكلوم وانما * نوكل بالادنى وان جل مايمضى

أسأل الشيخ أن يكتب الى خبرما وجده من برد السلوه لاشركه فيه كما شركته فى حرارة اللذعة والفجعه والسلام

(وكتب)

(الى صديق له جواب كتابه)

ماتأخر جواب كتاب سيدى وشيخى جهلا بحقه الواجب اللازم اللازب ولا انكارا لافضاله المتراكم المتراكب ولكنى تحريت وقتا ينشط فيه اللسان للبيان والبنان للجريان ويوما يحسن فيه الدهر وينشرح فيه الصدر ويقل فيه الفكر فلا والله ماوجدته وقد كنت أشتاق الى غدى فانا الآن ألهف على أمسى ومامن وقت كرهته الا وأنا أحن اليه ولا من يوم بكيت منه الا بكيت عليه

(وله)

(الى حاكم نسا)

ورد كتاب الحاكم بماملأنى سرورا وحبورا وصارف رجائى الميت حركة ونشورا وشكرته على مابذله شكرا الا أرضاه مهرا لاسائه لو أساء الى فكيف لاحسانه المتظاهر على ولكن لن تجاوز الطاقة ذرعها ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وماعندنا غير خلق لايشترى بثمن ولا يعاوض بأذمه بقبيح ولا حسن وهو الدعاء استجاب الله فى الحاكم صالحه وأسبغ عليه منائحه وأعطاه من كل خير مقاليده ومفاتحه

(وكتب)

(الى نائب الوزير ابن عباد باصفهان)

كتبت الى الاستاذ معاتبا مرة ومستعتبا كرة فما وجدت للعتاب اعتابا ولا قرأت عن الكتاب جوابا وليت شعرى ما الذى منعه عن صلة لا تضره وتنفعنى وعن تواضع لا يضعه ويرفعنى

ولا بما بخل الجواد وما به * بخل ولكن سوء حظ الطالب

فلان قد عييت بجواب كتبه وغرقت بين اعتابه وعتبه يكلفنى أن أورد على الاستاذ خبر شكره وأن أجعله بعض ودائعى عند احسانه وبره وقد أخبرته أنى قد ركبت من التقصير فى شكر الاستاذ عن خاصتى مركبا سقطت معه شهادتى وأخفقت بعده شفاعتى وان شكرى له عن غيرى بعد ما ضيعت الواجب منه على نفسى نافلة أقيمها بعد ما ضيعت الفريضه وتفصيل أصلحه بعد ما أفسدت الجمله ولن تقبل النافلة أو تؤدى الفريضه فلم تقابل حجتى الا بالجحد وعذرى الا بالرد وما زادنى على كتبه العريضة الطويله ومعاتباته الوخيمة الثقيله فذكرته الآن للاستاذ فان كنت أسأت فالاساءة بينى وبينه وان كنت أحسنت فالاحسان لى دونه ويا عجبا منى أعجز عن تحمل نعمة ثم أخطب نعمتين ولا أقوم تحت عارفة ثم أطلب عارفتين ولا أرضى البر الا مداخلا ولا أقبل الاحسان الا مضاعفا وما يستبدع منه بذل الرغيبة بعد الرغيبه ولا منى اقتراح الغريبة بعد الغريبه فانه أيده الله أوحد فى النوال كما أنى أوحد فى السؤال

(وله)

(الى أبى الحسن الحكمى)

خرج الشيخ من ههنا على حالة ان كان الذنب فيها له فقد غفرت وعذرت وان كان لى فقد استغفرت واستعذرت والدهر يوزع بافساد الاحوال وتكدير ماء الوصال وقطع قرائن الرجال ثم يعود العاقل منهم لما يرفو به الخرق ويرتق به الفتق فيقبل الزله ويراجع الوصله وينشد

اذا نزغات الحب أورثن بيننا * عتابا تراجعنا وعاد العواطف

فأما الجاهل فانه اذا هجر لم يبق فى القوس منزعا ولم يترك للصلح موضعا والحمد لله

الذى

الذي وفقني في أثناء هذه الحال حتى كبحت فرس العرامه وغمدت سيف الشكوى والملامه وأبقيت الحال في صوانها ولم أتعد منها حكم زمانها هجرت هجر متارك كريم المقاطعه ووصلت وصل مراجع حميد المراجعه لتكون الاولى بذرة مغفوره والثانية كفارة مشكوره والعتبى عروس ليس لها غير الصلح مهر والاعتذار سعي ماله غير القبول أجر وقد كنت قلت عن عرض الشيخ بنانا حديد المخالب وفللت عن جانبه سيفا مرهف المضارب وانما سلطان الغضب ساعة تورث ندامة الابد ويوم يثمر حياء الغد الامن أعين بالعصمه وأطاع داعية العقل والحكمه والسلام

(وكتب)

(الى صاحب ديوان الخراج بالحضرة)

قد كنت أرجو أن تعلق بالشيخ يأسو جراح الايام بي وينزع نصالها الواقعة بجنبي فطالما تعلق المدبر بذيل المقبل فأقبل باقباله وصارت حاله قطعة من حاله

وكم صاحب قد جل عن قدر صاحب * فألقى له الاسباب فارتفعا معا

ويا عجبا كيف لا يغار الشيخ على جانبي منه وكيف لا يخاف على حظي فيه وكيف يرضى بأن يرى مصون قولي فيه وقد ابتذلته وكيف يستحسن أن أسأل غيره بعد ما سألته فوالله تعالى ان لسانا يجري بمدح سواه بعد مدحه لاهل أن ينزع وان كلاما كان فيه ثم صار في غيره لجدير بأن لا يسمع وقد كنت زففت الى الشيخ عروسا من كلامي عاتبته فيها فان كانت حسناء فأين حق الزوجيه وان كانت قبيحة فأين حق النيه ولا أقل من أن يرضى بالمجان ان لم يشتر بالاثمان وأن يمسك بالمعروف أو يسرح بالاحسان وان درهما يؤخذ مني لدرهم ثقيل الوضع على عرض السلطان قبيح الاحدوثة في البلدان ولئن كان يعمر به بيت المال انه يخرب به بيت الجمال ولئن كان يزيد به عدد الدراهم انه لينقص من عدد المكارم ولئن كان يسمى في العامة جبايه انه ليسمى في الخاصة خزايه وللبس أكفان الموتى وسرقة أدوية المرضى وقطع الطريق

على حجاج بيت الله الحرام وزوار قبر النبي عليه السلام أحسن في الاحدوثة وأبعد من العار والنقيصة من الزام مثلي خراجا وسومه غرامة واستغرابا وانما يحاسب نفسه في مثل هذا من وزن أفعاله بعيار الحرية وأخذ نفسه بشرائط الانسانية وغار على نفسه كما يغار على عرسه وضن بقدره كما يضن بوفره وهذه خصائص لا يؤاخذ بها الا الاحرار والشيخ بحمد الله تعالى صدرهم وبدرهم وعليه مدار أمرهم وهو أولى من غضب للادب وحافظ على الاقدار والرتب

•(وكتب)•

•(الى ابي الحسن علي بن دامة)•

لم ينقطع عني كتاب سيدي مع ضني به وعشقي له الا لانه يبخل علي بأن أحفظه وأرويه ويخشى علي أن أنتحله وأدعيه فعهدي به لا يبخل على الفقراء ولا يرضى لاسمه أن يكتب في جريدة البخلاء أم لانه يكره أن يصير نظيرا اذا كاتب من دونه كثيرا فهذا ظن غير صائب ورأي غير ثاقب فقد يكاتب الكبير الصغير فلا الكبير يصغر ولا الصغير يكبر أم لانه يخاف أن لا أعرف حقيقة خطابه ولا أبلغ غور كتابه فقد علم أن الله تعالى خاطب العامة بوحيه كما خاطب به الخاصة أم لانه يأنف لكتابه اللطيف من جوابي الكثيف فما زال الخطأ منبها على مقدار الصواب وما زال توسط المجيب دليلا على تقدم المجاب أم لان اخوانه الذين استطرفهم من بعدي واعتاضهم مني قد شغلوا يده عني فما كنت أظن أنه يحفظ لكل جديد لذة وينسى لكل عتيق حرمة أم لان الايام أعدته فاحسبته يقبل عدواها ويتحلى بحلاها ويرضى لنفسه أن يسمى مسماها أم لان سمرقند بعدت عليه والكاغد عز لديه فانا أجهز اليه قوافل تحمل اليه من الكاغد أوقارا وتتصل مني اليه قطارا قطارا أم لانه يتكاسل عن مكاتبتي فانا أكتب عنه الي وأرضى قلبي بيدي هذا اذا تواضع وقبلني كاتبا فأما أنا فقد رضيت به صاحبا على أنني منتظر منه أن تعطفه علي العواطف وأن تعود الي نعمه السوالف فلربما غلط الدهر

المسيء

المسيء اليّ بالاحسان وعاد على الهدم بالبنيان هذا والكتاب ملق لاموقى
تسرع اليه اليد الحاملة وتعرض له الآفات السانحة فالماء يغرقه والنار
تحرقه والريح تطيره كما أنّ الايام تغيره والدخان يسوّد بياضه كما أنّ الملح
يبيض سواده والرطوبة تضرّه كما أنّ اليبوسة لا تنفعه فآفاته أكثر من
آفات الزجاج الذي يسرع اليه الكسر ويبطئ عنه الجبر وحوادثه أكثر من
حوادث الغنم التي هي لكل يد غنيمة ولكل سبع فريسة وأقلّ آفاته خيانة
الحامل ووقوع الشاغل وعوائق الفتوح والقوافل وهذا التطويل كله
ارتياد لعذر أجده لسيدي وانّ رجلا أعتذر عنه الى قلبي وأبرز ذنبه
في معرض ذنبي لاعظم في عيني من كل عظيم وأكرم على قلبي من كل كريم
وكانه فيّ وفيه قيل

اذا مرضنا أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

(وكتب)

(الى ابي الحسن الحكمي)

طالت ايام الشيخ بتلك الناحية حتى ظننت أنّ الدهر فطن لاقامتنا في ظله
ولدعتنا في فضله فزاحمنا عليه وسابقنا اليه وسلبنا النعم به لا سلبنا الله
نعمته فانها نعمة متجاوزة الى كل من قدح بزنده واستظلّ بظلّ احسانه
ورفده وانما يريد الناس النوال للمال وهو يريد المال للنوال فالنعمة عليه
نعمة على من سواه والنعمة على غيره نعمة لا تتعداه على أني عارف بانّ الله
تعالى لن يختم للشيخ الا باحسن العواقب ولن يعدل به الا الى ألين
الجوانب وعلى الكريم واقية من فعله وله حصن حصين من فضله فاذا زلت
به النعل زلة أو صال عليه الدهر صولة أقامته يد احسانه وانتزعته
من مخالب زمانه فليمدّ الشيخ عنان رجائه وليتوقع الفرج في صباحه
ومسائه وليعلم أنّ وراءه ربا لا يخذله وسريرة صالحة لا تسلمه وسلطانا عادلا
لا يظلمه أراه الله تعالى وأراني في حساده ما يصيرهم نكالا بين عباده
وبلاده وأراهم فيه من رغائب النعم وغرائب القسم ما يتمنون العمى

قبل رؤيته والصم قبل روايته وأطال لغمهم ورغمهم بقاءه وجعلهم فداءى
ثم جعلني فداءه

﴿ وكتب ﴾

* (الى ابى الفرج لما قلد خلافة البندار بطوس) *

وردت كتب ولدى على يد جماعة أصدقائه وكافة أوليائه وطلبت حصتى منها فلم أجدها فيها فليت شعرى كيف قصدنى من بينهم الزمان وكيف خصنى منه بالحرمان وكيف صرت المستثنى وقعدت على طريق الا وكيف عدنى ولدى فى الاجانب وكنت أعد نفسى فى الاقارب وهلا اذ لم يدخلنى فى جملة اخوانه وأصفيائه ادخلنى فى جملة شيعته وأوليائه وقد اغتفرت هذه الواحدة وسأؤاخذه ان عاد اليها ثانية فاسبع عفوى لا كثر من مرة ولا تنال اقالتى أكثر من عثرة هذا العمل أول ما جرى ولدى فى ميدانه وسابق أهل زمانه فان طاب الغاية وبذل الجهد والطاقة لحق السابق وفات اللاحق وان قصر فاته المراد وسبقته الجياد وهو ابن رجل ان سبق ابنه لم يشكر وان سبق لم يعذر فليتعب نفسه فلا راحة مع الهمة وليسهر عينه فلا نوم مع طلب الغاية وليحذر فلتات اليد واللسان وسكرات الشبان فان سكر الشباب أشد من سكر الشراب وليكتب فى قلبه بيد عقله قول الاول

خدمة السلطان والكا * سات من أيدى الملاح

ليس يلتامان فاختر * رفعة أو شرب راح

وانى لاعلم أن لولدى عرقا سيرخى عنانه ويخلف عنه أقرانه وانه ان يستقبل الاقبال حسبه وان يفعل الا ما يليق به ولكن أحزم الحزمة لا يستغنى عن عظة الاخوان كما أن أعتق الجياد لا يستغنى عن ركض الفرسان كنت كتبت كتابا قبل هذا أرخيت فيه عنان لسانى وأتعبت فى تطويله قلبى وبنانى والتطويل فى شكر الجميل اختصار والاطناب فى قضاء الواجب تقصير واقتصار فلان قد ألف طوس حتى عشقها وهجر نيسابور حتى طلقها وتعدى طلاقه الى طلاق اخوانه بها وأنا أحسد ولدى على ما خص به من

قربه

قربه وأودّلو شركته فيه كما شركته في حبه والحسد على مثل هذا سنة متبعة وفي غير هذا بدعة مبتدعة وقد كنت أشكو الايام وهي تفارقني بالنوى نرادى وهي اليوم تفارقني بهم شتى فتكلفني أن أقسم للشوق نوبتين وأوجه قلبي اليهم من طريقين

(وكتب)

(الى وزير خوارزمشاه لما نكب وكان خرّيجه)

أصبحت أيد الله الشيخ وأمسيت شبعان من كل بغيه ريان من كل مراد ومنيه غير خبر انقشاع هذه الضبابه وانجلاء هذه السحابه فاني يعلم الله ظمآن الى خبر يديل فرحي على غمي ويهزم بسروري عساكر همي فما أسرع خبر السوء حتى كأنه يجذب وما أبطأ خبر السرور حتى كأنه يدب وما أولع الدهر بهدم ركن الفضل وثلم جانب العقل وما أسرع الايام الى الكريم فيما يضره والى اللئيم فيما يسره وما أبين مجانبة الدهر لاهله وأكثر مناسبته للجاهل في جهله وما أشد غيظي على فلتات الايام في الكرام وعلى نفحات الارزاق في اللئام وما أشوقني أن أسمع من أخبار تلك النفس النفيسة ما أبكي له طربا كما ضحكت من ضده عجبا والى الله تعالى أشكو حالا ضحكها سخريه ومجاز وعاريه وبكاؤها حق وحقيقه واياه أسأل أن ينفي مدة النقص فقد طالت ويضع من غرة الجهالة فقد استطالت ويعيد للفضل الكرة ويزيل عنه الفتور والفتره ويصب في سمعي من خبر انحسام دواعي هذه المحنة ما يعيد شبابي الذي ولى ويطرد شيبي الذي تجلى فحق لمن شاب من سماع ما يسوءه أن يشب من سماع ما يسره وحق لجرم هدمه الغم الاسى أن يبنيه الفرح اليوم وحق للدهر أن يكف فقد بالغ في العتاب وتناهى في العقاب وحق لصرفه أن تنصرف فقد أشفت وشفت واكتفت وكفت وزادت على ما في الامكان وأوفت وحق لها أن نخاطبها بقول ابن المعتز

يا محنة الدهر كفي * ان لم تكفي فخفي

قد آن أن ترحمينا * من طول هذا التشفى

على أنى أرجو أن يكون فى طى هذه المحنة من المصالح ما يغمض مسلكه ويخفى مذهبه وأن يكون أقل ما يكسبه الشيخ فيها ويستفيده منها تميز معارفه من اخوانه والوقوف على من لا يصادقه الا بصداقة زمانه واذابة المغشوش من الدعوى بنار الاختبار والبلوى كما قال البحترى وصدق فى المقال

لئن ثنى الدهر من عزمى فلم يصل * وكف من يدى الطولى فلم تطل

لقد حدت صروفا منه عرفنى * مذمومها عقبا عما على ولى

وعامرتى فى الشيخ أن المحنة لم تلم جوانب جلادته وأن طول مدة الذلة والقلة لم يعتصر ماء احتماله وصلابته وأن الوحدة والوحشة لم تقدحا فى لسانه وقلبه ولم يظهر أثرهما على صفحات ثباته وعزمه وأنه لم تصغر على تلون الزمان نفسه ولم يلن على أكف أعدائه مسه وأنهم كبتهم الله تعالى وان توصلوا الى تغيير نعمته فقد عجزوا عن تغيير همته وان تطرقوا الى كيده باطنا فقد اضطروا الى تجمله والتملق له ظاهرا وقد قيل فى ذلك لعلى بن الجهم

وما المكر الا للنساء وانما * عدوك من أشبالك حين تصارمه

حتى انجلت عنه غبرة العواقب والعرض نقى والقلب بالله تعالى قوى والفعل بحمد الله تعالى مرضى والنفس تلك النفس الا ما نقص من مال وتضعضع من حال والجملة تلك الجملة لا الرخاء أكسبها بطرا ولا البلاء أورثها ضجرا ولا أساء مجاورة النعمة فتطاول ولا مجاورة المحنة فتضاءل والحمد لله الذى كشف عن مقداره فى ميزان الاختبار والابتلاء وأظهر عن حقيقته وكيفيته فى مرآتى الرخاء والبلاء والايام مرآة الرجال والاطوار معيار النقص فيهم والكمال والعثرة بعد الدولة تخرج خبث الاخلاق وتكشف عن مقادير الاصول والاعراق ثم الحمد لله الذى ابتلى فى الصغير وهو المال وعافى فى الكبير وهو الصيانة والجمال وقد قيل ما يليق بهذا الحال

المال من حسن المقال

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة * ولكن عارا أن يزول التجمل

المال أيدك الله حطام ينقص ثم يزيد وظل يتحسر ثم يعود والشيخ يقضيه قول أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه قيمة كل امرئ ما يحسنه أنت أيدك الله أغنى أهل خوارزم يوم تصير أفقرهم وأكرمهم ساعة تظن أصغرهم وهو الوزير يوم يعزل والمصون ساعة يبتذل والكثير بنفسه وان انفرد عن غيره والمستأنس بفضله وان استوحش من دهره

ان الامير هو الذى * يضحى أميرا يوم عزله
ان زال سلطان الولا * ية كان فى سلطان فضله

(وكتب)

(الى أبى على البلعمى لما فارق الحضرة وورد نيسابور)

كتابى الى الشيخ وقد أمضت الايام فى حكمها وأنفذت فى صبرى وتجلدى سهمها والحمد لله على كل شئ الا على غيبتى عن الشيخ فانى أخشى أن أزداد منها اذا حمدت الله لها حيث انتهت بى المحنة بعد فراق الشيخ الى غاية ليس بينها وبين الموت مجاز ولا وراءها للبلاء مجاز حتى لقد ركبت غير دابتى وأكلت غير نفقتى ونزلت بيتا بكراء وأكلت خبزا بشراء وحرمت العنبى وشربت الزبيبى ولبست الصوف فى المصيف والتوزى فى الخريف وكوتبت مواجهه وخوطبت بالكاف مشافهه وأجلست فى صف النعال أعنى أخريات الرجال وناظرنى من كان يدرس على وخالفنى من كان يختلف الى وحتى لقد نشزت على جاريتى وحرنت على دابتى وتقدمنى فى المسير رفيقى الذى جمعنى واياه طريقى وحتى انى أخذت الدرهم الجيد فصار فى يدى ستوقا وقطعت الثوب المشترى فصار على بدنى مسروقا وغسلت ثيابى فى تموز فغابت الشمس وطلع السحاب وسافرت فى حزيران فعصفت الريح وسد الافق الضباب وفقدت كل شئ ملكته غير عرضى الذى عهده الشيخ منى وصبرى الذى عرفه منى ومن لم يكن على المحنة

صبورا لم يوجد للنعمة شكورا ومن لم يحتقر سوء ما يلي لم يحمد حسن
ما يولي أذكر الشيخ عزوف نفسي عن مواقف البذله وصعوبة جانبي على من
جرني الى مظنة الهوان والذله والادب سلطان ينسي هيبة السلطان واطول
العشرة داله تقيم المملوك مقام النظراء والاخوان ولاذنب الاوله في العفو
ساحة عريضه كما أنه لاذنب الاوله من العذر مسافة قصيره وانما المدار على
الرضى فانه يقرب البعيد وعلى الغضب فانه يبعد القريب ألهم الله رؤساءنا
الرضى وأتم لهم باحسانهم الينا الحسنى قد علم الشيخ أني مذ كنت لم يسم
خدي عذار الهوان ولم يوضع على رقبتي نير التبذل والامتهان ولم تطرق
الايام حريم عرضي فتنتهكه ولا نالت سترصيانتي فتهتكه ولا ماء وجهي فتسفكه
ولقد اخترقت البدو والحضر ودخلت ديار ربيعة ومضر فما رأيتني بحمد
الله تعالى أتأخر عن رتبه ولا أتخلف عن الغاية في موطن رغبة أو رهبه ومع
اذ ذاك سكر الشباب وذل الاغتراب والقوم قد باينوني بالنسبه وفارقوني
بالتربه وان عرضا صنته في غير مظنة الصيانه لجدير أن لا أهينه في غير موضع
الاهانه فقد يبتذل الشاب ويقول أتصون اذا شبت ويمتهن الغريب ويقول
أتعزز اذا أبت فما عذر من يحتمل الذل وقد رجع الى الوطن من الغربه وخرج
من حد الشبيبة الى الشيبه وهل وراء الغاية منزله أم هل بعد الشيب الا
الموت مرحله وورد على كتاب سيدي يدعوني ومثلي لا يجيب داعي القول
دون أن يصدقه داعي الفعل وبالجملة انا قد تفارقنا على حالة فان كنا عليها
والتقينا فيها فآخر التلاق أول الفراق ولا يريح من هذا اللقاء غير تجرع
فراق جديد وتولد حزن شديد والمرة من الفراق مر فكيف المرتان والسهم
منه نافذ فكيف السهمان وان كنا تغيرنا عن ذلك الخلق ومشينا في غير تلك
الطرق فيجب أن تدل على ذلك بالاحوال لا بالاقوال والشيخ خليق
أن لا يفل سيفا شحذه ولا يضيع علقا اتخذه ولا يعطش زرعا سقاه
ولا يميت خاطرا أحياه ولقد أرخيت عنان خطابه وأوسعت ذرع عتابه
ولكن لا خير للشيخ فيمن لا يحمي عرضه ولا يصحو عن بعضه الا اذا أفسد

بعضه

بعضه ويد الشيخ أطول من لساني وأمره أمضى من قلمي وبناني فليتني لين مسها وأنا بعيد كما نالتني خشونتها وأنا قريب وليعلم أنه متى أراد بي خيرا أرجف لي به الناس وحملته الي الانفاس وكان أول رسله الي عزمي المتذبذب وقلبي المتقلب وفي الارض متحول وعلى الله المعول

(وكتب)

(الى أبي محمد العلوي)

بكتب الانام كتاب ورد * فدت يد كاتبه كل يد
يخبر عن حاله عندنا * ويذكر من شوقه ما نجد

ورد كتاب السيد أطال الله بقاءه وأجزل من كل خير قسمه ووفر منه سهمه وجعل أمسه يحسد يومه ويومه يحسد غده فرتع الطرف منه في روضة ممطوره وحلة منشوره ولآلئ بل فرائد منثوره وجال منه الخاطر في حكم لا تعرف ولا تجهل وفقر لا تسترذل ولا تستعمل وفصول يحسد عليها الخاطر الناظر عند الرؤيه ثم يحسد عليها الناظر الخاطر عند الرويه وجعلت أنافس فيه البياض الذي يحتوي عليه وأغبط به المداد الذي جرى في طرفيه وأتمنى لو كانت أعضائي كلها نواظر تبصره وخواطر تتذكره وألسنة تكرره على شريطة أن يكون الناظر لا يمل لحظا والخاطر لا يكل حفظا واللسان لا يزل لفظا فسبحان الله كيف جعل محاسن القول والفعل الى السيد محشوره وعليه دون الانام مقصوره وكيف لم يرض له بأن يسود العالم شرفا ونسبا حتى سادهم علما وأدبا وكنت أعتقد أن الكتابة سوادية ونبطيه فأنا الآن أعتقد أنها خراسانية وعلويه وكنت أرى أن المحاسن في الناس متفرقه وأنا الآن أراها في واحد منهم مجتمعه وكنت أحسب قول الحكمي

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

كلام مسهب وملق متكسب حتى علمت الآن أنه قال ما لا يمتنع امكانه ولا يتعذر وجدانه وليت شعري ماذا أقول في هذا الكتاب وقد سد علي

مسالك الصفات وحي على قلبي ولساني موارد التشبيهات فاني ان وقفت
وقد أجريت لساني وتوسطت ميداني دللت على عرقي في الكوادن
وانسلخت عما سر بلنيه السيد بشهادته لي من المحاسن وان جريت وقد سدّ
علي توسعه أنفاس بياني وافترع دوني أبكار الالفاظ والمعاني ناديت على
نفسي بانه السابق وأنا اللاحق وشهدت له علي بانه المسروق منه وأنا
السارق ولكن الحازم يختار خير الشرين ويرجح بين المتماثلين وأنا
أستخير الله تعالى وأعدل عن الاولى الى الاخرى وأقول هذا الكتاب
أحسن من كل حسن الامن وجه كاتبه ومن خلق صاحبه وأغرب من كل
غريب الامن السيد في زمان لا يسع فضله ولا يقتضي مثله وأعجب من كل
عجيب الامن قيامي أعزني الله مقام المجيب عن كتاب أقصى غايتي أن أدريه
وأوسع حظي وهمي أن أرويه وأنور من كل نير الامن أوقاتي بلقاء السيد
فانها أوقات

أيامهن قصيرة * وسرورهن طويل وسعودهن طوالع * ونحوسهن أفول
وأجل من كل جليل الامن مقدار أوبة السيد الى بلد هو حال بأوبته عاطل
بغيبته عامر به وان خلا من سواه خراب منه وان جمع العالم الا اياه
وتعرفت فيه من خبر سلامته أدامها الله له ولي به ما أوجب علي صيام أيام
دهري وقيام ليالي عمري على شريطة أن تكون الايام في طول يوم يزيد ابن
الطثرية والليالي في وزن ليالي النابغة الذبياني أردت قول ابن الطثرية (ويوم
كظل الرمح قصر طوله) وقول النابغة (وليل أقاسيه بطيء الكواكب)
لا بل على شريطة أن تكون شمس لنهار كشمس ذي الرمة التميمي ونجم الليل
كنجم العباس بن الاحنف الحنفي أردت قول ذي الرمة (والشمس حيرى
لها في الجو تدويم) وقول العباس بن الاحنف

والنجم في جو السماء كأنه * أعمى تحير ماله من قائد

(قوله) والنجم الخ في بعض النسخ هكذا والنجم في كبد لا بل على شريطة أن تكون صفة الليل كما قال خالد الكاتب (وليل المحب السماء كأنه * اعمى تحير بلا اخر) وصفة النهار كما قال الآخر

ويوم

تمالديه قائد

ويوم كان المطلب ين بعزه * وان لم يكن بحر فعود على جر

ولئن أصبحت كل أيام الزمان صائما وكل لياليه قائما شكرا لله تعالى على سلامته ثم تصدقت بعد ذلك بعدد نخيل البصره وآجر الكوفه بل بعدد رمل الدهناء ونجوم السماء بل بعدد العالمين وعدد نبات الارضين بل بعدد قطر كل بحر وتربة كل بر وسراب كل قفر وحوادث كل دهر وخواطر كل صدر بل بعدد فضائل علي الوصي ومحن محمد بن العباس الطبري فانها أكثر من الكثير وأكبر من الكبير لم أكن وفيت النعمة على مهرها ولا قدرتها حق قدرها ولا بلغت غورها ولا أديت شكرها ولا وفيتها بعض قيمتها ولا عشرها الا أني اعرفت تصوري عن قضاء الحق ووقوفي دون أدنى مسافات المجهود والطوق قلت كلمة جعلها الله ثمنا لجنته ورضى بها ثوابا من نعمته وهي الحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله الطيبين وعدني السيد من سرعة رجوعه عدة أخشى أن يحمله لؤم دهره على الرجوع فيها وأن يعامله نكد أيامه تنغيص السرور بها فان الدهر بئس المعلم لبنيه وبئس المثال لمن يحتذيه وعهدي بالسيد لا يرجع في هبه ولا يتطرق أعقاب صله ولا يندم على حسنه اللهم الا أن أكون أصبت كرمه بعين حبي له وعجبي به فان عين الاستحسان آفة من آفات الاحسان وفرط عجب العاشق بالمعشوق باب من أبواب التغير والتنكر وسبب من أسباب التنقل والتحول وأنا والله أتهم على السيد عيني وان كنت لا اتهم قلبي وأرضى اودته نيتي وان كنت لا أرضى لها طاقتي

لي لسان كأنه لي معادي * ليس ينبي عن كنه ما في فؤادي

حكم الله لي عليه فلو أنصف قلبي عرفت قدر ودادي

قرأت الفصل المسجع فشغلني الاقتباس منه عن الجواب عنه ولقد عمد السيد الى كل سجعة مختبئة في زاويه ملقاة في ناحيه فألجمها بلجام وقادها بزمام وغيرها في وجه سجعي المزق وكلامي الملفق وضربني ضربا آلم الخاطر وان لم يجرح الظاهر ونكأ في الفهم وان لم يؤثر في الجسم وأوجع الضرب

مالم يكن معه البكاء وأشد الشكوى مالا يخففه الاشتكاء ومن بلغ من البلاغة مقداره واقتدر على التصرف اقتداره وأحسن أن يسيء في معرض الاحسان وأن يعطي في أثناء الحرمان وأن يمدح مدحا حقيقته هجيا ويظهر رضا باطنه سخط فهأنا أيد الله السيد وقيذ الجوى والقدامه وجريح الخجل والندامه اذا اشتهيت لقاءه لشوقي اليه وتلهفي عليه آثرت غيبته لحيائي منه وقصوري عنه فويلي من فراقه اذا نأى وويلي من لقائه اذا وافى كما قيل يا غيرى مقبله ويا سهرى مدبره ولكن

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على أن قرب الدار خير من البعد

جعل الله تعالى أوبة هذا السيد على حالة ضحكى وجهه ضياء وخلقه سناء ومجلسه بهاء وقدره علاء وعقله صفاء وقلبي له نقاء وودى له بقاء ونيتي فيه استواء وتراب تشيعي له ولاهل بيت هو فيه زكاء ونماء وأرانى الله تعالى فيه من الصنع الجميل ما يستغرق نثر كل ناثر ونظم كل ناظم وشاعر ويقع وراء ذكر كل ذاكر وشكر كل شاكر ولا زالت أيامه تصبحه بكل فتح وتمسيه بكل نجح وتلاقيه بسعد وتصافحه بجد وتزوره بجد وتودعه بحمد لياليها أسحار وظلماتها أنوار وطوال أوقاتها اقصار

ان الليالى للانام مناهل * تطوى وتبسط بينها الاعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

وما أرضى للسيد دعائي بأن يخرج عن مقدار همتي وينزل على حكم قدرى وقيمتي ولكني أقول جعل الله تعالى رزق سيدى فى سعة همته وماله فى كبر قيمته وعيشته فى حسن شيمته ونعمته فى كثرة نعمته ليكون دعائى له مداخلا ومدحى له مقابلا وذكرى له بالجميل من كل أطرافه معما ومخولا ولتكون أقسام وصفه متعادله وأجناس فضله متماثله ذكر السيد أنه كتب جواب كتابي من وقت الظهر الى وقت العصر ولقد استبطأته مع ما أعرفه من بعد غوره وغزارة بحره ولكني أغلقت لهذا الجواب بابى وأرخيت له حجابي وضممت الى نشر كتب آدابى وجلست من الدواوين بين آل الجراح

وآل

وآل ثوابه وبين بني الخصيب وبني مقله ونشرت من المقابر آل يزداد وآل
شداد وحشرت من الآخرة ابن المقفع البصري وسهل بن هرون الفارسي
وابن عبدان المصري والحسن بن وهب الحارثي وأحمد بن يوسف
المأموني ووضعت عن يمني عهد اردشير بن بابكان وعن يساري كتاب التبيين
والتبيان وبين يدي فصول بزرجمهر بن البختكان وقبل ذلك رسائل مولانا
الصاحب عين الزمان وزين الشيب والشبان فما زلت أسرق من هذا كلمه
وأطر من ذاك فقره وأستعير من هناك نادرة ونبقه أغصب الاحياء على
بيانهم وأنبش الموتى من أكفانهم وأنا في أثناء ذلك رطب اللسان بالدعاء
رطب العين بالبكاء أدعو الله بالتوفيق والتسديد وبالعصمة والتأييد
وأسأله أن يحفظني من نفسي فانها أعدى الاعداء ومن عجبي فانه ادوأ
الادواء ثم قمت فصليت ركعتين ختمت في كل ركعة منهما ختمتين واستعذت
بالله تعالى من الشيطان الرجيم وقلت بسم الله الرحمن الرحيم وابتدأت
فسودت هذا البياض كله ثم نظرت فاذا أنا قد تعبت وحبط العمل وأنفقت
مالي وجع الجهل السيد أبو الحسن أكثر الله في آل ابي طالب مثله ولا سلبهم
جماله وفضله فان كون مثله في آل أبي طالب رغم لانوف النواصب وهيهات
لقد أعظمت غلطا وسألت الله شططا فنحن معاشر الشيعة أنحس وحظنا
من الاقبال ابخس من أن يفلح في الدنيا طالبي اويشقى فيها ناصبي ومن
حصل مثل السيد والدا فقد حصل المجد تالدا وحق لمن كان السيد أباه
أن يكون السكرم أخاه فيستويا بالانتماء اليه في الميلاد وان اختلفا في الولاد
فهذا بضعة من خلقه وهذا شعبة من خلقه ومن استق عرقه من منبع
النبوه ورضع من ثدى الرساله وتهدلت أغصانه على نبعة الامامه وتبجحت
أطرافه في عرصة الشرف والسياده وتفقأت بيضته عن سلالة الطهاره
وتناول المعالي بيد طويله وأجرى اليها عن غاية قريبه لم تستكبر منه حسنة
وان كبرت ولا استصغرت منه سيئة وان صغرت فأمتع الله هذا السيد بهذا
الولد الذي لو لم ينتم اليه قولا لانتمى اليه فعلا ولو لم نعلم ولادته من طريق

الضروره لعلمناها من طريق القياس والفكره فان لسان الشبه ناطق وشاهد الصابة عدل صادق وقد تكرم الاعراق فتخونها الاغصان وقد تسبق الشيوخ فيتخلف عن مضمارهم الشبان ولكن

بنو طاهر زينوا طاهرا * كما زان آباءه طاهر

وكم من أناس لهم أول * وليس لاولهم آخر

طولت على السيد بكلام أسفيد يابحى قليل الطعم مختل النظم والعى داعية الى التكرار والاختصار يمشى فى طريق الاقتدار فان رأى السيد أن يعبر هذا الهذيان اذناواسعه ونفسا صابره ويتضاحك له تضاحك المجب به ليغلط به العامة وان عرفته الخاصة فعل

(وله)

(الى تلميذله كتب اليه قصيدة يسأله نسخة قصيدة مما أحدثه)

وصلت القصيدة الغراء الزهراء فكانت أرق من الماء بل من الهواء والذهن الصهباء وأسر من اللقاء بين الاحباء ومن هجوم السراء عقيب الضراء وأعذب من مغازلة النساء ومن مجالسة الندماء ومن مساعدة القضاء ومن معاقرة الشراب على الغناء ومن استماع فوائد الحكماء وخطب البلغاء وقلائد الشعراء ومن أخذ جوائز الامراء وتحصيل مراتب الخلفاء فكانت معانيها أبدع من الوفاء وأعز من السخاء وأغرب من النصفة فى الاصدقاء ومن الامانة فى الشركاء لا بل أغرب من المغرب العنقاء وألفاظها أحسن من البدر فى الظلماء وأطيب من وصال الحسناء ومن افتراع العذراء ومن الشماتة بالاعداء بل كما قالت الست سكينة بنت أمير المؤمنين الحسين رضى الله عنه كنت أحسن من السماء وأعذب من الماء لا بل كانت أهنأ من الشفاء بعد الداء ومن الرخاء عقب البلاء ومن النعماء فى اثر البأساء ومن استجابة الدعاء وتحقيق الرجاء وقدمتها عن وشى الوشاء وعن الروضة الغناء لا بل نشرتها عن الزهرة الزهراء وعن الغرة الغراء وعن الدرة العذراء ورأيتك نطقت بها وعن يمينك التأييد وعن يسارك التسديد ومن ورائك الجد

السعيد وانما صنعتها صنع من طب لمن حب فانى أشهد أنك أطب من كل طبيب وانى اليك أحب من كل حبيب واذا صدر الكلام عن صفاء ود ونقاء عهد وخرج من متفضل الى مستأهل حضره من التوفيق اذن واعيه وهمة تاليه وصحبه من التسديد أعين راعيه وقوى مراعيه ولم يكن للخطا طريق اليه ولا للخطل مجاز عليه وانما القول بحسب القائل على مقدار حصة من يهديه اليه ورغبته فيه وموضعه منه وأنت أيدك الله تصفو بما لا أستأهله الاعلى قدر حصتى من قلبك وموضعى من حبك ولو عاملتنى على طريق المجازاه لا على طريق المحاباه لخرج لك على غلط كثير وحاصل كبير وقد حملت اليك نسخة كلمة قلتها فرضيت بها عن شيطانى وصالحت لها قلبى ولسانى ولعمرى لقد كلتها من جراب الدق ووزنتها من كيس اللب وعبأتها من رزمة الخاصه ونسجتها على منوال النصيحه وقلبت لها جريدة التصفح والتخير ونشرت فيها صحيفة التدبر ونظفت طرقها من اللفظ المستبرد ومن المعنى المردد وصقلتها بعدوس النظر وجلوتها بكف الفكر ووكلت بها من التمييز جفنا ساهرا ولحاظا باصرا حتى دارت فى لولب النظافه وخرجت فى معرض الظرف واللطافه وحتى بدت عروسا تفتن الناظر وتغطى المناظر وحتى

حذيت حذاء الحضرمية أرهفت * وأجادها التحسين والتلسين

(وكتب)

(الى حاجب الوزير ابن عباد وقد وردت عليه كتبه ثم انقطعت)

أما قصور أجوبة كتبى فانى لا أعاتب الحاجب عليه ولا أوجه الشكاية فيه اليه فانا ولا كفران لله تعالى فى زمان يجب أن نجرى الجفاء فيه مجرى العادة والسجيه ونضعه موضع السنة بل الفريضة ونقيمه مقام الجبلة والشيمه فننظر الى حفظ العهد بعين الشماتة والطرفه ونتزله منزلة الغريبة والنادره ونحكم عليه بنقض العادة وخلاف الجبله على أنى مذ كنت أستثنى الحاجب من غيره وأميزه بالفضل وسائر خصال الخير عن أبناء دهره وأعتقد انى

قد ضممت يدى منه على ذخيرة ليس للزمان فيها عمل ولا عليها للحوادث والغير مدخل فان صدق ظنى فقد غرست فى أرض كريمه وبنيت مسألتى على علة صحيحة غير سقيمه وان تكن الاخرى فعادة من عادات الايام وغلطة من غلطات الاوهام وعين عانية من عيون المجد وعارضة من عوارض الوفاء وصحة العقد وما خلوت مذ تفارقنا من نفس تتقد له الاضلاع وذكر تفيض له الادمع ولا أنسى تلك الايام الطويلة القصيرة بصحبته والليالى المظلمة المنيرة بطلعته ولا أتفكر فى صغر حجم ذلك المقام وتقارب خطو تلك الايام الا أنشدت

لم أستتم عناقه للقائه * حتى ابتدأت عناقه لوداعه

واذا كان فى قصة الشعراء وفى شريطة الوصافين والبلغاء أن الوقت الطيب قصير وان لم يقصر كما أن غيره كبير وان لم يكبر فعلى هذا القياس ان أيامنا كانت قصيرة مرتين وقليلة من جهتين أما الاولى فقصر الامد وقلة العدد وأما الثانية فصفاء الوقت من الكدر ونقاؤه من وضر الحوادث والغير فسبحان من جعل محنتى زائدة على محن الناس وفاضلة على معايير العادة والقياس حتى ان نقصان أوقاتى المعدوده وأيامى المحدوده يحصل مثنى مثنى ورجحانها يحصل فرادى فرادى كما ان نحوسى لا تعب أن تجيئنى الا غريبة عجيبه ولا يمكنها أن تسلك طريقها الى حتى تقود جنيبه وصلت الرسالة والقصيدة وكانت الاولى ماء زلالا والاخرى سحرا حلالا وما منهما الا قريب شاسع ومطمع مانع كالشمس تقرب سنا وتبعد سناء وتنال ضياء وتفوت علاء وكالماء يرخص موجودا ويغلو مفقودا ورأيت فيهما من غرائب الرجحان ما نقض عادة الزمان حتى لقد قامت الحيرة منهما فى وجه على وحتى لقد توقفت بين فهمى ووهمى والآداب كلها زين وهى اذا تكافأت أزين والمعارف كلها حسنة وهى اذا تقابلت أجمل وأحسن والكتابة آلة عجيبة وهى من الشاعر أعجب كما أن الشعر صناعة غريبة وهى من الكاتب أغرب واذا ورد على من العجائب كلام فضلته على ما قبله

واستثنيت

واستثنيت فى التفضيل ما بعده لعلى انه قد امتطى من الاقبال مطية لن تقعد به الا على الغاية وسلك من السعادة طريقا تؤديه الى الزيادة وابتدأ فى وظيفة من الجمال لن تختم له الا بأقصى مراتب الكمال وأنا أسأل الله تعالى أن يجعله فى هذه الصناعة نجما يهتدى بأثره ودليلا يورد ورده ويصدر بصدره وأن يقيم لكلامه علما يرمقه البعيد ويستدرى به القريب انه قريب مجيب والحمد لله الذى جعل الحاجب يضرب فى المحاسن بالقدح المعلى ويسمو فيها الى الشرف الاعلى ولم يجعل فيه موضعا للولا ولا مجالا لالا فان الاستثناء اذا عرض فى الكلام أنضب ماءه وكدر نقاءه وصفاءه وأنطق فيه حساده وأعداءه ولذلك قالوا ما أملح الظبى لولا خنس أنفه وما أحسن البدر لولا كلف لونه وما أطيب الخمر لولا الخمار وما أشرف الجود لولا الاقتار وما أحمد مغبة الصبر لولا فناء العمر وما أطيب الدنيا لو دامت واستقامت

ما أعلم الناس أن الجود مكسبة * للمجد لكنه يأتى على النشب

(وكتب)

(الى محمد بن حمزة رئيس خوارزم)

ورد كتاب الشيخ فأورد من السرور أضعاف ما كان فيه من السطور بل أعداد ما كان فيه من الحروف بل أضعاف ذلك بالف بل ألوف وفهمته أما ما ذكره الشيخ من انثيال الناس عليه يستعيرونه نسخ كتبى اليه فانما حملهم على ذلك عجبه بى فصار سببا لعجبه بكتبى وصار ذلك داعية للناس الى عجبهم بها وحاملا لهم على انتساخهم لها وهم فى ذلك رجلان أما أحدهما فانه يتبرك باتباع رأيه والسير تحت لوائه وأما الآخر فانه يتقرب اليه بمجانسته ويتشرف بين الناس بمناسبته والا فهذه الكتب ايبس متونا واقل عيونا من أن يفخر بها عامل أو يرغب فيها مستعمل أو تشتغل بها الاقلام والدفاتر أو يوقف عليها ناظر أو خاطر أو يعرض عليها كاتب أو شاعر ومما يحملنى على التجوز فيها وينهانى عن الاحتشاد والتكلف لها أنى أصدرتها الى حضرة من اذا

رأى سيئة ستر وغفر وعذر وأعذر وان رأى حسنة نشر وأظهر وقرر وكرر وفكر وصور وجعل الخمسة عشرة والعشرة خمسة عشر وسيرد كتابى بعد هذه الكرة الى الشيخ مشبع الفصول ضافى الذيول وافر القسم من العرض والطول فقد وافق منى هذه الكرة شاغر فصادا وهن الا آله واورث الكلالة والملالة وعاجلنى الفتح ملازما للباب مطالبا بالجواب مجاوزا باب المسئلة الى باب العتاب فكتبت وسرح البديهة عازب وماء القريحة ناضب

(وكتب)

(الى كاتب الرئيس بنيسابور)

ليت شعرى ما صنع بعد العهد بقلب سيدى هل غيره عما عهدته عليه من اقامة رسوم الود وتوثيق أطناب العقد أم أهب عليه رياح التنقل والتحول ومد اليه يد التغير والتبدل فان ذلك منبع الايام بالقلوب تقلبها يمينا وشمالا وتلونها حالا فحالا بل ليت شعرى هل نسى سيدى من لا ينساه وسلا من لا يسلاه واستبدل بمن لا يريد الا اياه ولا يعتاض من لقياه غير ذكراه وهو صديقنا أبو بكر الخوارزمى الطبرى أعزه الله تعالى أم هو على زعم ظنى به وكذب وهمى عليه ثابت ركن الصفاء صافى شرب الاخاء حافظ على الغيب ما كان يحفظه على اللقاء فقد علم الله تعالى انه تقاسم قلبى هذان الظنان وتنازعنى فى علمى به هذان الطريقان فان ملت الى أولهما وهو أغلبهما على وأقربهما الى ذهبت فى القياس بالناس على الناس مذهبا شديدا ووقف بى سوء الظن بالزمان واهله موقفا قريبا بعيدا وان ملت الى الثانى فسيدى أيده الله تعالى يستحق أن يستثنى من غيره وأن يحكم له بحكم يباين به اهل عصره وأن يكذب فيه الظن اذا نسبه الى مجانسة الدهر ويرد له القياس اذا قضى عليه بمقارفة التلون والغدر وانا الآن فى هذه الجملة واقف وعهده بى لا أتواضع لمذهب الواقفيه ومرجئ وما كانت تطمع فى اقتناص مثلى شباك المرجيه فكيف اعاتب سيدى بل كيف أعاقبه بل كيف أخاصمه وأواثبه بل كيف اطاعنه واضاربه وأقل ما جنيته على غيبته أنى كنت معتزليا

فصرت

فصرت مرجيا وقاطعا على صحة مذهبي فعدت به واقفيا هذه أصغر جنايات فراقه على وأقل صنيع وداعه الي ثم اني بعد هذا كله طويل الليل منذ فارقته بل قصيره وقليل الانس بعده بل كثيره أما طول ليلي فلتذكري طول غيبته وأما قصره فلقطعي له بتمني أوبته وأما قلة أنسي فلبعده عني الآن وأما كثرته فلتمثلي قربه كان وتصوري طلعته في قلبي وعيني ونظري اليه عن مرآة من هاجسي وظني على أني أرجو أن خطو أيام الفراق قد قصر وأن جمها قد صغر وأن سيدي وارد قبل أن يبرزني بالجواب عن هذا الكتاب ولعمري انه ورد على قبل أن يكتب الجواب لقدر الكاتب وان عق الكتاب فيكون قدره بالكبير الكبير وعق بالصغير الصغير ولأن يونس عيني بلحظه أحب الي من أن يونس سمعي بلفظه وان كان كلامه في نفسي ماء زلالا وفي أذني سحرا حلالا وكلام الحبيب حبيب وكل شيء من القريب قريب قال جرير

ان البلية من يمل كلامه * فانقع فؤادك من حديث الوامق

وقال غيره

واذا كرهت فتى كرهت كلامه * واذا سمعت غناءه لم أطرب

أردت مكاتبة الرئيس ثم أشفقت على سمعه أن أملاه بالكلام الغث وعلى ناظره أن أشغله بالخط الرث ورأيت رشاء بلاغتي أقصر وقيمة ألفاظي التي فيها أقل وأحقر من أن أعرضها لنظره وأمرها على سمعه وبصره وأتعرض بها لخطة أسلم طرقها طريق العذر وآمن مسالكها مسلك التغافل والستر ومن فطن لعيبه فقد استتر ومن عرف ذنبه فقد اعتذر ومن مد يدا قصيرة ليتناول بها غاية بعيدة فقد استهدف لسهام التوقيف وقعد على قارعة التقريع والتعنيف وسيدي يعتذر عني اليه ويقرأ سلامي عليه ويعرفه عني أني أعد نيسابور رستاقا اذا غاب عنها وأعد الرساتيق قصبة اذا أقام فيها وأني لا آنس بشيء اذا غبت عنه كما لا أستوحش من شيء اذا قربت منه والله تعالى أسأل أن يرد على نيسابور بقدومه بهاءها ويعيد اليها بطلعته سناءها وضياءها

ويجلى بشمسه ظلماءها وأن يجعل نعمته عليه ألوفا لاعزوفا فان النعمة اذا الفت قرت واذا عزفت فرت لانها لاتألف الا مكانا تتزين بنزوله ولا تقيم الا على باب لاتأنف من دخوله ولا يطول مكثها الا في بيت للشرف فيه مجال وللمادح فيه مقال وللادب فيه مرح ولعصا الامل فيه مطرح فاذا أصابت مثل هذا المكان نفضت غبار الترحال ونسيت حديث الزوال والانتقال وخالطت خلطة الشركاء وواصلت وصلة الاقرباء وصارت من الاجداد الى الآباء ومن الآباء الى الابناء واذا كان نزولها في مكان هي فيه غريبة احتشمت حشمة الغرباء وانقبضت انقباض الاجانب البعداء وانقلبت الى الارتحال وأقامت بين الدلال والادلال ولم يكن مقامها الاعدد أيام وأضغاث أحلام وانما النعمة أنثى اذا أصابت كفؤا ناكحت واذا صادفت غير كفؤ سافحت فهي تقيم مع أكفائها الشهر والدهر وترحل عن غير أكفائها الظهر أو العصر وأين يقع مقام الخليلة مع خليلها من مقام الحليلة مع حليلها وانثى ما أسسه الحق وبنته الشريعة خير مما أسسه الباطل وبنته البدعة والله تعالى يطيل بقاءه ويجعل من يحسده فداءه

(وله)

(الى أبي الحسن الحاكم بن أبي حاتم لما هرب من نيسابور الى بخارى بعد أن أرادوا القبض بها عليه وبعث خلفه فلم يجده)

مازلت أنشد أيد الله الحاكم قول الاول

رب أمر تتقيه * جر نفعا ترتجيه
خفي المحبوب منه * وبدا المكروه فيه

فأنظر الى تنزيله ولا أقف على حقيقة تأويله وأرى ظاهره ولا أستشف باطنه حتى جرى من خروج الحاكم ما جرى ووقى الله تعالى من المكروه في ذلك ما وقى فعلمت حينئذ أن ألطاف الله تعالى تسري الى عباده في طرق خفية المذاهب دقيقة الجوانب وأن السلامة ربما نشأت في معرض الخطر وأن الامن ربما ظهر في قالب الخوف والحذر وانا الشيء مما أمرنا أن نستعيذ من

شر

شر ما ندرى وما لا ندرى وما كنت أشعر أن فراق الصديق يسر وأن
الاجتماع معه يضر ولا كنت أصدق أن الداء يستحيل دواء ولا أن
الدواء يجلب داء ولو رأيت فى المنام أنى فارقت الحاكم فلم تتفطر عليه كبدى
حرقات ولم تذهب نفسى فى أثره حسرات لتعوذت بالله من شر منامى
وسألته العافية من طوارق أحلامى واظننت أن تلك الرؤيا نتيجة فكر ردى
وبخار خلط سوداوى وأنى انما دفعت فى منامى الى مثل هذا التخليط لأكل
الباذنجان والقنبيط فانهما منابع السوداء على مذهب الاطباء والآن
قد فارقت الحاكم وأنا ضاحك السن قرير العين قليل الحزن جلد على وقع
سهام البين لانى نظرت الى العافية وهى متعلقة بذنب رحيله عنا والى البلايا
وهى مشتملة على قربه منا فاخترت على مقامه رحيله وآثرت على قربه
اغتمامى له وقلت يا عين لان ترى فراق من تحبين خير من أن ترى فيمن تحبين
ما تكرهين فالحمد لله الذى أفضى بى من المكروه الى اخفه وقعا واقله لذعا
وانتهى بى من المحنة الى غاية لم تستغرق أقصى امكان الدهر ولم تستوعب أبعد
غايات التجلد والصبر وما نقص من الشر فهو زائد فى أقسام الخير وما وقع
من المكروه فهو محبوب وان كره ظاهره ومحمود وان ذم عاجله وما كنت
أحسبنى أعيش حتى أحمد الله تعالى على فراق الاصدقاء واتكلم فى مواقف
الضراء بما يتكلم به فى مواقف السراء ولقد أغرب على الدهر وما كنت
أظنه يغرب على ويزيدنى من نوادره على ما لدى هذا أيد الله الحاكم
وقد بث الاعداء شباك الغدر ونصبوا حبائل المكر واستفرغوا فى السعاية
جهدهم وأخرجوا أقصى ما عندهم فأبى الله تعالى وله الحمد أن يقع
فى البئر الا من حفر وأن يحيق المكر السيئ الا بمن مكر وخرج الحاكم
من غيابة تلك الاهوال خروج المشرفى من الصقال وقد قذيت عنه عين
الزمان وقصرت دونه خطوة الحدثان

اذا أذن الله فى حاجة * أتاك النجاح بها يركض

(اذا الله سنى عقد شئ تيسرا) والحمد لله الذى لم يرنى وجه الحق أسود ولا ناظر

العدل والتوحيد أرمد ولم يشمت الناقص بالفاضل ولم يضحك من الحق من الباطل ثم الحمد لله الذي جلا تلك الضبابه وقشع تلك السحابه وغسل عن وجهي وعن أوجه أهل الحق تلك الكآبه ثم الحمد لله الذي ختم للحاكم بالمصير الى حضرة عليها يترفرف الرجال وعليها تحوم الهمم والآمال واليها تنتهي الرغبة والسؤال فلا مجاز لهمة خلفها كما لا منتهى لهما دونها ولا غاية لطالب قبلها كما لا نهاية له بعدها وأرجو أن الدهر المحارب قد سالم وأن البخت المعاند قد سلم وأن مدة الفترة قد تناهت وأن غاية المحنة قد انتهت وأن عسكر النحوس قد عزم على القفول وأن نجم الهم قد آذن بالافول وأنا بعد هذا كله أتعجب من كثرة قولي الحمد لله ثم الحمد لله وأقول هذا حمدي على فراق الاصدقاء فكيف حمدي على اللقاء وهذا شكري على المحنه فكيف به على المنحه وقد كان مات لعبد الملك بن مروان ابن فقال الحمد لله الذي يقتل اولادنا ونحبه وأنا اقول الحمد لله الذي يفرق عنا اخواننا ونحمده

﴿ وكتب ﴾

(الى وكيل الوزير ابن عباد باصفهان وقد ولي سوق الطعام بعنايته وهو أمي)

كتابي وقد علم الله تعالى أن أمرك مستول على أفكاري وشاغلي عن ساعات ليلي ونهاري فانك بصدد شغل ان كفيته لم تشكر وان عجزت عنه لم تعذر اذ كان الاحسان في شرطك والاساءة غير مظنونة بك والذي أراه لك أن تقسم لكل ساعة حقا من نفسك وتصرف الى كل وقت طائفة من شغلك ولا تبيت ليلة الا وقد أنفقت وظيفة يومها ولا تمر بك ساعة الا وقد توفرت عليها بقسمها ولا تؤخر عمل اليوم الى الغد ولا تهمل نفسك في شغل السبت الى الاحد فان الاشغال اذا تزاحمت اعمت الناظر وشغلت القلب والخاطر وبلدت الكافي والماهر وكيف مثلك وانت اعزل اليد من سلاح الكتابه مصروف عن اعظم حظوظ الكفايه فاياك وتعريض ماقي عندولي نعمتي للمنضوب ووجهي للشحوب واياك وتحصيل اسمي في جريدة الاذواء فيقال طاهر ذو اليمينين وعلي بن سعيد ذو القلمين والفضل بن سهل ذو

الرياستين

الرياستين واسحق بن كنداج ذوالسيفين وصاعد بن مخلد ذوالوزارتين
وفي المتقدمين خزيمة بن ثابت ذوالشهادتين وقيس بن مسعود ذوالجدين
وابن الشريد ذوالسهمين والنعمان بن المنذر ابن ماء السماء ذوالقرنين
وكعب بن مامة ذوالكابتين وجعفر ذوالجناحين وعثمان ذوالنورين
وفلان ذواليدين وفلان ذوالشمالين وفلان ذوالبردين وعبدالله ذو
النجادين وابو بكر الخوارزمي ذوالغرامتين وذلك أني ثقات على ولي
نعمتي في حوايجي مرة ثم اذل عليه اخرى في حوايجك ثانيه على أنه ايده الله
واسع الحكمه طويل الخطوه كثير التوسع والمسامحة في باب النوال مع
السؤال وهو شديد الشكيمة ضيق الحكمة قطوف الخطوة في باب
الاموال مع العمال يسامح في بدرة سائلا ويضايق في حبة عاملا وكذلك
الكريم يتسع من حيث السخاء ويضيق من حيث الوفاء ويبتذل ماله تحرجا
ويحمي دينه تحرجا فلا تحملني معه على خطة ان اجابني منها الى مرادي
استوحش وان منعني أوحش ولا تأمن السماء باصفهان اذا كان درياقه
بخراسان وفي هذا المقدار ذكرى لمن كان له قلب واعانة على من له لب
الاستاذ فلان ايده الله قد كثرت كتبي اليه وطال عرض صداعي عليه
ولذلك لم اكاتبه في هذه العلة التي عظم موضعها مني وجل خطرها في قلبي
وعيني ولقد اعتل بعلته الكرم وشكا بشكايته السيف والقلم وكسفت
به شمس الادب وتزعزع له عرش العرب فانها علة مثله تغير عالم وفساد أمم
وخراب ممالك واضطراب ممالك وكثرة للنقص على الفضل ودولة للجهل
على العقل ووهن على العلم وأهله وفترة في الكرم وحزبه والله يعيد بصحته
الى الدنيا ضياءها ويرد على السحب ماءها ويجعل ما يستأنفه من عمره
ويقبله من عيشه مصفى من الغير منقى من الوضر وخالصا من كل خوف
وخطر وصافيا من كل شوب وكدر ليكون ما مضى كفاره وما بقي نعمه
سيدي فلان قد قطعني عن عادته الجميله وارتجع ما كان عندي من عطيته
الجزيله وقطع عني كتبه التي كانت اذا وردت علي حسدت على لمسها ايدي

قوله الاستاذ الخ هكذا في الاصل بدون فاصل له عما قبله والذي يظهرهما يأتي انه رسالة اخرى في موضوع آخر تامل وحرر اه مصححه

وعلى لحظها عيني واحتسب علىّ ما زاده الله تعالى من رتبه ورقاه اليه من غايه
ولعمرى لقد زاده الله تعالى جلالة قدر وكله كمال بدر ولكن تلك الزيادة
يحاسب عليها الاعداء لا الاصدقاء فأما من هو شريك فيها وآخذ بقسم منها
فلا بل زيادة النعمه توجب زيادة الصدقه وفضل المال يقتضى فضل النوال
والتواضع فى الرياسه احدى شبائك السياسه فاقرأ أعزك الله سلامى عليه
وعرّفه أنى قد كنت رويت ابياتا والقلب غير مقسم الافكار والحفظ غير
كليل الغرار فلما سلبنى الدهر ثوب الشباب ومزق على رداء الجمال والكمال
نسيتها فلما عاملنى سيدى فلان بما ذكرته ذكرتها ولقد احسن الىّ من حيث
ردّ رواتى علىّ وان كان أساء بى من حيث ارتجع منى برّه وجانس فىّ دهره
وفديت من له فى أثناء كل مساءة منه مسرّه وفى ضمن كل جفوة منه مبرّه
ومن ان احسن كان احسانه خالصا من كل شوب وصافيا من كل عيب
وريب وان اساء كانت اساءته بالاحسان مشوبه والى غير جهتها مقلوبه
والابيات

كفى حزنا أن لا صديق ولا اخا * يفيد غناء لا يداخله كبر
والا النوى أوطن أنك دونه * وتلك التى حلت فما عندها صبر
فلا نال فوق القوت مثقال ذرة * صديق ولا أوفى على عمره اليسر
وماذاك الا رغبة فى وصاله * والا حذارا أن يميل به الدهر

﴿ وكتب ﴾

* (الى ابى القاسم الداودى أول ما افتتح بمكاتبته) *

كتابى وعزيز علىّ أن يجمعنى والفقيه بقعه أو تشتمل علينا جمله والكتابة فيما
بيننا دارسة الاثر مهملة الورد والصدر واشد علىّ من هذا أن أفتتح ذلك
بسؤال حاجه أو أمزج ماءه وبهاءه بتكليف كلفه ولقد حاسبت على هذا
نفسى وعاتبت فيه قلبى فرأيت أن جفاء يؤدى الى البر وأن ذنبا يسبب
العذر عذر وأن حاجة حملت على طى بساط الحشمه وعمارة طريق المكاتبة
والمباسطه حاجة عظيمة البركه محمودة التفصيل والجمله فعذرت نفسى أعزنى

الله

الله قبل أن تعتذر وغفرت لها قبل أن تستغفر ونسيت قول الاول

وما حسن أن يعذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذر

حتى كأن هذا البيت لم يجر بين قلبي وكتبي ولم يسافر بين جنبي وقلبي وحتى كأنه لم ادرسه صغيرا ولم ادرسه الناس كبيرا وحتى كأني لم ارا الديوان الذي فيه والشعر الذي هو بعض قوافيه والعجب أني في هذا الفصل بينما انا اعتذر اذصرت أفتخر وبينما انا اضع من نفسي لجنايتها اذصرت اعدّاها لحفظها وروايتها وهكذا يكون من جمع جمع لبه وبنانه واسترله بتبيينه وبيانه بل هكذا يكون من جرى في ميدان الكتابة وهو راجل ورمى في هذه البلاغة وسهمه أفوق ناصل ثم نرجع الى حديث المكاتبة وانه لو كان الورق اغرب من السخاء والقلم أغلى من الماء في وسط الدهناء واقلّ من المغرب العنقاء وأعوزمن الكمال في النساء ومن المصدّق في الشعراء ومن ترك الرياء في الغزاء والمداد أضيق من الانصاف في الاصدقاء وحسن العشرة في الندماء بل اضيق من امانة الشركاء بل اضيق من خاطر أبي تمام حيث قال (قدك اتئد أفرطت في الغلواء) حتى كأنه لم يقع على أحلى من هذا الابتداء لما كان لي عذر في ترك مكاتبة الفقيه وبيني وبينه مسيرة ثلاث للبريد ومسيرة سبع للقافلة هذا في الظاهر فأمّا في الحقيقة فبيننا ألف فرسخ بذراع الميل وخطوة الفيل فان الخطوة بين المتحابين فراسخ كثيره ومراحل طويلة عريضه مازالت أيد الله الفقيه أورد على قول عمرو بن أبي ربيعة المخزومي

يا أهل بابل ما نفست عليكم * من عيشكم الا ثلاث خصال

ماء الفرات وطيب ظل بارد * وسماع محسنتين لابن هلال

وأقول هلا حسد أهل العراق على المنصرفين أو الوافدين او على الرطب السابري والتين الوزيري والعنب الرازقي أو على فرضتهم من ماء الساج والعاج وطرازهم بنوع الخز والديباج لا بل لا حسدهم على أنّ فيما بينهم ٢

مشهد أمير المؤمنين سيد الاوصياء ومشهد الحسين سيد الشهداء وهلا حسدهم على أن أرضهم واسطة العمارة فى خط الاعتدال بين الجنوب والشمال وهلا حسدهم على أن الرأى كوفى والاعتزال بصرى والخط أنبارى والحساب سوادى والتشيع عراقى وهلا حسدهم على قراء الكوفه وعباد البصره وأبدال الابله وعلى من هاجر اليهم من الصحابه وتبع فيهم من التابعين وأبطال الائمة وما الذى خالف به الى أن حسدهم على ظاهر مشترك بين سائر البلدان أو على قبتين كسائر القباب بكل مكان فى كل زمان حتى حدثت نفسى بمناقضته وحملت خاطرى ولسانى على معارضته فنظرت فاذا أنا جالس تحت قول الطائى

نقضنا للحطيئة ألف بيت * كذا الحى يغلب ألف ميت

اذا ما الحى هاجى حشو قبر * فذلكم ابن زانية بزيت

وتذممت من أن أعارض بلسان خوارزمى وعقل طبرى وخاطر أعجمى من لسانه عربى وعقله قرشى ونشوؤه مكى وظرفه مخزومى فعدلت عن المعارضة الى المناقلة فقلت يا أهل هراة ما حسدتكم الا على ثلاث مشهد عبد الله بن معاوية الجعفرى فيكم وكون أبى القاسم الداودى منكم وحصول شراب الكشمش لكم وان بقعة خصت بالفقيه لوافرة القسم من الاقسام معلاة السهم من بين السهام غير عاتبة على الحظوظ والايام فلا زالت البقاع ببقائه تضيء وتزهر والايام بجماله تباهى وتفخر ولا زالت الفصاحة من لسانه فى مسكن لا تريد منه بدلا ولا تبغى عنه حولا ولا زال العلم يأوى منه الى ركن منيع وجناب مريع وأطال الله تعالى للمحاسن بقاءه ولا سلبه زينه وبهاءه وجعل من يحسده عليها فداءه

﴿ وكتب ﴾

الى تلميذ له كتب اليه رسالة وقصيدة

وصل كتابك المبشر بخبر افراقك عن علتك بشارة لو تصدقت لها بمالى وذبحت لها على وجه القربان أطفالى لكان ذلك صغيرا جلالا ومباحا مبتذلا وفى

ضمنه

ضمنه القصيدة التي كبرت بل صغرت وقلت بل كثرت أما كبرها وكثرتها
فلجلالة قدرها وعظم أمرها وأما صغرها وقلتها فلانها في جريدة الشعر
وحدها لا مثل لها قبلها ولا بعدها وفهمتها وتعجبت من اعتذارك بالعلة
وما أرى هذه العلة زادتك الا رجحانا ولا نقصتك الا نقصانا ونقصان النقصان
اول الرجحان ثم مدحي ايدك الله المردعلي من نثرك وشعرك بل درك
وسحرك حتى خشيت أن يحسب أني أزف مدحي الى كل خاطب وأبذل
شهادتي لكل طالب وأن يظن أني أقارضك الثناء وأمارفك الجزاء ولا والله
مالي للدنيا استحسان الا والى جنبه لي احسان واني اضيق ذرع التزكية
والثناء قصير خطا المدح والاطراء محاسب لقلبي اذا مال وللساني اذا قال
لا أمدح الا محمودا بكل لسان ولا أرضى الا مرتضى في كل مكان ولا أقبل
مدلس الفضل ولا أتبع مغشوش القول والفعل ولا يستفزني رعد كل سحاب
ولا يستخفني طنين كل ذباب وسرعة الشهادة طريق من طرق الخفه وابتذال
المدح والتزكية باب من أبواب الملق والذله والمجازفة بحساب المقال اقبح من
المجازفة بحساب المال لان الغلط في المال سماحة وندى والغلط في المقال
حماقة وغبا وأقصى غايات فوات المال أن يكون صاحبه فقيرا وادنى غايات
فوات الصواب أن يكون صاحبه سخيفا حقيرا وبين الخسرانين نفس مديد
وبون بعيد ومن لم يعرف صرف ما بين النقصانين لم يعرف صرف ما بين
الرجحانين ومن لم يحس بنقص ما عليه لم يحس بفضل ماله ومن لم يحاسب نفسه
سرا حاسبه غيره جهرا ومن لم يكبح عنان لسانه وقلمه بيد التأمل ولسان
التبين جمحا به الى غاية أولها ندامه وآخرها ملامه جعلنا الله ممن اذا تكلم
لم يضع زمام كلامه في يد هواه واذا شهد لم يلق رق شهادته في عنق سخطه ورضاه
وحشرنا في زمرة من اذا تكلموا كانوا غانمين واذا سكتوا كانوا سالمين انه
أرحم الراحمين * (رجعنا الى حديث الرسالة والقصيدة) * نظمك أيدك الله
تعالى أحسن من نثرك ونثرك أحسن من شعرك فكل واحد منهما عيار على
صاحبه حسنا وجمالا ومثال له تماما وكمالا فالحمد لله الذي جعل بيانك

(قوله الرجحانين في نسخة الخسرانين اه

(قوله ولسان الخ في نسخة وبلجام التمثل اه

متكافئ الشرف متعادل الطرف والطرف وجعل سماء محاسنك مقابلة لارضها وبعض مناقبك منعوتة ببعضها ولو أنصفتك لاجبتك بقلبين ومدحتك بلسانين كما أنك تحسن الى من جانبين وتبرنى من لونين ولكن الى غايته ينتهى المدد وعند طاقته يقف المجتهد فأما اعتذارك بالعلة من وقوفك دون الغايه وبجريك فى بعض الحلبه فأحسن من الحسن استزادتك منه وأجمل من الجميل اعتذارك عنه والكتاب مذورديد ورق العيون والافهام ويسافر بين الدوى والاقلام وفهمت الفصل فى حديث المصيبة وانما كانت نازلة طرقت ثم مرت وشقشقة هدرت ثم قرت واذا قابلنا بين حسنات الدهر وسيئاته ووازنا بين طرفى ارتجاعه وهباته خرج له علينا حاصل كثير ولكن الانسان الى الشكاية أعجل وطريقها عليه أسهل ولقد أعطتنى الايام حتى صرت لا أحمدها اذا وهبت وأخذت منى حتى صرت لا أذمها اذا أخذت وسلبت

وفارقت حتى ما أبالى من انتوى * وان بان جيران على كرام
فقد جعلت نفسى على النأى تنطوى * وعينى على فقد الصديق تنام

(وكتب)

(الى رئيس سرخس وقد ورد عليه ابنه يعتذر من تقصيره اليه)

كتابى وقد كنت أخرج الى اخوانى من عهدة تقصيرى وأقراهم بما فى من عيب تفريطى وتعذيرى وأعرفهم انى أقف فى تعهدهم دون مقتضى حقوقهم وأخرج عما أريده فى برهم الى عقوقهم حتى اتفق الآن من ورود فلان ما كشف عن غيى وأبرز من عيى ونادى على بانى صديق مقال لا صديق فعال وان مودتى مجازية لا حقيقية ولسانية لا قلبيه وكان أقل ما يجب على وقد حضر مثله فى دارى أن أنثر عليه صك عقارى ثم أعتذر اليه من قلة نثارى وأن أعتق فى وجهه كل نسمة أحتوى بها وأحل له كل عقدة أتصرف فيها وأصبح صائما وأبيت قائما ثم أعتقد ذلك كله فى جنب الواجب هباء منثورا وقليلا محقورا ولقد كنت تذكرت وروده على ما رجوته

وتمنيته

وتمنيته ثم خففته واتقيته آثار جانى له محبا للقياه وأما خوفى له فعلما بقصورى عن بلوغ رضاه وضعفى عن اقامة شريطة ما يقتضيه حبى اياه وكنت

كبكر تحب لذيذ النكاح * وتفرق من صولة الناكح

وأما ولدى فلان فقد كشفته عن جوهرة كريمه ودرة يتيمه وقلبته عن عقل كثير وأدب غزير وشعر يحسده عليه الاعداء وتغبطه به الاصدقاء يلتقط بالابصار ويخزن فى الافكار وقريحة أصفى من ماء السماء وأصح من الوفاء فهو بحمد الله على قرب اسناده وحدوث ميلاده شيخ قدره وهيبه وان لم يكن شيخ سن وشيبه ووالده من حيث الذكر والفخر وان كان ولدا من حيث العرق والنجر ومثل والده فلان خرج فأغرب وأدب فهذب وولد فأنجب (ان الاصول عليها ينبت الشجر) وليست النجابة فى هذا البيت موروثة عن كلاله ولا خارجة عن رسم وعاده أمتعنا الله بهذا الولد الذى سبق الاولاد وأحيا الآباء والاجداد وأرغم الاعداء والحساد وكتب اسمه فى حسنات الايام بل فى حسنات الانام كما كتب شعره فى محاسن الكلام وألهمنا من شكر نعمته به علينا ما نرتهن به بقاءها ونتملى معه بهاءها فان النعم اذا ارتبطت بالشكر أقامت وسكنت واذا لقيت بالكفران قامت فظعنت وأما أيام فلان عندنا فقد كانت أطيب من ليل المراد ولكنها أقصر من ساعات الاعياد ولكن

لم أستتم عناقه للقائه * حتى ابتدأت عناقه لوداعه

وما كان قدومه الا تهييجا للشهوه وتطرية للشوق والصبوه ونكأ للقرحة التى كانت تقرفت بالصبر والسلوه وسبحان من جعل فراقه بالمن الرازى ولقاءه بالمن البغدادى وجعل مدة غيبته مشاهرة ومعاومه ومدة أوبته مسابعة ومياومه ولو أنصفنا الدهر لكانت مدة الفراق فى أوزان مدة التلاق وكان السم بازاء الترياق سألت فلانا عن جسم سيدى فى صحته وعلته وفى ضعفه وقوته فعرفنى ما سرنى فلا زال صحيح الخلق كما هو صحيح الخلق وقوى الجسم كما هو قوى الدين والعلم وسليم الاعضاء كما هو سليم الود

والوفاء ولازالت أوقاته تتنافس بهاء وتتفاضل حسنا وضياء يومها فوق أمسها ودون غدها وقد كنت قبل لقاء فلان رطب اللسان بانشاد

متى يكون الذى أرجوه وآمله * أما الذى كنت أخشاه فقد كانا

فلما فارقته صرت أنشد

صلى الاله على امرئ ودعته * وأتم نعمته عليه وزادها

(وكتب)

(الى صاحب البريد بالرى كتبها من اصفهان)

قد كنت أحسب الفراق يسير الخطب هين الوقع قليل العبء والثقل خفيف الكل والظل حتى دهيت بفراق سيدى فعلمت من مقدار الفراق ما كنت جهلته ووجدت من شخصه ما كنت أضللته وعلمته من طريق المطالعة والمعرفه وانما كنت أراه من طريق التخيل والصفه وتذكرت قول جرير

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم * هذا الفراق فعلت مالم أفعل

ولكنى لو علمت أنى أقعد تحت أعباء الاشتياق وأتفسخ تحت ثقل الفراق لصحبت سيدى فراشا أو ركابيا أو طباخا أو شاكريا ولو وسعت أكثر من ذلك لقلت أصحبه كاتبا أو حاجبا أو نديما أو صاحبا أو مغنيا أو ضاربا ولكنى أخشى أن يتفضل سيدى بقبولى وينشط لحضورى ويحملنى عند المشاهدة على شرائط المحبه ويتقدم الى بالخروج من العهده ويقول ايها المبرز علينا نفسه فى معرض الدعوى العريضة دونك فاكفف عما ادعيت أو فاكفف فيما حكيت واضرب عما أظهرت وأبديت فاذا بسيدى أبى بكر أخجل من بخراء تسكلمت ومن فوهاء تبسمت قد جلس على قافية الدهش والتحير وفتح جراب الخجل والتشور وحك لحيته خجلا وعبث بلحيته ارتيادا وذهلا وأخذ يتشاغل بالحديث عن السدى وعن الحسن البصرى وعامر الشعبى وينشد

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

اللهم

اللهم انا نعوذ بك من مواقف الانخذال ومن سقطات المقال ومن دعاوى المحال سبحان الله ليت شعرى ما الذى يجر بى الى كل هذا الهذيان وما الذى حملنى أن أركض فى عرض هذا الميدان وما الذى مال بى من ذكر الاشواق ومن حديث الفراق الى كل هذا الحديث الغث والكلام الرث وهكذا من ركب الجواد وليس بفارس وبكاتب وليس بكاتب ويقرع باب صناعة لم يستوف حقوقها ولم يسلك طريقها ولم يختلف الى أهلها ولم تتقرر قدمه فيها قد خرجنا الآن من هذا الميدان ورجعنا الى باب هذر البوم والغربان وأنا والله أشوق الى سيدى منه الى احراز خصل المجد وتحصيل قصب الحمد بل أشوق اليه منه الى الاحسان الذى هو أخوه وشقيقه والافضال الذى هو شريكه ورفيقه بل أشوق منه الى اصفهان والى فراق خراسان بعد ما عاين ماعاين من تفاوت أحوالها وسخافة رجالها وحقارة أعمالها بل عمالها ولو لم ير سيدى فيها من طبقات الخلاف غير كاتب هذا الكتاب لكان كافيه فى هذا الباب المخلقون صانهم الله قد أنفذت رسولى اليهم وعرضت مالى وقليل جاهى عليهم فانقبضوا ولا ألومهم على ذلك بعد ما رأيت من انقباض سيدى عمن كان لا يخل عليه بملك خراسان وتاج أنوشروان وصرح هامان وطرازى قاشان وخوزستان بعد ما عرض عليه ما يملك عرضا غير سابرى وبذله له بذلا غير مجازى والانقباض فى غير مكانه توكيد للحشمه وظلم للود والثقه وقطع لعلائق المباسطة والخلطه وكذلك الانبساط فى غير مكانه استهداف للهوان واكتساب للمقت والشنآن وفتح لباب الهجران وتعرض لقطيعة الاخوان

(وكتب)

(الى أردهل وقد ورد عليه خبر علته)

كان ورد على خبر علة الشيخ وبلغ منى ما لم يبلغه شىء قبله ولا يبلغه شىء بعده وأردت أن أرسل اليه فى ذلك رسولا وأفرد نحوه فيه كتابا ثم رأيت فى قراءته للكتاب تعب ناظره وفى انتظار وصول الرسول شغل خاطره فأبقيت عليه

بقيا تحتها اجفاء وراعيت حقه مراعاة فى أثنائها تغافل واغضاء وقد ورد الآن خبرا فراقه من علته جعل الله ذلك آخر محنته وأول نعمته فكان سرورى بالاخرى فى وزان غمى بالاولى لاغم الله فى الشيخ أصدقاءه وحرس من الحوادث حوباءه ومن الغير فناءه ولا أرانى الزمان فيه ظفرا فان الزمان حديد الظفر لئيم الظفر دقيق النظر حلوا لمورد مر المصدر معين للئام على الكرام والليالى على الايام ممالئة على الضوء للظلام تقاطرت على كتب ثلاثة وفلان يذكر ما وجده لكتابى عند الشيخ من ايجاب ولحاجتى من اسعاف واطلاب حتى قلم عنهم أظافير الايام وقشع لهم ضبابة الاهتدام وأراهم من النجاح مالم يروه فى المنام وهذه نعمة أحتاج لها الى دهر أوسع من دهرى والى عمر أنفس من عمرى والى شكر أبلغ من شكرى فأما هذا الدهر وهذا العمر النزر فلا يسع أن أشكر فيه حرا اللهم ارزقنى زمانا أوسع من زمانى ولسانا أفصح من لسانى وبنانا أجرى من بنانى حتى أقضى بالشكر حقوق اخوانى فلا بذل الا بجود ولا جود الا عن موجود ولكن الدعاء غاية من ضاق امكانه ولم يساعده زمانه وقطعت عن مسافة همته خطوة جدته وبه يكافئ من قلت بسطته وعجزت مقدرته وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل الشيخ غاية لسؤال كل سائل ومثابة لامل كل آمل ورحلة لكل راحل وأن يجعل ألسنة اصدقائه مشغولة بشكر آلائه كما جعل قلوبهم مشغولة برجائه وأنفسهم مرتهنة بنعمائه ويجعلهم بل يجعل زمانهم بهائه

(وكتب)

(الى يزيد صاحب سمرقند)

صدر منى الى حضرة سيدى كتابان أحدهما عامى والآخر خاصى فلا جرم حرمت جواب الماضى ولم أرزق جواب الثانى وقد أنتظر غير ما جاءنى به الزمان وعارضنى به الحرمان لان الزمان لايستحق منى حسن ظن ويستأهل أن أصيبه بعين مع ذنوبه الى التى اذا ذكرتها كانت غيبة سيدى أولها وانقطاع

اخباره

أخباره عني وسطاها ولكن لأني كنت أظن أنّ سيدي يغلب بكرمه لؤمه ويهزم بيمنه شؤمه ويحوّلني عن شكايته الى شكره وينقلني من حربه الى صلحه فالحمد لله الذي جعل سيدي كأهل زمانه وان قدّمه عليهم بفضله لاقرانه وأخرجه من وحشة الوحدة الى أنس الجماعه ونقله في معاملته لي عن قبح البدعة الى حسن السنه بخلطته بهم وشكونه شكايتي لهم وقلت فيه قولي فيهم فيا سبحان الله في أيّ طالع ولدت وعلى أيّ بخت رزقت حيثما أواصل أرى صدّا وأينما أتوجه لا أرى سعدا قال عبد الله بن المعتز

قولا لمكتوم يا خير البساتين * الحمد لله حتى أنت تجفوني

قد كنت منتظرا هذا لجئت به * وليس خلق على غدر بمأمون

وأنا أقول

قولا لمولاي في الدنيا وفي الدين * الحمد لله حتى أنت تجفوني

وقد صرت أناقض ابن المعتز في شعره طربا مني على مخاطبة سيدي وذكره والطرب يرخي العنان ويبصر العميان ويجرّئ الجبان ويجري اللسان والبنان لازال ذكر سيدي يطرب اخوانه حتى ينطقوا وهم بكم ويعربوا وهم عجم ويفصحوا وهم غتم ولازال أصدقاؤه يعاتبونه على كتاب يقطعه وبرّ يمنعه ظمأ منهم الى فائدة من فوائد كلامه وحرصهم على غريبة من غرائب لسانه وأقلامه وأطال لهم بقاءه وصل أم صرم أعطى أم حرم أهان أم أكرم أنصف أم ظلم فلا خير في حبّ لا تحتمل أقذاؤه ولا يشرب على الكدر رماؤه وانما العشرة مجامله لا معامله والمجاملة لا تسع الاستقصاء والكشف ولا تحتمل الحساب والصرف ولكني انما أعاتب سيدي لا توصل بذلك الى حلاوة اعتابه وأخاطبه الا أرضاه لا تسبب به الى ما أرضاه من جوابه وأرجو أن الناس يغتفرون سوء الابتداء بحسن الجواب ويعلمون أنّ الخطأ اذا سبب الصواب فهو ضرب من الصواب ليت شعري ما الذي ورد عليه سيدي من عمله وهل رأى صيدا أم قيدا أووجد سعدا أم سعيدا ويا ليت شعري ما الذي استفاده بعدنا من الاخوان ووجده من ضوال المودّة

والخلصان وعهدى به يلتقط الاخوان التقاط الحب ويتقيهم انتقاء الحب ويدخرهم بين العين والقلب ويعدهم الكنز الذى لا عمل فيه للزمان والركاز الذى لا نصيب فيه للسلطان

(وكتب)

(الى الوزير ابن عباد لما ورد باب جرجان لقتال الامير قابوس بن وشمكير)

كتابى وأنباء ما يترامى الىّ من أخبار نعم الله تعالى على الوزير فى حله وترحاله وسائر متصرفاته وأحواله قرير العين قوىّ الظهر شديد الازر راض من أفعال الدهر أسمع كل يوم بشرى وأحتل للايام نعمى فاما أحوالى فقاسكة ببقايا نعم الوزير علىّ وآثاره لدىّ فان فارقتنى أمطاره فاكثر غدرانها ما نضب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين قد كانت كتبى انقطعت عن حضرة الوزير صيانة لسمعه عن أن أقرعه بالكلام الوسط وشفقة على ناظره من أن أجيله فى الخط السقط وعلما منى أنى اذا قطعته على هذه النية فقد وصلته واذا جفوته فقد بررته حتى ورد علىّ الآن خبر حركته الى هذه الوجهة التى ركب اليها مطية الاقبال وجذب نحوها أزمة الآمال واستظهر عليها بعساكر الايام والليال فلم أجد بدا من الاذكار بنفسى التى انما ارتبطتها لتلك الخدمه وأمسكت رمقها ببقايا تلك النعمه ولعمرى انى لاعرض منها ماء راكدا ومتاعا كاسدا ولكن الاستاذ الوزير بصدد حرب وعارض خطب والمحارب يحتاج الى طبقات الناس فيجعل الخاصة منهم عدة وعتادا والعامة حشوا وسوادا قد شمرت أيد الله الوزير ذيل المحارب ورفعت رجل الراكب وفارقت خراسان عزما وان كنت بها جسما واذا ورد علىّ له اذن طفرت الى عسكره طفرة تطوى المراحل وتأكل المناهل بعد أن حصلت من العتاد والعده والشوكة والشكه ما ينتظم شرائط أوس بن حجر الاسدى ومزرد بن ضرار التغلبى قال أوس

وانى امرؤ أعددت للموت بعدما * رأيت لها نابا من الشر أعضلا

وقال مزرد (وعندى للحرب العوان مهند) هذا غير ما عندى من العدة التى

لم يصنعها غير الله صانع ولم يبعها غير الايام بائع على * أيد الله الوزير من انقاء
قبالي الى اقباله درع لا تصديها الايام ولا تنفذ فيها السهام وعلى رأسي من
واقية دولته مغفر لا تعمل فيه السيوف ولا تمر بطريقه الحتوف وبيدي من
صنعه بنسه وبركته قوس وترها الجد وسهمها السعد وفي عنقي من
صقال نعمته سيف يقطع الآجال لا الاوصال ويهزم الاقدار لا الرجال
وتحتي من نتاج شوقي اليه فرس اذا اسرت به طار واذا وقفت به سار الشوق
عنانه والايام ميدانه والعجلة سرجه والسوط لجامه والعزيمة لببه وحزامه
فان أذن لي الوزير في ورود عسكره المحفوف بجناح النصره المكنوف بجوانب
الدولة والكثره رأى مني بحمد الله تعالى فارسا مل ء العين كما سمع مني عالما
مل ء الاذن فيعلم حينئذ أن اقباله خرج له تلميذا انتظم فيه فروسية اللسان
وفروسية السيف والسنان ويكر في معركة الطعان كما يكر في معركة البيان
ويثبت اسمه في جريدة العلماء والفرسان فان الاقبال ربما التقى طرفاه والكمال
ربما اعتدل جانباه والاحسان ربما تكافأت يمناه ويسراه واذا كان الوزير
وهو استاذ فارس الميدانين وسابق الرهانين وكانت يده تجيل قدحي الكرم
وتجمع بين السيف والقلم وتحذق آداب العرب والعجم ولم يكن القباء أليق به
من الطيلسان ولا الدفتر في يده أخلق من السيف والسنان فلا بد لنا معاشر
تلاميذه من أن نرقى على درجه ونمشي في نهجه واذا كانت حياته نفسها الله
تعالى حياة أمته ونفسه صانها الله تعالى مقسمة من نفوس حجه فلا بد من أن
تفديه أصحاب تلك النفوس بنفوسهم وأن يلقوا دونه السيوف بوجوههم بل
برؤسهم وأن يخدموه في مواطن المنايا كما خدموه في مواهب العطايا وأن
يبذلوا معه مجهودهم قتالا كما بذل معهم مجهوده نوالا وأن يبتذلوا فيه
النفوس الكريمه كما يبتذل فيهم النفائس العظيمه هذا واجب في قضية الكرم
والمجد لازم في شريطة الوفاء والعهد على أني أطلق العدو واذا أظلته تلك الراية
المنصورة بخطو خطوة أولها جرجان وآخرها خراسان تقليدا لاوليه وجريا
على وتيرة أبيه فانه أعقل من أن يقذف أمه ويخالف أباه ومن خالف

والده فقد نفاه سيهزم ابن رجل طالما هزم وينهزم ابن رجل طالما انهزم
ومن أشبه أباه ما ظلم

(وكتب)

(الى كثير بن أحمد يعزيه عن ابنته)

نحن معاشر أولياء الشيخ ومتحملي أعباء نعمته والمتسمين بسمة كلمته اذا صدئت قرائحنا وفسدت أذهاننا جلوناها بمجالسته وغسلناها عن وضر التغير باتباع طريقته وسسنا أنفسنا بما نراه ونتعلمه من سياسته لبطانته ثم رعيته واذا كانت الحال هذه فمن المحال أن نبيع على الشيخ ما اشتريناه منه وأن نجلب اليه ما جلبناه عنه وأن نقيم أنفسنا مقام المعلمين ونقيمه مقام المتعلمين وأن نحمل اليه مواعظ بذلة كلامه منها أبرع وبداية توقيعاته منها أبدع ولكن لا بد للمحب أن ينطق لسانه وقلمه بما يترجم به عن ودائع صدره ويعبر عن نيته وسره ولا بد لمن شاركه ربيبه في أيام الرخاء والمواهب من أن يشاركه في أيام الغموم والمصائب ليكون قد خدمه في النوبتين وتصرف معه على الحالتين وأثبت اسمه في جريدة الشركاء المساهمين مرتين وبلغني خبر المصيبة فاغتممت بها غمين ونفذت الي سهام الفجيعة من طريقين أما احداهما فهي أني أغار على هذه الجنبة الكريمة وعلى هذه الدولة المستقيمة من أن تنفذ فيها رمية الزمان أو تتناولها يد من أيدي النقصان وأما الثانية فهي أني علمت أن الفجيعة اذا لم تحارب بجيش البكاء ولم تقاتل بالاذاعة والاشتكاء تضاعف داؤها وزادت أعباؤها وانما السم ترياقه المباثة والموت خرق رفوه التسلية والتعزية قال ذو الرمة

لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد أو يشفي نجيّ البلابل

واذا كان لا بد من عين تصيب طرفا من أطراف الكمال ولا بد من عوذة يعوذ بها وجه الجمال فلأن تكون الواقعة في الصغير خير من أن تكون في الكبير ولأن يقع سهم الزمان على النسوان أمثل من أن يقع على الذكران فالحمد لله الذي جعل في طي المحنة منحة ومزج بالترحة

فرحة

فرحه فستر عورة من حيث سلب أنساً وزهه وكفى مؤنة من حيث جلب نفعه وأبقى الكبير الكثير من حيث أخذ واحدة صغيره وجمل والدا من حيث أثكل والده وهكذا تكون مصائب المقبلين المجدودين فان الدهر اذا ساءهم في القليل أحسن اليهم في الجليل واذا كاشفهم في الخفي المستور صانعهم في الجلي المشهور والمدابر أمثالنا فانما تكون محنتهم صافية صرفا وخالصة بحتا والدهر يسلم أين الزبون ومن المغبون وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل المتوفاة لوالديها فرطا وأجرا وكنزا من كنوز الجنة وذخرا وأن يجمع بينها وبين البتول فاطمة بنت الرسول صلوات الله عليهما وبين خديجة الاسديه وآسية الاسرائيليه بنات الاكرمين وأزواج المرسلين صلوات الله تعالى عليهم أجمعين وأن يحشرها شفيعا تقبل شفاعته وتقضى في والديه وأهل بيته حاجته ويعوض عنها الشيخ أبا الهاسوى الخلق والخلق شريف الفعل والعرق ليستوفي الشيخ في يومه أجر الصابرين وفي غده جزاء الشاكرين وليكون قد قضى الله تعالى حق الربوبيه من طرف العبوديه وأن تكون هذه الحادثة خاتمة حوادث الزمان وساقة عساكر النقصان فلا يرى بعدها في تلك الدار الشريفة الا موهبة مستطرفه وفائدة مستجدة مستأنفه حتى يشتغل بالتهاني عن التعازي وبالمدائح عن المراثي

(وكتب)

(الى أبي محمد العلوي جوابا عن كتابه)

ورد علي كتاب السيد مبشرا من خبر سلامته بالبشرى التي تنسي كل بشرى وبالنعمى التي تلغي كل نعمى وبالفائدة التي تنتظم فوائد الاولى والاخرى وفهمته ولما بلغت منه الى ذكر الاعتذار من تأخر كتابه عني وشمول النعمة بأمثاله للناس دوني امتلأت عجبا وعجبا ورأيت لي في كل جارحة قلبا ورأيت السيد قد سلك بي من التواضع طريقة قد رفعه الله تعالى عنها وجعله بنجوة منها وتكلف لي ما لو تكلفته له لكنت سالكا طريق الافراط وراكبا مطية الغلو والاشتطاط وكيف به وهو وانما كلامه لنا معشر شيعته كنز وذخر وعز وفخر

ومال ووفر وكبر وكثر وحياة وعمر فكيف كتابه الينا وسلامه علينا والرئيس اذا أعطى المرؤس فوق حقه فقد استرجع منه واذا باسطه بما لا يسعه قدره فقد انقبض عنه والاشياء اذا أفرطت فى الرجحان عادت الى النقصان ذكر السيد أنه لا يرضى لمكاتبتى عنه وكتابته ولا ينزل فيها على حكم بلاغته وهذا كلام لولا أنه قد جرى به بنانه ونطق به لسانه لقلت تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا لقد جئتم شيئا اذا الكتابة أيد الله السيد صناعة تجانسنى لها مجانسة النور للظلام وتناسبنى لها مناسبة الاروى للنعام ولم أقرع بابها ولم أعلق أسبابها ولم أعاشر أربابها وأصحابها ولا ادعيتها بقلبى ولا لسانى ولا ادعاها لى أصدقائى واخوانى ولا تمنيتها اذ كان التمنى انما يتعلق بذنب الامكان ويمشى فى طريق الكيان ولا احتلمت بها اذ كان الانسان انما يتوهم وسنان ما يتفكر فيه يقظان ولا دعوت الله تعالى بها لانه أمرنا أن نسأله ما لا ينقض العاده ولا يفسد التكليف والمصلحه ولو كنت أجوز على نفسى شيئا منها لجوزته من طريق اتصالى بجانب السيد فان المواصلة ربما صارت مقاربه والمقاربة ربما جلبت مشاركة ومناسبه وهب أن ذلك كان فكم وكم مقدار ما يتعلق بذيل المعاير من دراهم الصيرفى وكم مقدار ما يتعلق بثياب الجليس من طيب العطار والصيدلانى وكم يحصل من الكتابة على مجالسة السيد فى كل اسبوع ساعه وعلى رواية له فى كل شهر كتابا أو رقعه اللهم الا أن يكون السيد أراد بما ذكره رياضتى لاتهذب والتعريض لى بذكر الكتابة لكى أتكاتب فان هذا باب من أبواب الحث والبعث وصنف من أصناف الرقى والنفث قد يقول الاستاذ لتلميذه أحسنت يا سيد الادباء وأصبت يا واحد العلماء ليلقطه بذلك طعم التقدم وليرقيه فى درجات العلم بالتعلم فان كان السيد هذا أراد فقد بلغ المراد وها أنا بعد اليوم أقرع باب الكتابة وأتسلق على حيطان البلاغه وأجمع ما أقدر عليه من رسائل السيد فأحفظها صدرا صدرا بل سطرا سطرا وأردد كل واحدة منها خمس مرات بل عشرا فان خرج فى ذلك فالحمد لله الذى

وزفني ثم للسيد الذي حركني وان تكن الاخرى (فبلغ نفس عذرها مثل مضيع) ذكر السيد أن اعتداده بي اعتداد العلوي بالشيعي والمعتزلي بالمعتزلي وأنا أقول مكافيا لا مباريا ومتابعا لا منازعا اعتدادي بما رزقنيه الله من اعتداد السيد بي اعتداد الصحابة بالنبي عليه السلام واعتداد الشيعة بالوصي واعتداد المعتزلة بالحسن البصري واعتداد الحجازيين بالشافعي واعتداد الزيدية بزيد بن علي واعتداد الامامية بالمهدي لا بل اعتداد العاشق بالتلاق والظمآن بالري لا بل هو اعتداد محمد بن العباس الطبري بالسيد ابن محمد العلوي وهذا ميدان يحتمل الفرسان وفصل يتسع للتصرف والجولان ولكني أكره أن أشق على السيد في الجواب وأن أكلفه دخول هذا الباب ذكر السيد أن انكفاء البنا قد قرب وأن حجم الغيبة قد صغر وذرعها قد قصر وأنا أسأل الله تعالى أن يصدق هذا المقال ويحقق هذا الفال ويريني تلك الطلعة التي اذا رأيتها لم أتنغص بغيبة الغائبين واذا فقدتها لم أتهنأ بحضور الحاضرين واذا نظرت اليها فيومي سعيد بل عيد وفصلي مربيع بل ربيع واذا تصفحت بها تصفحت بالنظر الى النبي والوصي عليهما السلام والى البتول ابنة الرسول والى السبطين الشهيدين الحسن والحسين والى السجاد زين العابدين صلوات الله تعالى عليهم أجمعين سألني السيد أن أسأله بعض هدايا تلك الناحية لا والله ما أعرف نفيسه ولا طرفة خطيره تعدل عندي وجهه فليهده الي وليطلع نظري اليه علي وليعلم أنه اذا فعل ذلك فقد زف الي الدنيا في معرض الجمال وأهدى الي السعود بين طبق ومكبة من الاقبال ولم يدع لعين التمني بعد ذلك مطمحا ولا لقوس الاقتراح والتحكم منزعا لا يكتب الي السيد بخط غيره لاني اذا قرأت كلامه من آثار بنانه فقد جنيت الورد من أغصانه وقليل لمن أدلي بمثل وسيلتي واتسم بمثل سمتي أن يبعث له البنان الاقلام وأن يتفق له الخط والكلام وأن ينزل على حكمه والسلام

(قوله عذرها في نسخة جهدها اه)

◆(وكتب)◆

(الى كاتب)

اعتذر سيدى من صغر الكتاب واختصاره وقد أغناه الله عما تكلفه من اعتذاره وانما الصغير ما صغر قدره لا ما صغر حجمه فأما ما أفاد وجاوز المراد فليس بصغير بل هو أكبر من كل كبير وأما شكره لى على تفضيلى لكلامه فانى من هذا بهدف ميدان عريض مديد وفى شوط بطىء بعيد لم أبلغ عشر عشيره ولم أقض منه أيسر يسيره والحق أنى وان اجتهدت فانى غير بالغ منه ما فى ضمن النيه ولا آت على ما فى الهمة والامنيه ولكنى سأقف عند انتهاء الطاقه وأحل مجهودى أقصى الغايه والتمادح بيننا بعد الحال التى عقدت حتى خلقت وقدمت حتى هرمت فضل لا يحتاج اليه ولا يعرج عليه وأسأل الله تعالى أن يجعل أخوتنا فى الدنيا متصلة باخوتنا يوم الدين فان الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين

(وكتب)

(الى صاحب الديوان بالحضرة)

عظم على الشيخ ادلالى وكبرت على قلمه أشغالى وفتح عليه كرمه من حوائجى بابا لا يسد ولا يرد ولكنى اذا قلبت سلعة الشكر ونشرت طرازا الاحسان والبر لم أرغيره يشتريه أو يرغب سواه فيه واذا عرضت جريدة الكرم وأفضت قداح المساعى والهمم جاء اسمه صدر الجريده وقدحه معلى القداح السبعه فأرجع اليه وعن يمين الرجاء يقربنى منه وعن يسارى الحياء يطردنى عنه وما أحب أن يشركنى الشيخ فى لسانى غيره ولا أن يحتوى على قلبى الا ذكره فانى آنف الكرم المتاع من لؤم المبتاع وأستحى انفاسة هذه الملابس من خساسة اللابس وأغضب للمركب الكريم من الراكب اللئيم وأحب أن أزف أبكار المعانى الى من يفترع أبكار المعالى وأن أغرب فى الثناء لمن يغرب فى السناء وأن أزوج الشيخ من صنعة لسانى كرائم لا يجتليها الاعيناه ولا يطمثها الا يداه قد علم الشيخ أنى عقدت هذه الصنعه وافقت هذه المعيشه لتكون صوانا لوجهى عن ذل السؤال ومجازا لعرضى دون الابتذال

الابتذال ولا جعل مايدخل منهما من الكفاف جسراً الى الصيانة والعفاف فاحببت نفسى الى أصدقائى وأخففت كلى على جلسائى فان السائل ثقيل الطلعه كريه الزوره مشنوء المخيلة واللفظه معرفته غرامه ومنادمته ندامه ومجانبته أمان وسلامه فمن أعاننى على حفظ ما اعتقدته وأمسك على جوانب ما استفدته فقد كفى أهل المشرق كلى وخفف عن رقابهم ثقلى وضرب بين لسانى وبينهم بتر الخبينا ومد عليهم دون استبطائى وعتابى كنا كنينا ومن أخرجنى من صيانة الدهقنه وأحوجنى الى تبذل المسئله فقد عرضهم للحالين وعرضهم لحد السيف من جهتين لانهم بين أن يعطوا فيجتسوا مراره العطاء أو يبخلوا فيصطلوا حرارة الذم والاستبطاء وما من الخطتين صغيره ولا فيهما المختار خيره على أن خروجى من خراسان الى غيرها وضع من أهلها فلو ارتبط الجواد حق ارتباطه لما عار ولو أحسن الى البازى أهله لما طار

(قوله ومد عليهم فى نسخة وأسكتهم اه)

وانى فأمى حيث خيمت محنة * تدل على فهم الكرام الاجاود

ولو ملكت أعنة الايام وجاز حظى على الحظوظ والاقسام لكانت مدائحى الى أهلها مصروفه ومعاتباتى على غيرهم موقوفه ولما جلست تحت قول أبى عبادة البحترى

عذلتنى فى أهلها واسترابت * جيئتى فى سواهم وذهابى

ورأت عند غيرهم من مديحى * مثل ما كان عندهم من عتابى

هذا على أنى أرى ريح الكرم قد هبت جنوباً وشمالا وعساكر الجد قد زحفت يميناً وشمالا وسوق الادب قد قامت وأطراف المسائل قد استقامت وليل النقص والجهل قد جلاه فجر الفضل والعقل والجود قد أقبل بوجه الغالب والبخل قد أدبر بقفا الهارب وأرى الدهر قد افتر عن ثنيته وأجلى عن كريمته وجاء بواحده الذى لم يزل لسان محامده وعنان مراشده والذى لم يزل يرجف به لسان الامانى وتتقاضى فيه أيام زمانى وهو الشيخ الاجل ربيب الدوله وغذى النعمه وسليل الكفاية والوزاره وفرع السماحة والرياسه

وناشر ميت الآمال وناقد قيم الرجال وناشر ألوية المقال والفعال وقد علمت أن الدهر البخيل لا يسمح الا آن به الا لتكون للاحرار كرة ولتدول للافاضل دوله والتهب للنحير ريح طالما ركدت وتنفق للفضل سوق طالما كسدت ورجوت أن أكون أحد من ينتصف به من محنته ويتزع في أيامه حقه من مخالب زمنه فقد طالما ضرب الزمان على رزقي وغصبني أيامه ولياليه حقى أسأل الشيخ أن يعرض كتابي عليه ويوصل كلامي اليه ولا يقول كيف يكون الرسول أجل ممن أرسله وكيف يكون السفير أعظم من سفرله فان الكريم يعز من حيث يهون ويشتد بأس الرمح حين يلين وهو أيده الله الحكيم الذي لا يوصى والمشير الذي لا يعصى واذا سعى في هذه الحاجة فقي أمره سعى وعن ماله نضح ورمى وعن عاتقه ألقى حملا وطرح ثقلا لانه ان حرم سهمى الاصابه ولم ترزق دعوتى الاجابه ملق كل خراجى عليه ورجع به عنه اليه اذ كنت أرى لاوجه للفرج الالديه وأنشد

سبيلي أن أعطى الذى تسألونني * وحق أن يجدى على ولا أجدى وأتبعه

اذا كنت لا أنفك أغدو مطالبا * فلم أنت عباد ولم أنا شاعر

فلينظر الشيخ الى هذه الحاج بعين من يعلم أنه فيها سهيم واصاحبها قسيم وأنه يكدح كدساله بعضه ويطلب طلباله شطره وانى لاعلم انى قد هتكت ستر الحشمه وخرقت حجاب الهيبه وأن هذا الكلام ترق عنه صفحة الاحتمال ولا تطلقه شرائط المهابة والاجلال ولكن الثقة تطلق اللسان وتجرئ الجنان

﴿ وكتب ﴾

* (الى وزير صاحب خوارزم) *

وصل كتاب الشيخ وتصرفت من فصوله في لؤلؤ منثور وطراز منشور واستمليت منه نفحة الود الصريح والعهد الصحيح والخلق السجيح ووجدت الشيخ قد استرقني رقالا تحل عقدته ولا ترد عهدته وكفاني مهما لا يكفيه الا مثله على أن

ذكرى

ذكرى مثله ارياف بالزمان وفعله وكذب على الفلك وأهله وأمنية من اكاذيب الاماني وترهات من ترهات لساني وهيهات الدهر أبخل من أن يأتي بكريمته ويجيء بمثل يتيمته والكرم أقل متاعا وأكثر متاعا من أن ينازع الشيخ بهاءه أو يسلبه رداءه

والجود أخشن مسا يا بني مطر * من أن يبزكموه كف مستلب

أخبرني الرسول بما عمله الشيخ من حيله الدقيقه وفتله من اسبابه الوثيقه في ذلك المال حتى أخرجه من العدم الى الوجدان وصيره من الوهم الى العيان فحمدت الهي الذى رزقني صديقا يحفظ علي ما أضيعه بيدي ويحسن بي من حيث تسيء نفسي الي وقد كنت خاطبت الشيخ في أمر هذا المال بكلام جرأني عليه صدق ثقتي بسعة ساحة احتماله فان شكاني فقد كافاني وان أسلفني شكرا فعلي اداؤه وعلى الله جزاؤه ولو أنصفت الحال بيننا والجملة الجامعة لنا لخرجت لهذا الوافد الاثير لدي والكريم علي من مالي واقاسمته ولدي وعيالي ولجات العالم اليه بين طبق ومكبه والفلك بين دنيا وآخره ولكني نزلت على حكم طاقتي وانتهيت الى غاية وجدي وجدتي وعوّلت على عقدي ونيتي ونكست رأس خجل منشور وغضضت طرف قاصر مقصر وأنشدت

لو كنت أهدى على قدري وقدركم * لكنت أهدى لك الدنيا بما فيها

الذى طلبه الشيخ من الكتب سأحمله الى خزانته ولو على رجلي وأنسخ ما ليس عندي ولو على خدي ولوددت لو كان دمي حبرا وجلدي ورقا وأصابعي أقلاما وذلك عندي يسير نفسي وصغير لفني وقليل لا يسع ولا يرى على أنه لو باسطني الشيخ فيما عدا الكتب من الفضة والذهب لكان آخر أمره منتظما باول امتثالي وطرف قوله متصلا بطرف فعالي فان الناس يتخذون الاصدقاء ليكسبوا بهم الثراء وأنا أكتسب الثراء لاتخذ به الاصدقاء والصديق هو العقدة التي لا يحلها الدهر والذخيرة التي لا يفسدها الخير والشر والكنز الذى لا ينقص منه الغنى ولا الفقر وسائر الاعلاق تفقد من حيث

توجد وتحل كما تعقد ويدب اليها الفناء كما يتفق لها البقاء ويتسلط عليها الاعداء كما يحسد عليها الاصدقاء وتمسها النار فتحرقها ويصيبها الماء فيغرقها فالذهب والفضة حجران يقتنيان ان حركا ويفسدان ان تركا والضياع والعقار جمادات وموات لا ترحل مع صاحبها اذا رحل ولا تنزل بنزوله اذا نزل والعبيد والاماء حيوان يتحكم فيه الحدثان ويعمل فيه عمله الزمان فاذا سارت به الايام سقم واذا سالمته هرم فهو معرض للحادثات اما بالحياة واما بالممات والثياب والفرش ورق يبلى اذا استعمل ويخلق اذا أهمل والعتاد والسلاح رفيق ربما خان من حمله وأعان عليه من قاتله وصار في يد المحارب آفة على الصاحب والحلي والجواهر زجاج يسرع اليه الكسر ويبطئ عنه الجبر اظهاره خطر واخفاؤه حذر خفيف المحمل على من سرقه ثقيل الوطأة على من سرقه والزرع خبز مخبوز نماؤه افتقار وبقاؤه احتكار من بذله عرضه للفناء ومن بخل به عرض عرضه للهباء والاثاث والدوار أجسام هامده واشخاص جامده اذا ابتذلت تمعقت وتكسرت واذا رفعت صدئت وتغيرت والقنى والماء غريم كفيله الارض والسماء وهما كفيلان لا يغرمان ولا يلزمان ولا يلازمان والخيل والسوائم زرع يجففه الريح والهواء ويحكم فيه الصيف والشتاء ويتداوله البقاء والفناء والكتب والدفاتر ملك جالس على قافية السرقه موضوع فوق شبكة الخيانه يسرقه كل أمين ويتهم عليه من ليس بظنين وقد أكثرت أيها الشيخ في هذياني ووضعت عنان قلبي وبناني بيد لساني فان يكن ما جئت به مفيدا فقد أبدعت وأغربت وان تكن الاخرى فقد أضحكت وأعجبت فلم أخل أن جئت بفائده وأن كنت سبب ضحكة ونزهة زائده

(وكتب)

(الى ابن سهل سعيد بن عبد الله الكاتب)

وصل كتاب سيدي المنتظر المتألف والمستبطأ المتشوف بعد أن عاتبت على تأخره الدهر ولمته وبعد أن ذممت فيه البخت وشتمته وبعد أن نظرت اليه وهو

غائب

غائب مثالا ورأيته فى النوم خيالا وبعد أن عددت له الليالى والايام عدّا وحسبت فيه الاوقات والانفاس ضربا وعقدا وبعد أن ظننت الظنون بسيدى وبوته وتوهمت الاوهام فى وفاته وعهده وحسبت وأنا أستغفر الله أنه قد أثبت اسمه فى جريدة الغدر وجانس أبناء الدهر وبعد أن أنشدت

لم تزل تجهل الخيانة حتى ● علمتك الايام كيف تخون

فويلى ان لم يعف سيدى عنى ولم يغفر لى مابدر منى ولم يجعلنى فى حل من سوء ظنى وتهمته ولم أزل أكرر قراءته حتى حفظته ثم رددت فى ذلك حتى حفظت الفاته وباآته وصارت روايته تقطع على صلاتى وتستملك أكثر أوقاتى ثم عرضته على اصدقائى واصدقاء مولاى فمنهم الامن سألنيه ونافسنى فيه واستعارنيه ونيته أن لا يرد العاريه ولا يؤدى الامانه ثم نسخوه ولو طلبته منهم لمانسخوه ذكر سيدى من شوقه الى مالم يتكلم فيه الاعن لسانى ولم يترجم الاعن شانى ولقد طويت بعده بساط المدام ورفعت صحيفة المؤانسة والندام وطلقت الراح ثلاثا وفارقت الغناء بتاتا حتى جفت الاقداح واستحقنى الراح ونسى بنانى الاترج والتفاح ولقد ترك سيدى بخروجه رسوم الطرب من اخوانه دارسه وآثار الفرح والانس طامسه وديار المنادمة والمجالسة مقفره وأطلال المحادثة والمساعدة متنكره قد هبت عليها بغتة ريح الادبار وطلع عليها نجم البلا والاقفار ونفذ فيها حكم الفناء واستبد بها العفاء سألنى سيدى عن ذكرى له وكيف لا يذكره من يراه وان كان لا يلقاه بل كيف يذكره من ليس ينساه وكيف يسلو عنه من لا يرى عوضا منه وكيف يغب ذكره من لا يقع عينيه على أكرم منه عليه وأحب منه اليه وقد عرفته أنا هجرنا الشراب وأغلقنا هذا الباب ثم ان شربنا فى كل فترة نبوه أو بيعة خلافه فلا نقل الا بأذكاره ولا تحية الا باذكاره ولا حديث الا أنسنا به كان ووحشتنا له الآن ولا اقتراح على المغنى الاشعر فى أوله ذكر غيبته وفى آخره تمنى أوبته رد الله سيدى الى اخوانه الذين أنا أولهم فى المحبه وان

(قوله لما نسخوه فى نسخة لما أنسخوه أى أعطوه نسخة اﻫ

كنت آخرهم في الرتبه على حالة يقع الشكور راحتها وتكل مطايا التعديد والنشر في مسافات طرقها والناس يقولون ردك الله سالما الى سالمين وأنا أقول ردك الله سيدي غانما الى غانمين فان من سعد بلقياه فهو فائز كما أن من حرم النظر الى طلعته فهو غارم وأرجو أن يتقدم سيدي بوصوله عيد الفطر فيجتمع لي عيدان وفطران كما اجتمع علي بغيبته صومان على أن صوم العين أشد من صوم البطن فان مسافة صوم العين مجهولة الامد والعدد مخوفة الزيادة والمدد ومسافة صوم البطن يوم وشيك المهله قريب العشية من الغدوه وحصتي من صوم هذه السنة المباركة حصتان ويومى منها يومان وتابى صروف الدهر أن توافيني الامزدوجة في قران وذلك اني صمت عن النظر الى طلعة سيدي شهري رجب وشعبان وصمت عن الطعام والشراب شهر رمضان وقد قال الخليع الشامي

سكران سكر هوى وسكر مدامة * فمتى يفيق فتى به سكران

وأنا أقول

صومان صوم نوى وصوم عبادة * فمتى يعيش فتى له صومان

(وكتب)

(الى أبي القاسم المزني وقد انهدمت داره عليه وسلم)

بلغني خبر الهدة فالحمد لله الذي حين هدم الدار لم يهدم المقدار وحين ثلم المال لم يثلم الجمال ولما سلط الحوادث على النشب والخشب لم يسلطها على العرض والحسب ولا على الدين والادب ولا بد للنعمة من عوذه ولا بد لعين الكمال من رقيه فلأن يكون ذلك في دار تبنى ومال يجبى وبنى خير من أن يكون في النفس التي لا جابر لكسرها ولا شيء في قدرها وصادف ورود هذا الخبر على رمدا في عيني قد حصرني في الظلمه وحبسني بين الغم والغمه وتركني أدرك بيدي ما كنت أدركه بناظري كليل سلاح البصر قصير خطوة النظر قد تشكلت مصباح وجهي وعدمت بعضي الذي هو آثر عندي من كلي أبعد الاشخاص عني أقربها مني فالبيض عندي سود

والقريب

والقريب من بعيد قد خاط الوجع أجفانى وقبض عن التصرف بنانى فراعى شغل ونهارى ليل وطوال الخطا قصار وقصار أوقاتى طوال فأنا ضرير وان عددت فى البصراء وأمى وان كنت فى جملة الكتاب والقراء قد قصرت العلة خطوتى قلمى وبنانى وقامت بينى وبين يدى ولسانى وقد كانت العرب تزاوج بين كلمات تتماثل مبانيها وتتكافأ مقاطعها ومباديها فتقول القلة ذلة والوحدة وحشة والغلب سلب والعظة لفظة والهوى هوان والاقارب عقارب وأنا أقول المرض حرض والرمد كمد والعلة قلة والقاعد مقعد

(وكتب)

(الى أبى أحمد الرازى بندار نيسابور)

ورد على كتاب الشيخ بعد ما كدت أطفل عليه بخطبته وأسبقه الى المكرمة فى الابتداء بمثله ثم أبى الله تعالى أن يكون الفضل الا لاهله وأن ينبت الكرم الاعلى أصله وفهمته وأفادنى من خبر سلامته فائدة هى الغنى بل المنى بل الكنوز والقنى بل المراد والهوى بل السناء والعلا بل العالم والدنيا بل الآخرة والاولى وهى السلامة التى لا ينفرد بها الشيخ عنى ولا يختص بها دونى اذ كانت الاحوال بيننا متقاسمه وسائر أسباب السراء والضراء متساهمه وسألت الله تعالى أولا والآن أسأله ثانيا أن يجرى على الشيخ نعمته ويرد غربته ويعجل أوبته ويبصره رشده فى الرجوع الى بلده الذى هو بحضوره فيه مصر بل أمصار وبغيبته عنه مفاوز بل قفار كما أن أهله اذا كان الشيخ فيهم ناس واذا غاب عنهم نسناس والله يلهمه قول النابغة

فلى فى ديارك ان قوما * متى يدعوا ديارهم يهونوا

وان أكرم الخيل أشدها حنينا الى وطنه وأعتق الابل أكثرها نزاعا نحو عطنه والدنيا رستاق نيسابور قصبته وعقد نيسابور واسطته ولو علمت أنى أدفع من غيبة الشيخ الى هذا الامد البعيد والنفس المديد وانه اذا فارق قوما

طلقهم واذا التي آخرين مثقهم لاخذت من الزمان ألف كفيل ووضعت الارصاد بكل سبيل برده على ولو كانت بحفظه عني بل عيق

شددت باعناق النوى بعد هذه * مرائر ان جاذبتها لم تقطع

والآن قد أذنبنا الشيخ بعده عنا فما رأيه في أن يعفو عنا بقربه منا فيكون قد أرانا قدرته ثم أسبغ علينا نعمته وجمع بين تعريفنا مقدار النعمة اذا آب ومقدار المحنة فيه اذا غاب كان كتاب الشيخ ألطف من روحه وأقصر من أوقات كانت بقربه وأظنه أشفق علي من التعب فيه اذا طال وظن بي الكسل والملال فما زلت أعرفه مشفقا علي حميد الاثر لدي وأنا أستعفيه من هذه الصدقه وأشتهي أن لا يبرني بهذه الشفقه وأن تكون كتبه الي أطول من يده علي وأبسط من لساني في شكري حميد آثاره لدي فاني اذا رتعت في رياض قوله وأجلت عيني وخاطري في ميدان فضله تقلبت في روضة وغدير وأدرت يدي في جنة وحرير ولم أعدم معنى يلقح الذهن ولفظا يمتع العين والاذن وفقرة أستفيدها ونكتة أقرؤها ثم أعيدها وان كان تذكر الايام الماضية لا يفرغ قلبي لاستيفاء الغابر

فلا يبعد زمان منك عشنا * بنضرته ورونقه العجاب

لياليه ليالي الوصل تمت * بأيام كأيام الشباب

وكان أبا تمام لم يقل هذين البيتين الا ليقتل نفسي ويئد نفسي وقد استسلمت للفراق فليمض في حكمه لا بل فلينفذ في سهمه وكتاب الشيخ يزيل بعض ما بي ويشفيني من أوصابي فليهده الشيخ الي فان اهداء السرور به الى مثل قلبي صدقة مبروره وصنيعة مشكوره وكلما قرب مني الدواء فترا تأخر عني الداء شبرا

(وكتب)

(الى صاحب الديوان يوم المهرجان)

لولا ما يعرف الشيخ من الانقباض عند الهدايا جلت أو قلت وان كان ليس مع عطاياه جليل كما أنه ليس مع تواضعه قليل لافنيت في هديتي اليه الاعلاق والجواهر

قوله عند في نسخة عن اه

والجواهر ولا تعبت في حملها اليه الخف والحافر ولسبقت في ذلك الاولين وأتعبت فيه المتأخرين عرّف الله الشيخ بركة هذا المهرجان وأفرده بذلك عن سائر أيام الزمان ولا زال يلبس الايام قباءها وهو جديد ويقطع مسافات سعدها ونحسها وهو حديد

(وكتب)

(الى أبي سعد أحمد بن شبيب)

ما أقرب ما كانت المسافة بين لقاء صاحب الجيش وبين فراقه وما أكثر ما أنشدت بيت كشاجم في وداعه وعناقه

لم استتم عناقه لقدومه * حتى ابتدأت عناقه لوداعه

كأنه كان ذلك الرجل قائما معنا أو كأنه قال هذا البيت لنا ولقد كانت الايام بلقاء صاحب الجيش طويلة الوعد قصيرة الرفد فانها مطلتني بلقائه سنين طوالا ثم أسعفتني به ساعات قصارا فبينا أنا أشكو مطلها اذ صرت أشكو بخلها وبينا أنا أستدرك عليها الماضي اذ أصبحت أطلب اليها الباقي وبينا أنا أنشد

أيا ليلة الوصل لا تنفدى * كما ليلة البعد لا تنفد

اذ غدوت أنشد

هذا الذى قيل له * أطيب ما كان فنى

ولعمرى انى لموسر من الصبر قوى بنية القلب والصدر حتى أبيت ببلدة وصاحب الجيش بأخرى وليس بينى وبينه بعد الخافقين ولا سد ذى القرنين ولا جبل قاف ولا سور الاعراف ولقد رضيت من الشوق بالدعوى ومن اللقاء بالمنى وغششت فيما بعته من الهوى والله أسأل أن يجمع بينى وبينه على ما يثلج صدرى ويقر عينى وأن يرينى الدهر وهو واحد من حشمه والسعد وهو خادم من خدمه والايام وهى رسله فى أوليائه وأعدائه والمنايا وهى سهامه فى صباحه ومسائه والاقبال وهو خليط من خلطائه والسرور وهو نديم من ندمائه والعز وهو مستدير بأفنيائه والشرف وهو مطنب بفنائه

وهذا الدعاء مني بخجل قطعت به الحديث لما توجهت به المسئلة علي وخرج الجواب من يدي ولو صدقت فيما ادعيته وكنت من الشوق على ما حكيته

(قوله قلت الخ في نسخة قلت لبيك اذ دعاني لك الشوق الخ اه

قلت للشوق اذ دعاني لبيك وللحادين كرّ المطايا

ولا نضيت الركاب وفارقت الاحباب وركبت كاهل الخطر واعروريت ظهر السفر حتى أنيخ بحضرة طالما حضرتها العلا وأنزل على سدة طالما سدّ زواياها الندى وأنظر الى طلعة عليها للكرم ديباجة خسروانيه وفيها للطلاقة روضة ربيعيه رجعت من حضرة الوزير بعد أن أفرغ علي من سجاله وأسبغ علي من نواله ما خفف ظهري بل أثقله وأنطق لساني بل أخرسه وأرخص شكري بل أغلاه وأبقى مديحي بل أفناه واني حين أمدح البحر بانه غزير والبدر بانه منير وأعلم الناس أن الدهر كبير وأن الرمل كثير لاحد عباد الله المكلفين الذين قولهم هباء وعملهم جفاء أبقى الله ذلك السيد ليفتضح به اللئام ويصغر به الكرام وتجمل به الايام والانام وأقام به سوق الكرم وقد أقام وأدام بسلامته عز الجد والمجد وقد أدام وليت المكارم كانت جواهر لا اعراضا وخلقا لا أخلاقا فتتمكن من رؤيتها العين ويأتي عليها الوزن والكيل فيدركها الجاهل بحاسة بصره كما أدركها العاقل بحاسة فكره فأستريح من الدلالة على معرفتها ومن اقامة البينة على صفتها وصلت الجارية ورددتها لاني رأيت حاملها شابا واذا اجتمع الشبان فقد اجتمعت النار والحلفاء بل اجتمع الظمآن والماء وهذا ميدان لا بليس فيه مجال وزاوية له فيها اعمال وانما الناس لحم على وضم وصيد في غير حرم الا أن تلاحظ بعين غيور وتلازم بنفس يقظ حذور

(وكتب)

(الى تلميذ ورد له كتاب ترتفع ألفاظه عن كتابة مثله وطلب نسخة شعره)

نسخة شعري التي طلبتها يا ولدي صائرة اليك وغير مضنون بها عليك ولكني اذا امتعتك بها الآن أعنتك على طول غيبتك وصرت بعض آفات

أو بدتك فارجع فديتك واتجز ما وعدتك

واسمعه ممن قاله تزدد به * عجبا فحسن الورد في أغصانه

رأيتك ياولدى تخاطبني في كتابك بالفاظ ان كنت انت أباعذرتها القد اختصرت طريق الكلام وصرت بعض محاسن الايام وان كنت أخذتها من غيرك لقد سرقت سرقة لا يلزم صاحبها ردة ولا يجب عليه فيها حد ولا يعاقبه السلطان ولا تتبرأ منه الاخوان وأغرت غارة لا يلزمك فيها قود القتلى ولا ارش الجرحى ولا تتبعك فيها دعوات اليتامى والايامى وغصبت غصبا لا تطالب بتبعته ورثتك ولا يثلم له دينك وأمانتك فياأيها المغير النظيف الغاره والسارق البرىء الساحه أشركنا رحمك الله في بعض ما رزقت واجعل لنا سهما مما سرقت وأعطنا قليلا مما أخذت ولا تجعل علينا باليس من ملك يديك ولا من ميراث أبويك

(وكتب اليه ايضا)

كتبك ياولدى عندى تحف وشمامات وأنوار وبا كورات أفرح بأولها وأنتظر ورود ثانيها وأشكرك على ماضيها وأعد الايام والليالى لباقيها فكثر على سوادها وأوتر على أعدادها واعلم أني أحبك حبا مستكنا وباديا

أحبك مالو كان بين معاشر * من الناس أعداء لجر التصافيا

وأني آنس بك حاضرا وأشتاق اليك غائبا شوقا لو عرفته لتكبرت على الورى ولم تقم وزنا لاهل الدنيا وكنت لا تنظر اليهم الا بمؤخرى عينيك ولا تكلمهم الا ببعض شفتيك

(وكتب)

(الى حاجب ركن الدولة بالرى)

الكتاب الذى أعظم الحاجب باصداره شانى وأعانني به على زمانى وأهل زمانى وردوغرة الفؤاد منه بعد فى أكمامها لم تزهر فتغنم ولم تدرك فتطعم واذا نجحت الشفاعة من حيث لقحت وزكت أغراس المعونة من حيث

زرعت ولاحت على صفحات أحوالى آثارازيادة وظهرت فيها مخايل السعادة أقت رهج الحمد والشكر وأنطقت بها لسان الدهر وقلت مايتعب الراوى ويحير السامع والرائى ويوقع للخواطر شغلا طويلا وللسان الاقلام عملا ثقيلا الى أن يتيسر من ذلك ماهو فى ضمان الايام وفى ودائع الخطوط والاقسام فانى أسأل الله تعالى أن يطيل بقاء الحاجب مصونا عن لحظات الغير محروسا من عثرات القدر اقباله وسعده مقتبل وبابه مستقبل وبنانه بل كمه بل تراب مجلسه مقبل

(وكتب)

* (الى أبى عبد الله النحوى الخطيب بالرى) *

ان تكلفت للشيخ ذكر ما أسلنى له فراقه من الهلع وأهداه الى من أنواع الغم والجزع جريت معه فى ميدان الاعتداد واستقبلت بكلامى قبلة الشكر والاحماد ورأيتنى أشكر نفسى على أن أؤدى فرضا وأحمد جوانحى على أن يحب بعضها بعضا وان سكت بقيت فى نفسى حاجة واستولت على قلبى حسرة ورأيتنى أبخل على نفسى بشكاية المضرور وأنفث عليها نفثة المصدور فلا أدرى أأقول على أن القول كلفه أم أسكت على أن السكوت غصه ولكننى أنشد قول المولد

وأشهد الله وحسبى به * انى الى وجهك مشتاق

مازال قلبى مقبلا لذكرايالينا تلك الطوال القصار اللواتى كانت ظلماتها أنوارا وساعاتها كلها أسحارا حاربنا فيها النعاس بجيش السمر وسهرناها ولم نجد مس السهر فكلما مال بنا النعاس الى شقه أوكاد يستعبدنا الملال برقه نفضنا عنا غبار الكسل وجلونا عن أعيننا بل أنفسنا صدأ الفتور والملل بحديث مطرز بالادب مرصع بأخبار العجم والعرب يسكر من سمعه وان لم يشرب ويشهد على بهيمية من شهده ان لم يطرب بالفاظ أنيقة النظم وثيقة النثر ومنطق رخيم الحواشى لاهراء ولا نزر فيعود النشاط أمضى ما كان حدا وأصفى ما كان فرندا وأثقب ما كان زندا ولو عاوضنى دهرى واشترى جميع

عمرى وباقى عصرى وردّالىّ تلك الليالى الزهر المحجلة الغر لكانت قد أحسن الىّ وأربحنى وخسر علىّ وهيهات الدهر تاجر لا يغبن فى تجارته وأمير لا يغلب على امارته ولكانقطع الدهر قالا وقيلا ونعلل قلبا عليلا يسر الله لنا حالة يعود بها الانس فى أحسن زينته وأتم بهجته وأدالنا على الفراق الذى وجدناه لئيم الظفر قبيح المنظر والخبر وأعادلى تلك الاوقات المسعودة المحمودة التى سرقتها من دهرى ورأيتها غرة عمرى وصقلت فيها بلقاء الشيخ ذهنى وفكرى وأنشدت فيها من شعرى وشعر غيرى

وفرحة الاديب بالاديب * كفرحة الطبيب بالطبيب

ولو طلبت من الشيخ عوضا لكنت قد أعنت الزمان واستحققت بطابق الحمال والحرمان والنضل اليوم أقل طالبا وأعز صاحبا وأجدب جانبا وأخيب كاسبا من أن ينتظم غير الشيخ بين طرفيه أو يضم عليه كلتا يديه سقى الله أيامنا بيد الشيخ الجليل فانى لا أعرف سحابة تندى نداها وتسقى سقياها وانما طلبت الغاية فى الدعاء وسمرت الى أقصى مراتب الاستسقاء وقد قال أبو الطيب المتنبى رحمه الله

سقى الله أيام الصبا ما يسرّها * ويفعل فعل البابلىّ المعتق

وكأنه قال سقى الله أيام الصبا خمرا والخمر انما فرحها ساعة وطيبها مجاز لا حقيقة له مع بشاعة طعمها أولا وثقل خمارها ثانيا والذى دعوت به من السقيا يبقى ولا يفنى ولا يستبشع بل يستحلى ويستطاب ويستقرى بلغنى أن فلانا زعم أن سمعه لا يسع لاستماع كلامى وأنه يستعظم ما يرى عليه الناس من اعظامى والذنب للعين العشواء فى محبة الظلماء وكراهية الضياء وفم المريض يستثقل وقع الغذاء ويستمر طعم الماء والجعل يتغذى بالسرقين ويموت من الورد والنسرين ومن الريحان والياسمين ومن طمس عين الشمس فقد نطق عن مقداره فى الحس ومن حارب جيش العقل وخلع ربقة العدل ورضى لنفسه بمجانسة الجهل فقد كفى خصومه مؤنة عتابه وعقابه وقد أمن زيادة المحنة لتمام ما به كتبت هذه الاحرف ولم يبق

منى الحر الشديد والسفر المديد فلا يدرى ولا بنانا يجرى فانى

قد ذبت غير حشاشة ودماء * ما بين حر هوى وحر هواء

فاما حر الهواء فشاهده حاضر ودليله ظاهر وأما حر الهوى فان هواى مقصور على مولاى وقلبى حمى لا يطؤه غيره ولا يعمره الا ذكره وأرجو أن لا أعدم على ما قلته من قلبه شاهدا ومن على به رائدا

(وكتب)

(الى قاضى الرى أبى الحسن بن شادان)

كتابى أيد الله القاضى من قم وأنا منها بكة حر الاجا وبعمان هواء لا ماء لا بل كتابى وأنا فى سلامة الامن الحر الذى يذيب دماغ الضب ويشبه قلب الصب وهذا فصل سرقته من رسائل الوزير الجليل ابن عباد وليس بأول غارة الكردى على الحاجى ولا بأول أخذ الطرار مال التجار ولا بأول تجمل المتكاتب بكلام الكاتب وهل عبرنا منذ عرفناه الا عن بيانه وهل أجرينا أقلامنا الا على آثار قلمه وبنانه وهل اغترفنا الا من بحره وهل نطقنا الا بنظمه ونثره وهل على الارض عار أن تطلب سقيا السماء وهل بالفقراء نقص أن يأخذوا صدقات الاغنياء وهل يعيب النهر أن يستمد البحر وهل يضع من السارى أن يستنير البدر لا بل كتابى عن سلامة الامن مباينة الجمال ومن عثر الجمال على أن الجمال جمل ولكنه ينطق بلسان وتشبه خلقته خلقة انسان لا بل كتابى عن سلامة الامن شبعى من كل حضرة بعد تلك الحضرة البهيه ومن كل نفس بعد تلك النفس الزكيه فانى منذ لقيتها وزنت العالم بأخف صنجه وقومت الدنيا أوكس قيمه على أنى ما خرجت منها الا طريد حياء ووقيذ عطاء وفدت على الوزير ابن عباد وحقائبى مملوءة رجاء وصدرت عنه وهى مملوءة مدحا وثناء ولقد غاص فى معناى على دقائق من الكرم اخترعها ونوادر من الجود ابتدعها لو كانت أبياتا لكانت أوابد ولو كانت قصائد لكانت قلائد ولو كانت ألوانا لكانت غررا ولو كانت حليا لكانت دررا فلما رأيت لا ازداد فى صنائعه طبقه ولا أرقى فى نعمه درجه الا ازددت

عنها

عنها تبلدا ويحققها تقاعدا هربت لا كون أوحد في الهزيمة من الجميل كما
أنه أوحد في بذل الجزيل ولا غرب في الهرب على الشعراء كما أغرب في العطاء
على الرؤساء وليجمع بيننا ظاهر اسم الاختراع وفحواه وان فرقت بيننا
حقيقته ومعناه خلفت على القاضي من دقائق أشغالي ما اذا تفكرت فيه
قرعت له سني وتعجبت منه ومني ورأيتني قد ابتذلت الكبير للصغير ونطت
الحقير بالخطير ولكن الكريم اذا رأى المكارم لم يجل عن دقيقها ولم
يدق عن جليلها وقد يتواضع الاسد لصيد الارنب وافتراس الثعلب وان
كان يفترس الفيل ويصطاد الزنديل فأما أنا فاني اخترت لغرس مودتي من
تزكو تربته وتحمد صحبته وأنزلت حاجتي بمن داره مغيض حوائج الاحرار
وبابه مثابة الشكر من الاقطار ومن نظر الى ندماء الوزير وأصحابه والى حجابه
وكتابه علم أنه لم يلتقطهم الا براثن الفراسه ولم يغص عليهم الا بعونه من
التوفيق والهدايه وانه طالع ماوراء العواقب بمرآة من التجارب وأنه
الرجل اذا قدح بالظن أثقب واذا ولد بالرجاء أنجب واذا نظر الى الناس عرف
النقاوة فانتقاها والنفاية فانتفاها وعلى هذه الجملة كان اختياره القاضي
فصادف صنعه مصطنعا ووافق بذره مزدرعا ووقع الجميل منه موقعا ليته
القاضي لا يقول هذه الحاج لا تساوى كل هذا الملق وكل هذا
السجع الملفق فاني لم أبق في قلبي سجعة الا نثرتها ولا في لساني فضيلة
الا أحضرتها

(وكتب)

(الى صاحب ديوان الحضرة)

كان صدر عني الى حضرة الشيخ كتاب أنشأه الشوق اليه وكثرة التلهف عليه
وكتبته يد الحمد والشكر وأملاه لسان الحنين والذكر وعزيز علي أني في هذا
الفصل الذي هو شباب الزمان ومقدمة الورد والريحان غائب عن مجلسه
الذي حضوره شرف دهر واستئناف عمر ورفعة قدر لا بل عن وجهه الذي
اذا لقيته لقيت به السعد طالعا والنجح مطالعا وفارقته ففارقت شخص

البركة واليمن وهيكل الاحسان والحسن والدهر غريمي في استئناف تلك الحالة القديمه ومراجعة تلك الحضرة الكريمه وأما راجع فهل الشيخ مراجع بل أنا تائب فهل رضا الشيخ الى آيب وسألقي اليه ربقتي وأوقف عليه طاعتي فان صفح فطالما انكسرت المودة ثم انجبرت وأقبلت الاحوال بعد ما أدبرت وطالما تقدم عتاب ثم تأخر اعتاب وطالما ربا الساعي بالتضريب فخاب ورمى بين الاحرار سهمه فما أصاب وطالما كان قليل الهفوه ويسير النبوه وعارض الجفوه سببا لجيد الرضى وكريم العتبى لابل الصلة خلف القطيعة أبقى والمودة بعد النفرة أخلص وأصفى لان العتاب قد صفى ماءها وجلا أقذاءها وأبرز عن غش مفسديها ودل على كذب من سعى بالنمائم فيها وان دام الشيخ على حقده ولم يحل عن عقده لم يجدني بحمد الله كاسد الشعر رخيص المهر قوى الجزع ضعيف الصبر ولم أسقط عليه سقوط الذباب في القدر وانما الادب سلعة تنفق على الكرام والشيخ منهم وتكسد على اللئام وهو بنجوة عنهم ولقد خصني من بين الازمان زمن لئيم ووقع في قسمي من البخوت بخت ذميم حيث صرت ألزم خراجا التزم بنو المدبر أضعافه للبحتري وأضايق في ضيعة وهب أمثالها محمد بن الهيثم لغ نوى لابي تمام الطائي حيث قال البحتري

قوله الرضى في نسخة الرجعى اه

> ولم لا أغالي بالضياع وقددنا * على مداها واستقام اعوجاجها
>
> اذا كان لي تربيعها واغتلالها * وكان عليكم عشرها وخراجها

وقال أبو تمام

> فدع ذكر الضياع فبي شماس * اذا ذكرت وبي عنها نفار
>
> ومالي ضيعة غير المطايا * وشعر لا يباع ولا يعار

فان كان اولئك رؤساء فليس رؤساؤنا برؤساء وان كان هؤلاء شعراء فلسنا شعراء وقد عرف الشيخ أني لا أقيم على الخسف ولا أحل الاخطة النصف فان رأى أن لا يفجع خراسان بلسانها ولا يخليها من سيفها ولسانها فعل

(وكتب)

(رحمه الله تعالى)

ورد على كتاب من وراتى من أكرتى ووكلائى يذكرون فيه أن الشيخ قد ترك لهم خراج هذه السنه وكفر عن تلك السيئة بهذه الحسنه ومثله من عقب الفساد بالصلاح وعفى بالمراهم على آثار الجراح وأنا أعلم أن ما كان منه من الاولى كانت فلتة ونادره وأن ما كان منه من الاخرى كان قصدا وعمدا وفطره فان الكريم اذا أساء فعن خطيه واذا أحسن فعن عمد ونيه والحر اذا جرح أسا واذا خرق رفا واذا ضر من جانب نفع من جانب

وان يكن الفعل الذى ساء واحدا * فافعاله اللاتى سررن ألوف

والله يطيل بقاء الشيخ لممتحن يخلصه ولفاضل يستخلصه ولعارفة يسديها وصنيعة يوليها ورغيبة يعطيها ومعال يوشيها وكربة يجليها ومهمة يكفيها وملمة يداويها وأيام كأيامنا هذه يداريها ودولة سامية يليها وجنبة من جنبات الكرم يحميها ومسعاة من مساعى الشرف يبتنيها وذخيرة من ذخائر الشكر يقتنيها وغاية من غايات الفضل يحتويها ويسبق اليها أهاليها وصفوة من المعالى يصطفيها وحسنة يرغب فيها وفى ذويها أسأل الله تعالى أن يعيننى على شكره بأن يزيدنى من بره

قوله ونية فى نسخة وطوية كذا بهامش الاصل اه

قوله يوشيها فى نسخة يؤسيها اه

(وكتب)

(الى الوزير ابن عباد لما فارقه ومر باصفهان)

(وتوفيت أخت الوزير)

كتابى أطال الله بقاء الوزير من حضرته الى حضرته ومن مستقر عزه الى مقر عزه فانا بعد تبعنى من عنايته وشيعنى من عساكر حياطته ورعايته ونسبت اليه من خدمته ولاح على صفحات أحوالى من مواسم نعمته صالح الحال بل ناعم البال راض عن الايام والليال والحمد لله ذى الجلال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله خير آل وقد كنت أحسب أيد الله الوزير أنى انما أتوصل الى بره وأكرع من بحره وأرد شريعة نواله وأضرب عطنى بين جاهه وماله اذا وردت حضرته البهيه وطالعت طلعته الزكيه فاذا

قوله وأضرب عطنى فى نسخة وارتع بعطنى اه

فارقتها العصمة عن مواد المواهب ولم تصافحني أيدي الرغبات والرغائب فاذا أنا بنعمته تشيعني غائبا كما تتلقاني حاضرا وتمشي على عقبي ظاعنا كما تنزل ربعي قاطنا كالغيث يستقبل الطالب ويتبع الهارب وكالشمس تطلع على المسافر طلوعها على الحاضر وذلك أني وردت هذه الناحية المعمورة ببركات دولته المكنوفة بافضاله وفضله فرأيت بها من غرائب الاكرام والاعظام ومن رغائب الافضال والانعام ماتركت مطايا الشكر محسورة بهوره وجعل أيدي التعديد قاصرة مقصوره وقدمت من خليفته فلان على رجل عجن من طينة الحريه وضرب في قالب الفتوة والانسانيه وسخرت له المكارم يضرب فيها بسهام الاقتدار ويصرفها على حكم الاختيار أوله ثنا جميل وآخره عطاء جزيل وفيما بينهما ترحيب وتأهيل وتعظيم وتبجيل بر حتى سر وعظم حتى أفخم وأفضل حتى أخجل وتركني أتردد بين محاسن قوله وأفعاله وأجيل طرفي بين طرفي تنزيله وانزاله وأذكر به أخلاق الوزير التي مارأيت كريما الاذكرنيها لاستيفائه منها ولالئيما الا مثلها لي لتخليه عنها

قوله وعظم في نسخة وأكرم اه

يذكرنيه كل خير رأيته * وشر فما أنفك منه على ذكر

وكيف أتعجب من علق الوزير اتخذه ومن سيف بنانه شحذه ومن جواد هو ضمره للرهان ومن حر هو علمه نسخة الحسن والاحسان ومن تلميذ استفاد منه وخريج صدر عنه فهيهات ان السيوف على مقادير الاعضاء تفري وان الخيل على حسب فرسانها تجري وحق لنهر انشعب من بحر أن يكون غزيرا ولنجم استضاء من بدر أن يكون منيرا على أنه بالآباء تقتدي الاولاد وعلى أعراقها تجري الجياد

والسيف مالم يلف فيه صيقل * من سنخه لم ينتفع بصقال

وقد ذكرني مارأيته قول من سئل عن أبي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية رضي الله عنهم فقال له السائل اني لم أستكثر منه فصفه لي فقال انظر الى أثره على واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ماذا أقول في جر هذا شرره وفي سيف هذا

أثره وفي كرم هذا نتائج سودده وآثار يده فسبحان من جعل نعم الوزير تكنفني في الحضور والغيبه وتحيط بي من الجوانب السته فاذا حضرته طالعني واذا فارقته تبعني

فني كل نجد في البلاد وغائر * مواهب ليست منه وهي مواهبه

المصيبة التي قرعت صفاة الوزير في المتوفاة زكى الله عملها وحقق في مغفرته أملها وان كانت نالت كلا من خدمه ومتحملي أعباء نعمه بالغم الذي لا تنجلي كربته والجرح الذي لا تؤسى ضربته وخصتني من بينهم بالنصيب الاوفر والقسم الاكثر فاني أغار لهيبة الوزير من ذكر النساء أولا وأنطيرا لنعمته أن يتخللها التعازي والمراثي ثانيا وآنف له من أن أقيمه مقام من يوعظ وينبه ثالثا والا فالقريحة بحمد الله تعالى متدفقه والخواطر مجيبه والشعر ليس بعازب والشيطان ليس بغائب والطريق الذي نهجه الوزير لنا في الادب عامر ومسلوك لا متروك وقد كان أبو الطيب عزى سيف الدولة عن أخت له فقال

يعلمن حين تحيا حسن مبسمها * وليس يعلم الا الله بالشنب

ولو عزاني انسان عن حرمة لي بمثل هذا لالحقته بها وضربت رقبته على قبرها ولا مجال للهم والغم بين عز الوزير وبهائه ولا مرتع للبكاء والفجعة بين بقاء النعمة عليه وبقائه وأنا أكتب للزمان سجلا بانه اذا تخطى فناءه وأخطات حوادثه حوباءه فسائرما يأتيه صغير محتقر ومنسي مغتفر وباطل وهدر وسيرد على الوزير شعر غلامه ليعلم انه لم يجهل مقتضى النعمه ولم يخلد الى الغيبه ولم يدخر شعره ولم يخبأ بعد عروس عطره ووالله ما أنصفنا ولي نعمتنا ومالك رقنا وجالب رزقنا فلم نشاركه في نعمائه ولا نشاركه في بكائه ونساهمه في أحوال الرخاء ولا نقاسمه احوال البلاء ولا نساعده على البكاء ونتحمل أعباء منته ولا نتحمل أعباء محنته قضية والله سدوسيه وسنة حدييه لازالت الحوادث عن فنائه ناكبه والخطوب عن نفسه وأنفس أعزته عازبه وصروف الايام عن مستقر عزه مصروفه

وألحاظها دون تطرّف نعمته مطروفه ولا زال يتعرّف من الله صنعا به يركو طريفه على تليده ويقع عتيقه وراء جديده وأرانا الله جماعة أوليائه فيه ما تضيق عنه ساحة رجائنا من نعمته ويأتى على صالح دعائنا برحمته فلان خادم الوزير قد وقف على نفسه صانها الله وماله ثمره الله وقلدنى نعمة صارت الى نعم الوزير مضافة اذ كان فى طريقه ذهب وعلى قالبه ضرب وكان خدم الوزير كثرهم الله فى تشابه أفعالهم وتكافؤ أحوالهم حلقة مفرغة لا يدرى ما طرفاها وسبيكة ذهب لا يعلم أسفلها أفضل أم أعلاها وكلما فقدت منهم درهما وجدت دينارا وكلما فقدت دينارا وجدت قنطارا والوزير أوسع لمكافأة خدمه عن خدمه فانما يتقارضون ما عندهم من فضلات ما نعمه ويعير بعضهم بعضا ما يتقلب فيه من بقايا مواهبه وقسمه ثم مرجع الشكر بعد هذا اليه ومدار الاحسان والاستحسان عليه وما عسى أن أقول فى مدح الوزير ونعمه الا أن أستعير لسان طفيل الغنوى فأقول

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت * بنا نعلنا فى الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا ولو أنّ أمنا * تلاقى الذى يلقون منا لملت

* (وكتب) *

* (الى بندار نيسابور من الرى لما رجعت الوزارة الى الوزير ابن عباد وعاداه ندماء ابن العميد) *

كتابى أطال الله بقاء سيدى من حضرة الوزير عن سلامة بسلامته مشتبكة وحال بجميل أحواله متمسكة والحمد لله على النعمة عليه أولا وعلينا به آخرا وقد كان صدر كتابى الى سيدى مشحونا بجد رجوت أنه يحببه وهزل لم أشك فى أنه يطربه والجد فى غير وقته كثافه كما أن الهزل فى غير موضعه سخافه وخير الكلام ما انتزع من ضده الى ضده ورتع بين هزله وجده واستوفى صفة القائل

وكلام كأنه قطع الرو * ض وفيه الصفراء والحمراء

وردت

وردت أيد الله سيدى من الوزير رقعة على يد رجل زادته الرفعة تواضعا والصيانة تبذلا حتى كان الايام كتبت له وثيقة بأن يستبقى جميل عهدها بجميل عهده ويستديم جزيل رفدها بجزيل رفده وكان صروف الدهر شارطته انها لاتفي له حتى يفي لاخوانه ولا توافقه حتى يخالف أهل زمانه وما ظن سيدى برجل نفذ توقيعه في البر والبحر وجاز حكمه في أهل نجد والغور وخدمه أعيان العرب والعجم وقبل يده ملوك الجبل والديلم وصارت لحظة منه تغنى ولفظة منه تقنى وسطر من سطوره يحيى أملا ويقرب أجلا وخلوة من خلواته تزيل نقما وتحل نعما وهو مع ذلك بين سكر الدولة وسكر الشبيبة ثم هو بعد هذا كله على عهده القديم تواضعا وتقربا وعلى شيمته المألوفة المعروفة توددا وتحببا يصل بشره قبل أن يصل بره ويحيى القلوب بلقائه قبل أن يميت الفقر بعطائه أكرم الناس عليه أكثرهم حوائج اليه وأبعدهم منه أشدهم انقباضا عنه حتى كان الله تعالى لم يبلغه ما بلغه ولم يسبغ عليه من النعم ما أسبغه الا ليكذب الفرزدق في قوله

قل لنصر والمرء في دولة السلطان أعمى ما دام يدعى أميرا
فاذا زالت الولاية عنه * واستوى بالرجال عاد بصيرا

وليصدق زيادا الاعجم في قوله

فتى زاده السلطان في الحمد رغبة * اذا غير السلطان كل خليل

وأنا من بين الجماعة قد خضت به بحر الغنى وركضت به في ميدان المنى ورأيت يقظان ما لم أكن أحتلم به وسنان وزفت لى الايام بمشاهدته من أبكار النعم ما أتقاعد بشكره وأصغر عن قدره ولست أسمح من البياض بالمقدار الذى يسع تفصيل هذه الرغائب ويستوفى أقسام هذه المواهب ولكنى أقتصر بالمكاتبة على الجملة وأكل التفصيل الى المشاهدة فلسان العيان أنطق من لسان البيان وشاهد الاحوال أعدل من شاهد الاقوال وسيكون الالتقاء قريبا فان الشاعر اذا استغنى حن الى أهله ورجع الى أصله وأحب أن يرى عليه عنوان اليسار ويجلو نفسه على عدوه وصديقه في معرض

الاستظهار ويعلم الناس أنه زرع رجاء فحصد عطاء وأسلف من الكلام
عرضا زاهقا فأخذ من المال جوهرا نافقا وفرح الشاعر اذا قبل شعره ونفق
سعره كفرح التاجر صاحب الجواهر اذا اشتريت يتيمته والشيخ أبي البنت
اذا خطبت كريمته وجدت فلانا وفلانا ندماء ابن العميد رحمه الله وقد ألبسهم
الخذلان ثيابه ونفض عليهم الادبار ترابه ونبذهم الاقبال وراء ظهره ونظر
اليهم الزمان بمؤخر عينه فهم أرخص من التمر بكرمان وأضيع من الورد في
شهر رمضان وأثقل من الفرو في حزيران وأكسد من أبي بكر الخوارزمي
بخراسان وكذلك تكون مصارع البغي والعدوان وحصائد البهت والبهتان
ولقد جلسوا على قارعة الامصار واعترضوا السد التحكم والاقتدار
واستهدفوا السهام الايام والاقدار ولولا أن أمورهم أفضت الى رجل عليه
من التوحيد والعدل مانع ولديه من الحلم والحياء وسيلة وشافع وهذا وقد
ولغوا في دمه ورتعوا في لحمه وخبوا وأعنقوا في ذمه بل في شتمه فلم يبقوا في
القوس منزعا ولم يتركوا للصلح موضعا فلما دفع الاقبال ربقتهم اليه وصارت
حياتهم وموتهم في يديه أسبل عليهم ستر العفو والمغفره واتبع فيهم حكم الصفح
بعد المقدره وقلم عنهم أظافير الحدثان وقام دونهم في وجه الزمان وما قتلهم
الايوم أحياهم ولا أفناهم الاحيث استبقاهم ولو كانوا يرجعون الى نفس
مره أو الى أعراق حره لكانوا الى نظر عين الشمس أقوى عينا من النظر الى
طلعته ولكان المقام في القفر بل في القبر أهون عليهم من المقام في حضرته
ولا زعجهم الكرم أو التكرم وطردهم الحياء والتذمم فلعن الله من لا يعرف الالم
الا في جسمه ولا النقصان الا في ماله ومن لا يقتله العفو ولا يأسره الاطلاق
ومن لا يعد الادب الا حفظ اللغة والاعراب ورواية أشعار العرب والاعراب
هذا جسم الادب فأين روحه وقشر الفهم فأين لبه ولو كانت المروءة
رجلا لكان كريم الطرفين شريف الجانبين مهذب العرق حسن الخلق والخلق
ولو كانت الفتوة امرأة لكانت غضيضة الطرف ناصعة الظرف وفية للبعل
جميلة العشرة للاهل ولو كان كفر النعمة طعاما لكان قذرا وضرا
او شرابا

قوله للصلح موضعا في نسخة الى الصلح مرجعا

أوشرابالكان عكرا كدرا ولكن كل انسان ينمى الى عرق أو ليه وكل اناء يرشح بما فيه وما أذكر المتوفى رحمه الله الا بخير ولا أقابل نعمه الا بشكر ولكنى أحب لرئيس مثله أن يختار ندماءه وأن يشترط على المحاسن جلساءه وأن يكون اختصاصه لهم من حيث شرائط الاختصاص والاكرام لا من حيث حظوظ الجدود والاقسام وأن يكون افضاله عليهم على مقدار ما يجده من الفضل لديهم ليكون قد أصاب بعارفته مظنة الاستحقاق ولم يلقها على طريق الاتفاق وليكون قدارتاد فأحسن الارتياد وانتقد فلم يظلم الانتقاد فأما أن يكون الندماء يتقربون الى الملوك بهتك الاستار من الاسرار ويأكلون خبزهم بلحوم الاحرار فذلك مما يضيق عنه مسلك الحريه وينطق بحظرته لسان الانسانيه ولقد كشفت الايام من حلم هذا الصدر عن غاية لم تطمح اليها عين ولم تقرع بها أذن ولم يعثر بها ظن فصارت صلاته من الآجال كصلاته من الاموال وتصدق بعرضه على أعدائه كما تصدق بأمواله على أوليائه ليكون الجود متكافئ الطرفين والسودد متعادل الوصفين ولئلا يبقى فى الكرم غاية الا انتهى اليها ولا للمدح جليلة ولا دقيقة الا غاص عليها فلان قد أبطأ على فليت شعرى الريح قلعته أم الارض ابتلعته أم الافاعى نهشته أم السباع افترسته أم الغول أغوته أم الشياطين استهوته أم أصابته بائقه أم أحرقته صاعقه أم رفسته الجمال أم اغتاله الجبال أم تنكس عن ظهر جبل أم تدحرج من رأس جبل أم وقع فى بير أم انهار عليه جرف شفير أم جفت يداه أم أقعدت رجلاه أم ضربه الجذام أم أصابه البرسام أم جمش غلاما فقتله الغلام أم تاه فى البر أم غرق فى البحر أم مات من الحر أم سال به سيل راعب أم وقع فيه سهم من سهام الآجال صائب أم عمل عمل آل لوط فأرسلت عليه حجارة من طين منضود مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد وكأنى به وقد سمع هذا الفصل فغضب على وشتم طرفى وما أردت بما قلته غير الشفقه ولا نطقت الا بلسان المقه وانما اتبعت فيه السنه فقد كان رسول الله صلى

الله عليه وعلى آله وسلم يحب الفأل ويكره الطيره وهذه مزحة خفيفة وان كانت ثقيلة عليه وظريفة وان كانت سخيفة لديه ومحببة الى سامعها وان كانت بغيضة اليه وقد اعتذرت والعذر وان قل دواء كل ذنب وان جل

(وكتب)

(الى بعض حكام الرساتيق لما رجع الى نيسابور)

كتبت وقد أذن الدهر بالعتبى بعد العتب وبالصلح بعد الحرب ورد الله تعالى علي من الاقبال ما كان غصبنيه الجد العاثر والحظ الغادر ورد كيد الساعي فى نحره ورد غصته فى صدره والحمد لله على انعامه علينا بما ليس عند ناله شكر ودفعه عنا ما ليس لنا عليه صبر فما أعظم النعم على غير الشاكر وما أعجب زوال المحنة عمن ليس بصابر ذكر سيدى حال تلك الضيعة الضائعة التى أول عهدى بها آخر عهدى بالوجه المصون والعرض المخزون والخطب أيد الله سيدى فى تلك الضيعة جليل والحديث فيها طويل لا أسمع له حتى أعقد لعجائبها حسابا وأصنف فيه كتابا وأستأجر لتفصيل ذلك وشرحه كتابا يرتبونه بابا بابا ويجعلون له رؤسا وأذنابا هذا بعد أن أشترى كاغد سمرقند كله وأبرى قصب الدنيا دقه وجله ويكون مدادى ماء البحر وعمرى عمر النسر بل الدهر وما ظن سيدى بضيعة ألزمتنى الجزية بعد أن كنت ألزمها الصغير والكبير وأستأديها الرعية والامير وأخرجتنى من عز السلاطين الى ذل الدهاقين وجمعت على مؤن الاغنياء وغم المساكين وشغلنى صداعها عن أشغال الدنيا والدين يستغل الناس الغلة وأنا أستغل القلة والذلة ويزرعون فى الارض حبا فيحصدون حبوبا وأنا أزرع فى قلبى كربا وأحصد كروبا وقد صرت من أجلها أخدم قوما كنت أستخدمهم وأسلم على أناس كنت اذا كلمونى لا أكلمهم ويحجبنى من لو حضر ببابى من قبل لحجبته ويعرض عنى من لو سألنى فيما مضى ما أجبته قد كنت أبغض الهوان اذا مر ببابى فاليوم قد أدخلته دارى وبين ثيابى والى من يشكو المفعول به وهو الفاعل ومن يطلب بالقتيل وهو القاتل

وكتب

(وكتب اليه ايضا)

كان الحاكم قدم فى أمر ضياعى وأنا حاضر ماقوى حسن ظنى به وأنا غائب وحفظ الصديق حاضرا ود وحفظه غائبا عهد ومن أحسن مشاهدة فقد حفظ الاخاء ومن حفظ على ظهر الغيب فقد رعى الوفاء فلما غبت عن الناحية أصابت تلك العناية عين الغير ودبت الى الحاكم حوادث البشر ووقع فى تلك الضيعة من الضيعة وفى تلك الغلة من الخلة مابغض الى المال وحبب الى الفقر والاختلال وتركنى كلما سمعت بذكر ضيعة قرأت المعوذتين وانهزمت فرسخين وأقت ديدبانين على مرقبين وانما يكره الفقر لما فيه من الهوان ويستحب الغنى لما فيه من الصوان فاذا نبع الغم من تربة الغنى فالغنى هو الفقر واليسر هو العسر لا بل الفقر على هذه الصفة والقضية أحسن من الغنى حالا وأقل منه أشغالا لان الفقر خفيف الظهر من كل حق منفك الرقبة من كل رق لا يلزمه أداء الزكاة ولا يتوجه عليه مواجب النائبات ولا يستنيضه اخوانه ولا يطمع فيه جيرانه ولا تنتظر فى الفطر صدقته ولا فى النحر أضحيته ولا فى شهر رمضان مائدته ولا فى الربيع باكورته ولا فى الخريف فاكهته ولا فى وقت الغلة شعيره وبره ولا فى وقت الجباية خراجه وعشره وانما هو مسجد يحمل اليه ولا يحمل عليه وعاوى يؤخذ بيديه ولا يؤخذ من يديه تجنبه الشرط بالنهار ويتوقاه العسس بالليل فى الاسحار فهو اما غانم أو سالم والغنى انما هو كالغنم غنيمة كل يد سالبه وصيد كل نفس طالبه وطبق موضوع على شارعة النوائب ومنصوب على مدرجة المطالب يطمع فيه الاخوان ويأخذ منه السلطان ويتطرقه الحدثان ويتحيف ماله النقصان فاذا كانت حاله حالى فوقع عليه اسم الاغنياء وأصابه من الضرر ما يلحقه بالفقراء فقد نظم له بين المحنتين وخرج عليه الزمان من كمينين لان حقوق الاغنياء ترهقه من جانب وتبذل الفقراء ومهانتهم تلحقه من جوانب فلا هو غنى فيتسلى بوفره ولا هو فقير فيستريح

الى فقره فهو كمؤدّى الخراج وليست له غلة وكالراهب المعذب نفسه بالعبادة والخلوة وليست له شريعة فقد جمع المشقة والمضرّة الحاضره وخسر الدنيا والآخره ولولا أنّ تضييع المال ضرب من العجز والاخلال وخصلة من خصال النساء لا الرجال لكنت أترك تلك الضيعة نسيا منسيا وأجعل حديثها بساطا مطويا ولكنى لا أغبن عن الصغير كما لا أبخل بالكبير ولا أغالط فى القليل من حيث لا أضايق فى الجليل ولقد كسدت بخراسان لانى بها موجود والموجود مملول كما أنّ المعدوم مسؤل وما أرخص الماء اذا وجد وأغلاه اذا فقد وربما غلا الشئ الرخيص والله تعالى أسأل أن يهب ريح الكرم ويطلع نجم الهمم ويجلو عن خلقه صدأ هذه الاخلاق والشيم بمنه وجوده

❁(وكتب)❁

(الى فقيه بلاد قومس وقد ورد عليه ابنه للقراءة)

ورد علىّ كتاب الفقيه بعد نزاع كان اليه وحرص كان عليه وبعد أن اقترحته على الدهر وخلعت فيه ربقة العزاء والصبر ولم أدر بايهما أنا أشدّ سرورا أبالكتاب وهو أيسر واصل أم بحامله وهو أجلّ حامل فلان ولدى قد اقتطعت له من فراغى فلذة على أنى لو درسته حتى تحفى الاقلام ويفنى الكلام وتحصر الافهام والاوهام ثم لقمته العلم لقمه وسبكت له الادب نقره وألهمته جوامع الكلم وأفرغت فى خاطره آداب العرب والعجم وخرجت له من حدّ الافهام الى حدّ الالهام لكنت فيه عن قضاء حق من حقوق الفقيه قاصرا وكان وقوعى دون أدنى مواجبه علىّ ظاهرا ولكنّ الاقرار عذر قوىّ كما أنّ الانكار ذنب طرىّ وقد كان هذا الولد أديبا مجملا فصار بحمد الله تعالى أديبا مفضلا وكان أغرّ فصار أغرّ محجلا وأرجو أنّ الله تعالى يحيي به ما ترسلفه الصالحين ويعلى به منازل آبائه الاولين وأن يكون أولهم علما وأدبا وان كان آخرهم ميلادا ونسبا

(وكتب)

الى

(الى خلف بن أحمد جوابا عن كتاب يعزيه)

ورد كتاب الامير مضمنا المواعظ التى تفلق الصخر والحكم التى تشرح الصدر يأمرنى فيه بالتأدب بأدب الله تعالى والتجزلو عوده ويشير على بأن أتدرع درعا من القاسك تردعنى داعية التهالك وفهمته ولعمرى ان الرزية بفلان رحمه الله وان كانت عظيمة تنسى العظائم وتوهى العزائم فان فى عظة الامير ما يهون الخطب ويكشف الكرب ويداوى القلب ولقد ضربنى الزمان بحد حسامه ورمانى بأنفذ سهامه فان أجر على سبيلى الاولى فى الجزع وأذرع داعية الوجد والهلع فلعظم خطب الرزيه ولثقل وطأة البليه ونفوذ سهم المنيه وان استسلمت للقضاء واستقبلت قبلة الصبر والعزاء فلبلاغة العظه وللزوم الحجه ولما وفق الامير له من مداواة القرحه ورد ضالة السلوه على أنى أوثر الاخرى على الاولى وأحمل الاسى على الاسى لاكتسب بذلك من رضى الله تعالى فى الآجل ذخرا ومن طاعة الامير فى العاجل فخرا فأكون قد نسقت بين الطاعتين واستوجبت بهما الثواب فى الدارين ولا أكون قد أصبت بمصيبة أحاط بها أجران وابتليت بعسر اكتنفه يسران فاذا المحنة فرادى واذا النعمة مثنى والله تعالى يرحم الماضى رحمة تضيء قبره وتحط وزره وتضاعف أجره وتلحقه بالنبى صلى الله عليه وآله وعترته وبمواليه وشيعته ليرتع معه فى روضه ويشرب بيده من حوضه وليحشر فى أعلام أهل دينه ويعطى كتابه بيمينه ويطيل عمر الامير حتى يصير حزبه من أبنائه او يعز نصره حتى يكون خدمه وحشمه من أولاد اعدائه ان رأى الامير فى هذه المخاطبة لفظة ينبو عن قبولها طبعه ويتجافى عن استماعها سمعه صرف ذلك الى دهش الروعه وشغل القلب بالفجعه على أنا ان أصبنا فبدولته وان أخطأنا فلهيبته

(وكتب)

(الى أبى القاسم بن أبى الفرج كاتب ركن الدولة لما عزل)

أنا أهنى الدنيا يوم عزلك كما كنت عزيتها يوم ولايتك فلئن عدا اقبالك فى مثالبها لقد ذكرا دبارك فى مناقبها ولئن كانت عوتبت يوم رفعتك لقد

أعتبت يوم وضعتك وأنت والله الخليل يسر بفراقه والخليل هنى بطلاقه ولقد كان معرض النعمة قبيحا عليك مستغيثا من يديك كأنك أبا القاسم لم تتول الا للتصديق الاول

وكل ولاية لا بد يوما * مغيرة الصديق على الصديق

ولم تعزل الا للترجم عن قول الآخر

ستعزل ان عزلت ولا يساوى * صنيعك فى صديقك نصف فلس

لا بل كأنك ما قلدت الا ليشتد غيظ الاحرار ويقوى طمع الاشرار ولتصير زيادة فى ذنوب الايام الى الكرام وحجة عليها اللئام ولقد خالفت قول الخاف

نحن الذين اذا علوا لم يفخروا * يوم الهياج وان علوا لم يضجروا

فلقد ظفرت فلم تضبط نفسك نشاطا ونكبت فلم تملك استك ضراطا فضقت عن احتمال الفرحه كما عجزت عن احتمال الترحه فلم توجد يوم سعدك شاكرا ولا يوم نحسك صابرا فالحمد لله الذى جعل أمسك لنا عبره ويومك لك نعمه لا عدمنا فلكا دار بردك الى قيمتك وصير حالتك فى وزان آلتك فلا زلت بعدها غضيض الطرف راغم الانف صديقك لا يرحمك وعدوك يظلمك ويتهضمك أقرب الناس اليك أكثرهم بكاء عليك وأدناهم منك أشدهم هرباً عنك والسلام على من قال آمين

(وكتب)

(الى أبى على الشلغمى بعد أبيات استبطأه فى جوابها)

قد حملت الى حضرة الشيخ أبياتا عاتبته بها بل أعتبته فيها وهى عروس كسوتها القوافى وحليتها المعانى ولعمرى لقد زففتها الى كفو كريم وعرضتها من كرمه لقيم عظيم فان كانت حظيت ورضيت فبالرفاء والبنين ما تقسنة على مئين وان تكن الاخرى فقد يصبر الكريم على عشرة من لا يحبه ولا يميل اليه قلبه والعاقل اذا أبغض أنصف واذا أحب ألطف وعلى كل حال ان وجدها الشيخ حرة فليسق الى مهرها وان لم تكن حرة فليوفر على خدرها وليعلم انى غريمه فيها وخصمه عنها والسلام

وكتب

(وكتب)

(الى تلميذله من فقهاء نيسابور لماهرب من محمد بن ابراهيم)

قد كنت أيها الفقيه عزمت على أن أواتر اليك كتبي وأبثك فيها خبري وأفضي اليك بعجري وبجري وأستأمنك في جل أحوالي ودقها وفي باطل أشغالي وحقها ولكني عورضت من المحن بما لم يترك لي قلبا يعقل ولا بنانا يعمل وأقل ما لحقني غضب الامير علي وهذه حالة يفقد بها العقل ويشيب لها الطفل ويتوقع معها الموت بل القتل ولقد نشبت بين أظفار الخوف وعلقت بحبالة الحتف فلا أنا لما ورائي آمن ولا لما أمامي آمل وما كنت أحسب أني أنظر الى قبري قبل انقضاء عمري ولا اني أرى شخص ملك الموت في حياتي قبل أن يحين وقت وفاتي ولعمري لقد رأى الحاسد ما كفاه وشفاه وأضحكه مني مثل ما أبكاه فلئن كان وشي بي الواشي لقد أبلغ ولئن كان قد تعني في افناء أجلي لقد فرغ ولقد كنت أرجو أن يسعني ما وسع الاحمر والاسود ويشملني ما شمل الادنى والابعد ولقد اعتذرت فان عذرت فاليوم قبرت ثم نشرت وان تكن الاخرى

فهذه عذرة ان لا تكن نفعت * فان صاحبها قد تاه في البلد

فالى أين المهرب من الفلك الدوار ومن القدر الجار ومن الليل الذي هو مدركي (وان خلت أن المنتأى عنه واسع) ومن المجير من رجل الانام تحت ملكه والايام منخرطة في سلكه وهل الهارب من المجدود الا كالهارب اليه وهل الصادر عنه الا كالوارد عليه ومن ذا يزاحم ركن الزمان ومن ذا يبيت على وساد الثعبان ومن ذا يرجو الدواء والموت داؤه ويثق بالاصدقاء والايام أعداؤه فلان قد أحسن المحضر وحارب عني القضاء والقدر وليس الكرم من مثله بديع ولا الجميل من أهل بيته بنزيع وانما يجري على عرق جاذب ويعمل على قياس واجب واني لا تلهف عليه تلهف آدم على الجنه وأحبه حب الصحابة للسنه وأشتاق اليه شوقه الى وجه سؤاله واعشقه عشقه لبذل نواله

(وكتب)

(الى أبي على البلعمى لما بلغ منه وخرج توقيعه اليه بالتقريع)

ذكر الشيخ انى تنقلت بعرضه المصون وتعندلت بقدره المكنون المخزون وقد كنت أحسب الشيخ أمنع على السعاة جانبا من أن يقرعوا صفاة حلمه ويخترقوا بأباطيلهم طريق عزمه وحزمه ولقد هدم على الوشاة حصنا كنت أعددته وحلوا عقدا وثيقا كنت عقدته وسلبونى علقا نفيسا اشتريته بنفسى لا بمالى وحاربونى بعدة كنت أحسب أنها لى ولقد كنت أرى البعيد به قريبا منى وأسرى فى الظلماء بضوء رضاه عنى

فمن لى بالعين التى كنت مرة • الى بها فى سالف الدهر تنظر

وها أنا هارب من نفسى فانها ان غضب الشيخ على أقرب أعدائى الى ومتهم لاعضائى فانها عيونه وجواسيسه لدى ومن عاداه الشيخ حاربته نفسه وزحف اليه نحسه وصار خير يوميه أمسه

قوله ولا ثبات فى نسخة ولا وساد على سم الخ اه

ولا ثبات على نهش الاساود لى • ولا قرار على زأر من الاسد

لعن الله من يفسد ذات البين ويسعى بالنميمة بين المحبين فلقد حارب بسلاح كليل الا انه قطع وضرب بعضد واهية الا انه أوجع وانما النمائم من سلاح النساء ومن حصون الضعفاء

(وكتب)

قوله ابى على الخ لعله عين سابقه والاصل محرف وليحرر اه مصححه

(الى أبي على البعلى لما طال عتابه وكثرت رقاعه اليه)

لو بغير الماء حلقى شرق • كنت كالغصان بالماء اعتصارى

كيف يهتدى أبقى الله الشيخ على الدواء من لا يهتدى الى أوجه الداء وكيف يدارى أعداءه من لا يعرف الاصدقاء من الاعداء وكيف يعالج علة القرحة العمياء أم كيف يسرى بلا دليل فى الظلماء أم كيف يخرج الهارب من بين الارض والسماء الكريم أيد الله الشيخ اذا قدر غفر واذا أوثق أطلق واذا أسر أعتق ولقد هربت من الشيخ اليه وتسلطت بعفوه عليه وألقيت ربقة حياتى ومماتى بيديه فليذقنى حلاوة رضاه عنى كما أذاقنى مرارة انتقامه

منى

بنى ولتلح على حالى غرة عفوه كما لاحت عليها مواسم غضبه وسطوه وليعلم أن الحر كريم الظفر اذا نال أقال وأن اللئيم لئيم الظفر اذا نال استطال وليغتنم التجاوز عن عثرات الاحرار ولينتهز فرص الاقتدار وليحمد الله الذى أقامه مقام من يرتجى ويختشى وركب نصابه فى رتبة شباب الزمان ومجدهما فتى وأخلق العالم وذكرهما طرى فجعله فى الميلاد كريمها وسليلها وفى الرتبة قدوتها وجليلها وليعتقد أنه قدها به من استتر ولم يذنب من اليه اعتذر وأن من رد عليه عذره فقد أخرج الى الشجاعة بعد الجبن وأخرج ذنبه الى صحن اليقين من سترة الظن وفق الله تعالى الشيخ لما يحفظ عليه قلوب أوليائه وعصمه عما يزيد به فى عدد جماجم أعدائه وليس بين الموالاة والمعاداة الا لقية بشعه أو لفظة قذعه

(وكتب)

(الى ابن سمكة القمى من أصفهان وقد أهدى اليه مع كتابه هدية)

لما وردت الناحية تسالبونى تسالب الطرفه وتهادونى تهادى الشمامه ووزنونى بمعيار الامتحان وأجرونى فى ميدان الرجحان والنقصان فوجدونى بحمد الله جوادا يجرى ما وجد مذهبا وهزوا سيفا يقطع ما صادف مضربا ولقد عاينوا رجلا هون عليهم من قبله وبغض اليهم من بعده وأجلت الغبرة عن المزور وهو حامد وعن الزائر وهو شاكر حملت الى سيدى كذا غير طامع فى قضاء حق من حقوقه على ولا شق غبار حسنة من حسناته لدى ولو أهديت اليه تاج كسرى وخراج الدنيا وخاتم سليمان وذخيرة الهرمزان وصدفة البصره وجوهر الشحر وكسوة الكعبة مع الدرة اليتيمه مع جواهر الخلافة نعم ولو اتحفته بمال قارون الاسرائيلى وكنز النطف بن جبير التميمى وملك عمرو بن حريث المخزومى ولو كسوته البردة النبويه وأعطيته الشطرنج الكسرويه ولو غرست شجرة طوبى فى داره وأجريت نهر الكوثر على بابه وجعلت ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد فى قبضته ولو قلت فيه ما قال حسان بن ثابت فى آل جفنه ومدحته بما مدح به زهير هرم بن سنان

ابن أبي حارثه وشهدت له بما شهدت به الخنساء لاخويها صخر ومعاوية وصنفت فيه ما صنفه الجاحظ في محاسن أحمد بن دواد الايادي وأغرقت فيه اغراق الامامية في المهدي وفضلته تفضيل الشيعة للوصي عليه السلام واعتقدت فيه اعتقاد النصارى في المسيح أولا واعتقاد الثنوية في ماني ثانيا وانقطعت اليه انقطاع الاخطل الى بني مروان واعتذرت اليه من تقصيري في مدحته اعتذار النابغة الى النعمان ثم لم أدع بيتا نادرا ولا مثلا سائرا الا جعلته سلكا أنظم به محاسنه وقيدا أقيد به مناقبه حتى أفني في ذلك بياض سمرقند وأحفي أقلام مصر وواسط وأشغل فيه وراقي الكوفه وكتاب السواد فانهم منبع هذه الصنعه ومعدن هذه الحرفه لا بل لو تجردت لمدحه تجرد السيد الحميري للطالبيين وتجرد مروان بن أبي حفصة للعباسيين وأتعبت في ذلك الكرام الكاتبين حتى تركتهم محسورين لاغبين ولكني اذا قررت عذري وأقررت بتقصير سبري وقصور قدري فقد جاوزت عقب الاستزاده وسيدي أعلم بخفايا عقدي وأعرف بحاله عندي

(وكتب)

(الى تلميذله لما تخلص من يد محمد بن ابراهيم)

كتابي وقد خرجت من البلاء خروج السيف من الجلاء وبروز البدر من الظلماء وقد فارقتني المحنة وهي مفارق لا يشتاق اليه وودعتني وهي مودع لا يبكى عليه والحمد لله تعالى على محنة يجليها ونعمة ينيلها ويوليها كنت أتوقع أمس كتاب الشيخ بالتسليه واليوم بالتهنيه فلم يكاتبني في أيام البرحاء بأنها غمته ولا في أيام الرخاء بأنها سرته وقد اعتذرت عنه الى نفسي وجادلت عنه قلبي فقلت أما اخلاله بالاولى فلانه شغله الاهتمام بها عن الكلام فيها وأما تغافله عن الاخرى فلانه أحب أن يوفر علي مرتبة السابق الى الابتداء ويقتصر بنفسه على محل الاقتداء لتكون نعم الله سبحانه علي موفورة من كل جهه ومحفوفة بي من كل رتبه فان كنت أحسنت الاعتذار عن سيدي فليعرف لي حق الاحسان وليكتب الي بالاستحسان وان كنت

أسأت

أسأت فليعذرني بعذره فانه أعرف مني بسره وليرض مني باني ساربت عنه قلبي واعتذرت عن ذنبه حتى كانه ذنبي وقلت يانفس اعذري أخاك وخذي منه ماأعطاك فمع اليوم غد والعود أحمد

(وكتب)
(الى احمد بن شبيب)

ورد كتاب صاحب الجيش مكتوبا بيد خلقت للسيف والقلم بل خلقت لبذل الدينار والدرهم بل خلقت لامساك العنان والعلم بل خلقت للنعم والنقم بل خلقت لجمع آداب العرب والعجم فرأيته لما رأيته وحفظته لما لحظته ولو أنصفته لجعلت الفلك صحيفته والدهر راويته ولما أجلت فكري فيه واحطت علما بمعانيه ورفعت طرفي وخاطري في مقاطعه ومباديه وتفكرت في رتبة صاحب الجيش في الرتب وفي رتبة كتابه في الكتب أنشدت

ولما رأيت الناس دون محله * تيقنت أن الدهر للناس ناقد

ولو أنصفت هذا الكتاب لما فرغت منه الى الجواب عنه ولكن بعض الاجوبة خدمه كما أن بعض الابتداآت نعمه

(وكتب)
(اليه لما خرج من حبس محمد بن ابراهيم)

كتبت أيد الله صاحب الجيش وقد خرجت من تلك الاهوال خروج المشرفي من الصقال لا بل خروج البدر من خلال السحاب وحالى الآن بين الرجاء والقناعة متماسكه والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله صفوة الله ووصل كتاب صاحب الجيش وأفادني من خبر سلامته ماغفرت له ذنوب الايام الى وجناياته علي وفهمته ووجدت صاحب الجيش في غضبه على رقيق صفحة الاحتمال قريب غور الصفح والاجمال مضايقا من حيث يتوسع الكرام مخالفا ماتوجبه الاحلام يفطن للذنب الخفي ويتعامى عن العذر الجلي لا ينزل في المكافأة الاعلى حكم الاعداء ولا يستقبل بالمعاملة الاقبلة الاستيفاء ولا يعلم أن للعبيد على الموالي ذمة وان كان

عليهم حق وأن المماليك من طريق العشرة أحرار وان لزمهم رق هذه حال المملوك فكيف بالحر الذي يأخذ مثل ما أعطى ويستوفى على قدر ما أوفى وأما أنا فانما أدللت على صاحب الجيش لا طرق له الى الاحتمال ولا وفر له نصيبه من الفضل بالادلال وعلى أنه يحمل التواضع على الكبر ويميل مع المحاباة على القدر فاذ قد أخذ بنا في طريق المؤاخذه وعاشرنا على المكايله والموازنه فماله عندى الا السكوت حتى يرضى والسكوت بعد الرضى حتى يرضى الدهر فانى أظن أن الدهر لا يرضى عن ذلى الا بقتلى ولا يتوقف عن اعناقى الا عند وفاتى وهلا حاربنى الدهر بسلاح غير صاحب الجيش فيعلم كيف قراعى للاقران وكيف صبرى على الضراب والطعان وأقدر مانى الادبار بسهم على أنى لم ألبس له جنه ولم أعد له فيه عده فانى والله لست بالصبور على مس العتاب ولا بالقلب على وحشة الاحباب ولانى

لست على عتبك جلد القوى * ولا على هجرك شاكى السلاح

ومن غرائب القضاء ونوادر أخبار السماء انى ما قرأت لصاحب الجيش كتابا أطول من هذا طولا ولا أضيق منه ذيولا فليت شعرى لم طول هذا التطويل وجاء بهذا الكلام العريض الطويل ألانه لم يشف قلبه الا بلوغ النهاية فى النكايه أم لانه لما وضعنى تحت القلم درت على أخلاف كتابته وانهارت فوقى أجراف خطابته أم لانه أراد أن يعرفنى أنه طويل أمد العربده مديد نفس المذمة والمحمده اذا شاء قال واذا قال أطال واذا غضب كان عقابه جليلا واذا رضى كان ثوابه جزيلا ولم يبق لى الآن شئ أعلل به قلبى العليل وأداوى به هوى الدخيل الا فرحى بما أسمعه من خبر سلامته فى نفسه نفس الله مدتها وفى أسبابه حرس الله جنبتها ولقد رضيت بالقليل ونزلت على الريح الطفيف ولكن كل اللباس يلبس العريان وكل الطعام يأكل الغرثان وأستغفر الله ليس علم سلامة صاحب الجيش بالطفيف ولا توزن الموهبة فيه بالخفيف ولكن خوفى غضبه قد حيرنى حتى سلبنى عقلى وحتى صيرنى لا أملك قياد قولى وما أعتذر من بحبى فى مثل هذا المقام الهائل

ولا

ولا ألام على دهشي لهذا الخطب النازل والشجاعة في غيره كانها خرق والجلادة على ما لا يقتضي الحال حمق

(وكتب)

(الى كاتب خوارزمشاه وقد تخلص من المصادرة يشكي اليه وزير صاحبه)

قرأت كتاب الشيخ فكاد سروري بسلامته لا يفي بندامتي على مفارقته ذكر الشيخ ما فتحه الله تعالى عليه من أبواب المنن وأغلقه عليه من أبواب المحن فسبحان من اذا أغلق بابا فتح أبوابا واذا قطع سببا أوصل أسبابا واذا بخل عباده فخزائنه مفتوحه واذا قبضوا أيديهم بالرزق فيده مبسوطه وأنا الى الشيخ مشتاق شوقا لو قسم على القلوب لا هاصبوه ولم يدع فيها سلوه وما أشكر نفسي على أن تشتاق الى من لا ترى منه بديلا ولا تجد النفس الى السلو عنه سبيلا وبحسب الشيخ أن طرفي بطرفه معقود وأن باب نسيانه وتناسيه على مسدود وأني اذا أصدرت كتابي اليه بالسلامة مع أن قلبي غير سليم من الالم ولا صحيح من ألوان السقم فانما أريد بذلك التفاؤل للكتابه واتباع رسوم الكتاب فلان قد بلغني اطنابه في ذكري وتفضيله لي على اهل عصري وهذا سلف أسلفنيه وأنا بمعونة من الله تعالى أؤديه وما أزن نفسي بالصنعة التي بها يزنني ولا أزينها بالفضل الذي به يزينني فان كان كما قال فلعل الفضل دب الي وخرج من الكمين علي لاني عاشرته فأعداني فضلا وهذبني قولا وفعلا وأنا في ذلك جنيبته ان رضيني جنيبه وخليفته ان قبلني خليفه ولقد أغرب ذلك الحر على أهل دهره وخالف طريقة غيره حين ذكرنا ونحن أصدقاء العسره واخوان الفتره فلم يغيره السلطان ولم يصغه الشيطان ولقد شهد له وحده بأنه كريم ومن اللوم واللؤم سليم على قضية قول أبي تمام

وان أولى البرايا أن تواسيه * عند السرور لمن واساك في الحزن

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم في المنزل الخشن

وشهادة أبي تمام في الكرم تقوم مقام شهادة أمة بل امم ولئن كان خزيمة

ابن ثابت ذا الشهادتين عند الانبياء والحكام فانّ أبا تمام ذو الشهادتين عند الاحرار والكرام ولى على ذلك الولد حق الابوه كما أن له على حق البنوه والآباء ابوان أب ولاده وأب افاده فالاول سبب الحياة الجسمانيه والآخر سبب الحياة الروحانيه

(وكتب)

(الى وزير خوارزمشاه لما نكب)

قد امتدّت مدّة هذا البلاء وأوهمنا انّ الدار دار البقاء لا دار الفناء وصار الخطب فيها سببا من أسباب سوء الظنّ بالانام وداعية الى قلة الاستنامة الى الايام ونصرة لفعال اللئام ولقد عجبت من ذلك الامير كيف استبدل العبيد بالاحرار وكيف تحوّل من ظهر الفرس الى ظهر الحمار كأنه لم يسمع فى الخبر بدل الاعور يريد قول الشاعر

أقتيب قد قلنا غداة أتيتنا * بدل لعمرك من يزيد الاعور

ولما سمعت أيد الله الشيخ بهذه الآبدة النادرة التى تضحك الثكلى وتترك العقول حيرى قلت لا اله الا الله وما أعرف لها فائدة الا أنها انطقت الناس بالتوحيد وان كان على وجه التعجب لا على وجه التهليل والتمجيد اللهمّ اجعلنا ممن يتعجب اذا رأى العجائب ويغرب ضحكا اذا سمع الغرائب فانه اذا كثر العجب زال التعجب

على انها الايام قد صرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب

فأمّا الآن وقد كان ما كان فانى أرى للشيخ أن يلبس للدهر ثوبا من الصبر تخينا ويولى حوادثه ركنا من التماسك ركينا وأن تجده الايام حرّا وأن تصيبه الحوادث اذا ذاقته مرا وأن يدارى مع ذلك سلطانه ويصغر بلسانه اساءته ويكبر احسانه ويروض لسانه فى الخلوة على شكره لئلا يجمح به فى الجلوة الى غيره فانما أيام المحنة موج من تطاطا له تخطاه ومن وقف على طريقه أرداه ومن قابل أيام الادبار بوجهه صدمته ومن قاتل عساكر الاقبال فى أيام كرّها هزمته ومن طالب السلطان بالنصفة

طلب

قوله ونصرة لفعال اللئام فى نسخة بدل ذلك والتعجب الى حد التهمة والتكذيب وعجبت الخ اه

قوله يزيد هو يزيد بن المهلب الماولى بعده قتيبة بن مسلم اه

طلب عسيرا ومن حاسب على قليل من العنت لقى كثيرا وآفة الناصح آلته وعيب الكامل فى وقت المحنة دالته لانه يطالب بثمن نصيحته ويدل على صاحبه بكفايته ويعتقد أن طول الخدمة آكد حرمه وأن تاكد الحرمة عنده قرابة ولحمه ولعمرى ان ذلك كان كذلك ولكن الغضب ينسى الحرمات ويدفن الحسنات ويخلق للبرىء جنايات وان أمير المؤمنين وفعله لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

(وكتب)

(الى أبى محمد العلوى يعاتبه)

لولا أنى لا أحب أن أفتتح كتابى الى السيد بعتاب وأن أكلفه الى تكلف حجة وجواب لوجدتها حى فى الملام مسدده وسيوفى فى التقريع محدده ولعلم أنى اذا ضربت بلسانى لم تقم ضريبتى واذا رميت لم تنج رميتى ورد كتاب الشريف أيده الله وهو الكتاب الشريف كاتبا السعيد حاملا المغبوط ناسخا المحسود راويا وفيه الكلام الذى لا يبليه الزمان ولا تمجه الآذان وقد أفرد السيد فيه كل واحد من أوليائه وشيعته بلطف وتناوله من البر والتحفى بطرف غيرى وما كنت أعلم أنى سكيت الحلبه ولا أنى ساقة الكتيبه ولا أن اسمى آخر الجريده ولعمرى ان شيعة السيد لكبار ولكنى لا أصغر عنهم وأنهم لكثير ولكن مثلى لا يضيع فيهم وأعوذ بالله من الكساد فانه أخو الفساد وأستجيره من أن أكون محبا غير محبوب فان المحبة شجرة لا تثمر الا على عرقين وسقف لا يبقى الا على عمادين وصفقة لا تتم الا ببيعتين وان قوما أنا أصغرهم لكبار وان أمة أبو ذر شرها لخيار خرج السيد فخبا نجم العلم وأفلت شمس الادب وانهدم ركن السخاء وفل سيف العطاء وغارت عين الاريحيه وانثلم جانب الانسانيه وانهزمت عساكر الكرم واغبر وجه السيف والقلم ونضب ماء الحياء وركدت ريح البهاء وخرب بنيان العقل وتضعضع جبل التوحيد والعدل وأخلقت ثياب الافضال والفضل وتهافت نظام القول والفعل ومرج

حبل السخاء والبذل وأنشد كل من وجد من فقده ونظر الى شكل المكارم من بعده

ما حال من كان له واحد * يؤخذ منه ذلك الواحد

وأنا من بين الجماعة كالواله الثكلى وكالفاقد الحرّا

أقلب طرفى لا أرى من أحبه * وفى الدار ممن لا أحب كثير

اذا نظرت الى عرصات المكارم والمجد خاليه والى رباع الفضل عافيه والى سدة الشرف وقد خلا جنابها واصطفقت أبوابها أنشدت

وأصبح بطن مكة مقشعرا * كأن الارض ليس بها هشام

وقد رحل السيد الى حضرة رجل هو للكرم أنشى نفسا وللفضل عمّل شخصا اذا ناظره العربى صار أعجميا واذا ناظره الأعجمى صار عربيا واذا رآه المعجب بنفسه طلق كبره وفارق فخره فهو رفيق الجود وخليله وزميل الكرم ونزيله وغرة الدهر وتحجيله حضرته حضرة الآجال والاموال لا بل حضرة الاقوال والافعال لا بل حضرة الرجال تنصب اليها مواد الرغبات وتنشد فيها خيول الطلبات من تأمله علم أن الله تعالى فرق المحاسن على أهل كل زمان وجمعها فى زماننا هذا فى انسان فسبحان من اذا شاء خص بعض عباده بالفضل ورفع بعض بلاده على بعض بالاهل من غير أن يكون ظلم أحدا أو حابى أحدا وصف عراقى خراسان فقال نساؤها كرجالنا ورجالها كجبالنا ورأيت أنا أصفهان فقلت صبيها كرجلنا ورجلها ككهلنا وكهلها كشيخنا وشيخها كنبينا ولم لا يخرج أهل تلك البلدة فى قالب الكمال ولا يستوفون شرائط الرجال ولا ينظمون فى طرفى القول والفعال وهم يرون كل يوم واردا ويشهدون وافدا ويسمعون نغمه ويطالعون نعمه لان فيهم مثابة الجود وقرارة الوفود وكعبة الآمال ومحط رحال الرجال وهم يلتقون على باب الوزير مع كل كاتب وحاسب ويجلسون فى سدته مع كل ناثر وشاعر ولا يعدمهم أن ينظروا الى ذى صناعة معاشية أو معاديه والى ذى آلة رياضية أو عقليه فترق ألسنتهم وتصفو أذهانهم

وتتنزه

وتتنزه أبصارهم وتدق أفكارهم لاقتباسهم علم كل مكان واستماعهم تبيان كل لسان وترددهم بين اللغات المختلفه وبين الاخلاق المتباينه فهم يبصرون فيستبصرون ويرون فيرون ويسمعون فيحفظون وأين بهم عن ذلك وهم يترددون فى مغيض العلم والادب وينزلون فى موسم العجم والعرب هذا الى مايسمعونه من كلام الوزير الذى لو سمعته الوحش أنست ولو خوطبت به الخرس لنطقت أو استدعيت به الطير نزلت ومن جالس صاحب صناعة حذقها ومن طال استماعه الحكم نطقها ونعم المعلم الجوار ونعم الرسول الاستماع والابصار كتاب كذا يجب أن يجعل المنع منه صوانه والعين بل القلب مكانه فان الغيرة على الكتب من المكارم لا بل هى أخت الغيرة على المحارم والبخل بالعلم على غير أهله قضاء لحقه ومعرفة لفضله وانى لاحسد على الورقه مالا أحسده على البدره وأنافس فى حرف أو حرفين مالا أنافسه فى ألف دينار أو ألفين وأغار على الادب الكريم من المتأدب اللئيم

وأرى له من موقف السوء عنده * كمرثيتى للطرف والعلج راكبه

ولوددت أن يكون الادب فى جبهة الاسد ولو أصبحت الدفاتر فى أنياب الاسود ووددت أن يبعث ورقة بدينار أو كتب دفتر بقنطار فلا يتأدب الاشجاع كمى ولا يحرز الدفاتر الا جواد سخى طوات على السيد وأكثرت وهذيت فيما حررت وسطرت ولسان الهذر ناطق بالضجر

(وكتب)

(الى أبى العباس كاتب محمد بن ابراهيم وقد طلب منه نسخة رسائله)

قد اسلفت الشيخ من شكرى ما أوجب عليه صلاح أمرى والسفارة بينى وبين دهرى والسلف فى الدراهم محظور مستقبح وفى الشكر مباح مستملح وحاجتى هذه من صغار الحوايج ولكن كرم الشيخ يسع جلائل الامور ودقائقها وكنت طويت مسئلة الشيخ فى أدراج المتاركه ودخلت بها فى باب المتاكته ثم ردنى اليه أنى لم أر معبر الكرم الا عليه ولم أر منبع

الارزاق الامن يديه طلب الشيخ شيأ من رسائلى فرحبا بأنجح طالب وأكرم خاطب ومن سعادة الصهر كرم أختانه ومن اقبال الكاتب والشاعر شرف من نظر فى ديوانه ولو قدرت لجعلت الورق من جلدى بل من صحن خدى والقلم من بنانى والمداد من ماء أجفانى ولامليت هذه النسخة على السفرة البررة ليكتبوه بيد العصمه ويخلدوه فى بيت الحكمه بل لو علمت أن مثل الشيخ يطلبه وأن مثل يد الشيخ بسطها الله بالخيرات تكتبه لحاسبت عليه بقلبى ولسانى أدق حساب وطالبت شيطانى بتهذيبه وتنقيحه أشد طلاب ولقلت لخاطرى دقق طرزك وجود بزك فان المبتاع كريم والثمن عظيم وقد قيل الراوية أحد الشاعرين وأنا أقول الرواية أحد الشعرين

(وكتب)

(الى أبى الحسن عبد العزيز صاحب ديوان الرسائل)

كتابى عن سلامة لا أتهنى بها الا بسلامة الشيخ والحمد لله على سلامته وعلى سلامتى فى جملته وصلى الله على سيدنا محمد النبى وعترته لما وردت هذه الناحية وجدت النجاح تقدمنى اليها وانتظرنى لديها فنزلت منه فى أوسع منزل وعلى أكرم منزل أكرمنى نازلا وشيعنى راحلا وقضى حاجتى عاجلا وآجلا والجملة أن الشيخ وجد أمرى ميتا فأحياه ورأى النجاح منى بعيدا فأدناه وصادف اقبالى مريضا فداواه ولقد أراحنى الشيخ ببره بل أتعبنى بشكره وأقرعنى بصادق قيامه لا بل شغلنى بتعديد احسانه وانعامه وخفف ظهرى من ثقل المحن لا بل أثقله بأعباء المنن وأحيانى بتحقيق الرجاء لا بل أماتنى بفرط الحياء فأنا له بعد اليوم عتيق وأسير بل طليق ومن أنقذ انسانا من الفقر وانتاشه من مخالب الدهر وفكه من اسار العصر فقد أعتقه من الرق الاكبر ونجاه من الموت الاحمر والرق رقان رق الملك ورق الهوان والاسر أسران أسر العدو وأسر الزمان ولست أرضى لشكر السيد لسانى ولا بنانى ولا أستصلح لذكر مآثره وآثاره كلامى فانى ولا كفران لله كليل شفرة الكلام

بليم وقع الاقلام قصير رشاء اللسان قريب غور البيان ولكني أستعين
في ذلك بألسنة أصدقائي وأقلام معارفي وأوذائي فنجتمع عليه ونهدي
ما نلفقه بيننا اليه لازال الشيخ للاحرار مسددا ولسانا ويدا وعمادا
معتمدا ولازالت الالسن عليه بالثناء ناطقه والقلوب على مودته متطابقه
والشهادات بالفضل له متناسقه ولازالت أولياؤه مستذرين بأفيائه
منيخين بافنائه وعفاته مستعلين به على أعدائه وجعلني الله فداءه ان
كنت أصلح لفدائه وأحسن عني جزاءه اذ كان أوسع بجزائه وأطال بقاءه
اذ كان بقاء المكارم في بقائه

(وكتب)

(الى أبي سعيد المستوفي بناحية محمد بن ابراهيم من هراة)

وردت الناحية بعد ما قاسيت السير والسرى وخضت غمار المهالك والردى
ونظرت الى الآخرة وأنا في الدنيا وأول ما مر بي سوء الدخول على ظهر الحمار
ومعاشرة الحمار على أن الحمار أيضا حمار الا أنه قصير الاذنين يمشي على
رجلين وكأني كنت بين حمارين الا أني كنت بين جنسين غير أني ادركت
المراد وحمدت المراد وساعدني الزمان وما كاد ومن تعلق بذيل المقبل
أقبل ومن جعل مثل الشيخ سلما فقد وصل فها أنا ذا الشيخ صنيعه ولامره
تابع وجنيبه ووظيفتي في الملا شكره وفي الخلاء ذكره

(وكتب اليه)

قضيت بهذه الناحية حاجتي وعمرت بعد الخراب حالتي اذ سرت اليها متطيا
عناية الشيخ بي ومرافقا نظره لي ولولا سكون قلبي الى حفظه على ما ورائي
وقيامه دوني في وجوه أعدائي لما تقدمت الا وقلبي متأخر ولا أقبلت
الى مقصدي الا وعزمي متذبذب فان القلب اذا اشتغل بما وراءه لم ينفذ
رأيه فيما أمامه والرجل اذا قيدها عقال الوجل لم تنطلق نحو مظنة الامل
فسبحان من ذخر لي من الشيخ كنزا ووهب لي من جانبه شرفا وعزا وجعلني

أطير بجناحيه وأتناول ماأريد عن يديه واذا مات ملكي أحياه واذ تبلد بخني أمضاه واذا سخط على دهري أرضاه فلاجرم لقد ملكني ملكا لاتحل عقدته ولاتخاف عهدته لاسلبني الله تعالى النعمة ببقائه ولانزع عني ثوب الجمال ببهائه

(وكتب)

(الى فقيه هراة بعد أن خرج منها عليلا)

تأخرت كتبي عن حضرة الفقيه لشواغل كثيرة العلة صغراها والعقلة وسطاها والغيبة كبراها ومالي عذر في واحدة منهن ولامنهن كاهن ولكن المحجوج بكل شيء ينطق والغريق بكل حبل يتعلق ولقد عققت الود وظلمت العهد ونصبت جنبي للملام واستهدفت لسهام الكلام وكأني بجيش العتاب وقد زحف الي وحمل علي والتقريع على مقدمته والتوبيخ على ساقته والهجر الصرف على مجنبته فارقت تلك الناحية والحمى رفيق وزميلي والنافض عديلي وزميلي وقد ودعت الدنيا وحصلت في مخالب ابي يحيى حي اليأس والوسواس ميت النفس والانفاس لاتطيعني يدي ورجلي ولايساعدني لساني وعقلي أبعد شيء عن الحياه وأقرب شيء الى الوفاه لاأظن عمري الاحسوة طائر أولفتة ناظر ثم ساق الله الى عافية أخرجت من السكمين ولم تهجس لي في الظنون فجاء اسمي من جريدة الموتى ورجعت الى الاولى من الاخرى وعاش الامل ومات الوجل ولو أني معترلي لقلت وتأخر الاجل فالحمد لله الذي قرب الاجل ثم أخره وأورده حوض المنية ثم أصدره لابل أماته ثم أنشره وحقيق أن نشكر ربا اذا ابتلى عوض الاجر واذا عافى عرض للزيادة بالشكر حمدا تتصل أمداده ولاتفنى أعداده

(وكتب)

(الى تلميذ له ورد عليه كتابه بانه عليل)

وصل كتابك ياسيدي فسرني نظري اليه ثم غمني اطلاعي عليه لما تضمنه من ذكر

ذكر علتك جعل الله أولها كفاره وآخرها عافيه ولا أعدمك على الاولى أجرا وعلى الاخرى شكرا وبودّى لو قرب على تناول عيادتك فاحتملت عنك بالتعهد والمساعدة بعض أعباء علتك فلقد خصني من هذه العله قسم كقسمك ومرض قلبي فيك لمرض جسمك وأظن أني لو لقيتك عليلا لانصرفت عنك وأنا أعل منك فاني بحمد الله تعالى جلد على أوجاع أعضائى غير جلد على أوجاع أصدقائى ينبو عنى سهم الدهر اذا رمانى وينفذ فى اذا رمى اخوانى فأقرب سهامه منى أبعد سهامه عنى كما أن أبعدها عنى أقربها منى شفاك الله وعافاك وكفانى فيك المحذور وكفاك ورفع جنبك وغفر ذنبك وآمن سربك وشرح قلبك وأعلى كعبك

(وكتب)

(اليه وقد ورد كتابه بافاقته وحمل اليه تفاحا)

وصل التفاح فى طيب نشرك وحلاوة نظمك ونثرك وحسن ذكرك وكان أعبق من كل طيب غير خلقك وأحسن من كل حسن غير خلقك وعدتنى سرعة انكفائك وذكرت افراقك من دائك فما أدرى على أى الخبرين كان شكرى لله تعالى أكثر عددا وأكثف مددا وبأية البشارتين كانت نفسى أسر وعينى أقر صدق الله تعالى هذه البشرى وأتم عليك هذه النعمى وها أنا قد مددت الى الطريق عينى وأخذت أعد الخطا بينك وبينى أحسب كل انسان رسولا وكل شخص كتابا الى محمولا فجمع الله تحافنا بنفسك ولا حرمنا حظنا من أنسك

(وكتب)

(الى كاتب من كتاب الحضرة)

تأخر عنى كتاب شيخى حتى نسيت أيام المراسله وصرت أرى فى المنام أوقات المكاتبة والمواصله وحتى ظننت أن الاقلام قد حفيت وأن القراطيس قد فنيت وأن الكتابة قد نسيت وأن المطالعة والمفاوضة قد طويت وأن المداد قد صار فى جبهة الاسد أو يجلب من السوس الابعد وأن الدولة قد

أصبحت أمته وأن الدولة بل الملة قد عادت أعجميه ثم راجعت فناظرت نفسى فوجدت الذنب مقسوما بينى وبينه فتحملت حصته منه وانفردت بجميعه عنه وذلك أنى خرجت وسافرت هذه السفره فاوقعت فى احتمال الفقره والغائب ملغى أوملق ومنسى أومتناسى فلان كان أفقر من الانبياء فان فقراءهم أكثر من الاغنياء وأعرى من الحيه وأنقى كيسا من الراحه يده صفر ومنزله قفر وغداؤه الخوى وعشاؤه الطوى ووطاؤه الارض وغطاؤه السماء وادامه التشهى وطعامه التمنى وراحته زوجته ورجله مطيته لايرى الدرهم الافى المنام ولايحس الدينار الابالاوهام ولايشبع الافى أضغاث الاحلام بابه مجلس الغرماء وذيله متعلق الخصماء قد ضرب عليه الخذلان رواقا وبنى فوقه الادبار طاقا ونشز عليه الرزق وحرمه الخالق والخلق واسع المنى ضيق الفنا أفرغ دارا من فؤاد أم موسى عليه السلام لو مرت به الريح لاخذتها ولوزارالذئاب لطمع فيها خصيب العين جديب البطن لان العين تشبع نظاره ولايشبع البطن الاعن حقيقه كأن الارزاق قسمت ورزقه غائب وكأن الحظوظ وضعت وبحته هارب وكأن الفلك يعاديه والدهر يناويه وكأنه أثكل الرزق ولدا وكسر له رجلا ويدا فعمدت اليه فجبرت كسره وطردت عنه فقره وحاربت دهره وزففته زف الهدى الى الفنا وعللته تعليل الصبى بالمنى ورأيت حاله قد انحرفت انحرافا لايتدارك وانحلت انحلالا لايتماسك فلم أزل أرفو خروقها وأرتق فتقها وأجلو عنها صدأ الادبار وأغسل عن أطرافها وضر العسر والاقتار فما هو الا أن رأى بيده ضوء الدرهم والدينار فطوى مراحل العسر الى اليسار حتى نسى نفسه وجحد أمسه وتطاول بيد قصيره وتعظم بنفس حقيره وقلب على مجن غادر وصافح نعمتى عليه بيد كافر وقبح لقاؤه لى وكان حسنا وخشن مسه على وكان لينا فلما رأيت سوء جواره لنعمة الله تعالى وتركه التأدب بأدب الله وجهله حق رزق الله رددته الى قيمته وجعلت نقمته فى وزن نعمته ونزعت عنه قميص عافية أساملبسه واستعماله ولم يعرف

له

له بهاءه وجماله وتعلقت بذيل ذلك المال وقد كاد يفوت ورددت اليه روحه
وقد ابتدأ يموت فمن رآنى فليتهم على الدرهم يديه وليوكل به عينيه وليجعل
وكيله نفسه وقهرمانه كيسه وشريكه قفله وحارسه عقله وخادمه ختمه
وصديقه صناديقه وليعلم أن درهمه اذا فارقه لم يرجع اليه واذا صافح
يد غيره لم يصافح يديه واذا أعطاه اباه او أخاه فقد زاد به فى عدد أعدائه كما
نقص من عدد أصدقائه ومن أراد أن يشترى الاعداء بماله وأن يحارب يمينه
بشماله فليخالف طريقتى ولا يقبل نصيحتى

(وكتب)

(الى صاحب ديوان الحضره)

كتابى الى الشيخ من الديوان وأنا فيه ملحق بالحرمان مشتمل بالذل والهوان
قاعد بين النقصان والخسران عن يمينى مستخرجان وعن يسارى وكيلان
والحمد لله على تصاريف الدهر وأحواله وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله
قد أحفيت قلمى ويدى فى كتبى الى الشيخ أخطب نظره لى وأنشد ما أضللته
من عنايته بى فلم يعطف على عطفه ولم يشغل بجانبى طرفه واذا ادبارى
مصمت لا يسمع الدعوى ولا يقبل الرقى وما أشكو الا نحسى ولا أهجو
الا نفسى وما خصمى غير حرمانى ولا قرنى الا زمانى ورد علينا فلان ونحن
نيام نوم الامنه وسكارى سكر الثروه ومتكئون على فراش العدل
والنصفه فما زال يفتح علينا أبواب المظالم ويحتلب فينا ضرعى الدنانير والدراهم
ويسير فى بلاد ناسيرة لا يسيرها السنور فى الفار ولا يستخيرها المسلمون فى
الكفار حتى افتقر الاغنياء وانكشف الفقراء وحتى ترك الدهقان ضيعته
وجحد صاحب الغلة غلته وحتى نشف الزرع والضرع وأهلك الحرث والنسل
وحتى أخرب البلاد بل أخرب العباد وحتى شوق الى الآخرة أهل الدنيا
وحبب الفقر الى أهل الغنى وحتى لقب بالجراد وكنى أبا الفساد وحتى صار
الدرهم فى أيامه أقل من الصدق فى كلامه وصار الامن فى أعماله أعز من
السداد فى أفعاله فليته اذ أوحش الرجال حصل المال وليته اذ ضيع المال

أرضى الرجال ولكنه حرم الاثنتين فأفلس من الجهتين ووالله ما الذئب فى الغنم بالقياس اليه الا من المصلحين ولا السوس فى الخز فى الصيف عنده الا من المحسنين ولا الحجاج بن يوسف الثقفى فى أهل العراق الا أول العادلين ولا يزدجرد الاثيم فى أهل فارس بالاضافة اليه الا من النبيين والصديقين ولا فرعون فى بنى اسرائيل اذا قابلته به الا من الملائكة المقربين فان كانا به معاقبين فقد تنقضى مدة العقاب وتختم صحيفة العذاب وان كان الفلك غلط به والزمان أخطأ فيه فقد يراجع الغالط حسه ويحاسب المخطئ نفسه فيجبر ما كسر ويتلافى ما بدر والسلام

* (وكتب) *

* (الى أبى الوفاء صاحب جيش عضد الدولة) *

كتابى وأنا بما يبلغنى من صالح أخبار الشيخ مغتبط ومسرور وبما يعرفه الزمان وأهله من اعتقادى به مصون موفور والله على الاولى محمود وعلى الاخرى مشكور التطفل وان كان محظورا فى غير مواطنه فانه مباح فى أماكنه وهو وان كان فى بعض الاحوال يجمع عارا ووزرا فانه فى بعضها يجمع فخرا وذخرا ورب فعل يصاب به وقته فيكون سنه وهو فى غير وقته بدعه وقد تطفلت على الشيخ بهذه الاحرف أخطب بها مودته اليه وأعرض فيها مودتى عليه وأسأله أن يرسم لى فى لسانى وقلبى رسما ويختم عليهما ختما فقد جعلتهما باسمه وقصرتهما على حكمه وسأضعهما تحت ختمه وبرئت اليه منهما وصرت وكيله فيهما فهما على غيره حمى لا يقرب وبحيرة لا تحلب ولا تركب ولما نظرت الى آثار الشيخ على الاحرار ونشرت طراز محاسنه من أيدى القاصدين والزوار وأقيمت له عندى بالفضل شهادة الاخبار والاشعار وهما شاهدا عدل بكل نقص وفضل ثم لما رأيت نفسى غفلا من سمة مودته وعطلا من جمال عشرته حميتها من أن يحمى عليها ورد مورود ويحسر عنها ظل على الجميع ممدود وعجبت من

سحاب خطانى جوده وهو صيب * وبحر عدانى سيله وهو مفعم

وبدر

وبدر أضاء الارض شرقا ومغربا * وموضع رجلي منه أسود مظلم

(وكتب)

*(الى أبي الحرث من ولد هاشم بن ماسجور وهو ملك الختل
وقد راسله يستدعي كتابه)*

مكاتبة مثلي للامير سوء أدب ودعه وقلة حياء ومسكه وتركي مكاتبته بعد ما أمكنتني وقرب متناولها مني تضييع لفرصة من فرص العز ونهزة من نهز الفوز والعاقل يختار خير الشرين ويميل مع أعدل الشقين لم أزل أيد الله الامير أقترح على دهري أن يسعدني وعلى عمري أن يسعفني فأتعلق من تلك الخدمة بطرف وأتوصل الى تلك الحضرة بسبب ويأبى الدهر الا أن يحليني عن ورد أحوم عليه برجائي ويغلق علي بابا أستفتحه بدعائي فلما غلبني الدهر على مرادي وخالف بين طريق اصداري وايرادي رضيت من المائدة باللقمه ومن الفضل بالبلغه وسلكت مع بختي طريق المصانعه اذ كان قد سد علي طريق المصادره وقلت لا أقل من أن أدس اسمي في أسماء خدم تلك الحضرة الجليله وأترب يدي بغبار تلك الصنائع الجزيله وأخدم ذلك السيد قولا اذ كنت لم أرزق خدمته فعلا واكاتبه غائبا اذ كنت لا أصل اليه حاضرا فكتبت هذه الاحرف أصل حبلي بحبله وأعرض بها نفسي لفضله وأنا أخرج الى الامير من عهدة هذه السلعه وأشهد أني وسط في هذه الصنعه فان الهيبة تحصر بنان الكاتب وتعقل لسان الخاطب فكيف حالها مع المكاتب وأما شاكر للامير وان كنت لم أرد بحره ولم أحتلب دره لما سمعته من شكر الشاكرين لفضله ومن اطباق الجميع على ذكر محاسن قوله وفعله لا بل شكري له عن غيري أعظم والحق لي فيه أزم لاني لو شكرته عن نفسي شكرته عن انسان واحتجت في ذلك الى لسان واذا شكرته عن الناس شكرته عن أمه واحتجت الى ألسنة جمه

علي أنني أماري الحسام اذا مضى * وان كان يوم الروع غيري حامله

جزى الله الامير عن الجود خيرا فقد أقام له سوقا كانت كاسده وأهب منه

ربما كانت راكده وأحيا منه أرضا كانت هامده ولقد سلك الامير من الكرم طريقا يستوحش فيها لقلة سالكيها وعمر للمعروف دارا لايستانس بها العدم ساكنها ويتيه فى قفارها لدروس آثارها وانهدام منارها أعانه الله تعالى على صعوبة الطريق وقلة الرفيق وألهمه صبرا يهون عليه احتمال المغارم ويقرب عليه مسافات المكارم فبالصبر تنال العلا وعند الصباح يحمد القوم السرى

(وكتب)

(الى حسين صاحب ديوان الحضرة)

تأخر كتابى عنك ياولدى لانى كرهت أن أكاتبك عن فكر متشعب وقلب متقلب وأردت أن أخلى خاطرى بجوابك وأن أقضى بذلك حق كتابك فمن صيانة صاحب الكتاب أن لايتجوز له فى الجواب على أن مصون كلامى عند مثلك مبتذل ومدخر برى عندك ليس بمستعمل ولا لوم على الفقير اذا حمل ماعنده من اليسير الى المياسير فقد بذل جهده وأتى باقصى ماعنده

(وكتب)

(الى كاتب بعض الامراء وقد ورد عليه كتابه ويشكو فيه الجرب)

وقفت على ماشكاه سيدى من العلة شفاه الله تعالى منها وعوضه الصحة عنها ووددت لو قبلتنى العلة فداء وأمكننى أن أقرض سيدى شفاء فكنت أنقل اليه الصحة نقلا وأبذل له ماعندى من العافية بذلا الجرب حكة مادتها يبوسة وحرارة ووقود والتهاب زندهما الذى يقتبسان منه طعام وشراب وفضلة قذفتها الطبيعة الى ظاهر البدن ودفع الله تعالى شرها عن الباطن وعسكر من عساكر البلاء تمده القذاره وتهزمه الطهاره وتنقص منه البرودة والرطوبه كما تزيد فيه اليبوسة والحراره ومن داوى ظاهره وترك باطنه فانما يبل حائطا وراءه النار الموقده ويرش على سطح بيت فيه الشرر المبثوثه ويقعد تحت قول الاول

خليلى داويتما ظاهرا * فمن ذا يداوى جوى باطنا

وكيف

وكيف تقطع مادة نار تطفأ عن ظاهر الجسد وهي تتوقد في باطن الكبد وكيف يزول داء سمه مكايله وترياقه موازنه وكيف يصح جسم جيشه دواؤه وغذاؤه داؤه وكيف يقوم قليل الترياق بكثير السم أو يفي صغير البناء بكبير الهدم وكيف يرجو الشفاء من لا يضبط شهوته ولا يملك يده ولا يهجر حبيبه طعامه وشرابه حتى لا يراهما الا خلسه ولا يذوق منهما الا بلغه أرى لسيدى أن يصبر على الجوع مع مرارته وعلى العطش مع حرارته وأن يقتصر من الطعام على ما يكون فى أوسط طبقات الرطوبه وفى أعدل موازين البروده ولا بد من هجر اللحم والفاكهه ولا سبيل الى الحرافه فأما البقول فيجب أن لا ترى ولو فى المنام ولا تمس ولو بالاوهام والسمك وما ناسبه بليه واللبن وما خرج منه منيه حتى اذا أحس فى معدته بالخلاء ووقف من طبيعته على الصفاء ومن أخلاط جسمه بالاعتدال والاستواء استخار الله تعالى وشرب شربة قوية تكنس فضول السوداء وتخرج خبايا الصفراء وتقمع سلطان البلغم وتصفى كدورة الدم فاذا انجلى عنه غبار ضعفها وتقشعت غيابة سكرها أمدها بفصاد يخص به الاكحل فانه نهر العروق والطريق الذى يفضى منه الى كل طريق تصعد اليه السفلى وتنزل عليه العليا وتلتقى عليه الاولى والاخرى فاذا فرغ منه وخرج باذن الله تعالى سليما عنه وعلم أنه لم يبق من العارض الا هباؤه ومن المخوف الا زبده وجفاؤه يعالج حينئذ باللطوخ الذى يغسل ظاهر الجسم ويجلو صدأ السقم ولا ينسين الاستكثار من الغسل والاغتسال ومباشرة الماء على كل حال فان الجرب فى حيز الحراره كما أن الماء فى حيز البروده والبارد اذا لقى الحار أطفأ بعضه وان لم يقطع أصله والضد اذا زاحم الضد أوهن سلطانه وان لم يهدم أركانه وملاك الامر الحميه فانه لا يكون قوى الحميه الا من كان قوى الحميه ومن غلبت شهوته على رأيه شهد على نفسه بالبهيميه وانخلع عن ربقة الانسانيه وحق على العاقل أن يأكل ليعيش لا أن يعيش ليأكل وكفى بالمرء عارا أن يكون صريع مأكله وقتيل أنامله وأن يجنى بعضه على كله ويعين فرعه على أصله فكم من لقمة أتلفت نفس حر وكم من أكلة منعت

أكلات دهر وكم من حلاوة تحتها مرارة الموت وكم من عذوبة خلفها بشاعة الفوت وكم من شهوة ذهبت بنفس لاتقوى لها العساكر وقطعت جسدا كانت تنبو عنه السيوف البواتر وهدمت عمرا هدمت به أعمار وخربت بخرابه بيوت بل أمصار والعلل كلها وان كان يشملها اسم ويجمعها حكم فهي متباينة الاقدار متمايزة المقدار متخالفة الطبقات في باب النقيصة والعيار فعلة العشق دليل على لطف الغريزه والمترجم عن الرقة الروحانيه وعن النفس الخاصة الانسانيه وعلة النقرس دليل على التنعم والقعود وعلى قلة تجشم الهبوط والصعود وعلى أن صاحبها مخدوم مكفي أو ملك خاصي وعلة الجرب دليل على تضييع واجب النفس من التعهد وعلى التفريط في العلاج والتفقد تنطق بأن صاحبها ضعيف المنة في التوقي أسير في يد الحرص والتشهي غاش لنفسه قليل البقيا على روحه وكيف يحفظ أصدقاءه من لا يحفظ أعضاءه وكيف يبقى على غيره من لا يبقى على نفسه وكيف يؤتمن على من يمازجه من لا يؤتمن على بعض منه وهذه علة تكسب صاحبها خزاية وحياء وتورثه خجلا واسترخاء ينظر الى الناس بعين المريب ويستتر عنهم كتستر المعيب تنفر عنه الطباع وتستقذره النفوس وتنبو عن مواكلته العيون واقل ما يصيبه أن يحرم آلة المطاعم وهي يداه وآلة اللقاء والزيارة وهي رجلاه ولولم يكن من دقائق آفاتها ومن عجيب هباتها الا أنها تشيخ الفتيان وتمسخ الانسان وتجعله أميا بعد أن كان غير أمي وأعجميا وليس بأعجمي تنفر من نفسه نفسه وتهرب من فراشه عرسه ويتباعد عنه أقرب الناس منه لقد كانت جديرة أن يحتشد لداوئها وتبذل الرغائب في فنائها ثم هي ربع من أرباع الخذلان وقسم من أقسام الحرمان قال الشاعر

أعاذك الله من أشياء أربعة * الموت والعشق والافلاس والجرب

وما ظنك بداء قد سارت به الامثال وقيلت فيه دون سائر الادواء الاقوال قال رؤبة وذكر علة هي أعدى من الجرب عند العرب وقال أبو تمام

لما رأيت أخيها بالامس قد بخربت * كان الغراب لها أعدى من الجرب

وقال لبيد

ذهب الذين يعاش في اكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب

فجعله رأس الادواء ووضعه عند غاية البلاء وانما ذكرت فيه ماذكرت لازيد سيدى في الهرب منه رغبه وفي الصبر عليه زهاده من الله تعالى على سيدنا بالشفاء وجعل عهده بهذا الداء آخر عهده بالادواء انه طبيب الاطباء وخالق الداء والدواء وكاشف البلاء

(وكتب)

(الى قاضي الري أبي الحسن الهمذاني)

قد ملات سمع قاضي القضاة أيده الله تعالى بكتبي اليه في الحاجات واني لاعلم أني قد أدللت عليه حتى أمللت وأوجفت حتى أجحفت ولكني أتطير لنعمة الله تعالى عليه من أن أعترضها باليأس منها وأنسى جوابها بأبرد الناس عنها

(وكتب)

(الى أبي المعالي وزير صاحب الختل)

وصل كتاب الشيخ بعد أن احتملت به وسنان وهذيت بذكره يقظان فلما رأيته خررت ساجدا وشكرت الله تعالى باديا وعائدا والحمد لله الذي أراني محنة الشيخ قد ادبرت بقفا مبتور ودولته قد أقبلت بوجه مسرور وأدال أيام سعده من أيام نحسه وأبعد ما بين الحوادث وبين نفسه وجعل يومه خيرا من أمسه وشر من المحنة كثرة الشامتين وخير من انكشافها كثرة الشاكرين فان الذي يشمت الناس به في وقت الرحمة لئيم وان الذي يثبت الناس على وده بعد العزل لكريم والشيخ بحمد الله ومنه لما امتحن أنطق الله تعالى بالدعاء له ألسنا وابكى بالشفقة عليه أعينا لازال البكا بعد هذا مقصورا على عيون اعدائه فان اعداء الفاضل أعداء فضله واضداده اضداد فعله وكل امرئ صديق أمثاله وشكله

قوله سمكة في نسخة مكة اهـ

(وكتب)

(الى سعيد بن سمكة)

نظرت الى ذنبي الذي استحققت به الهجران وتقصيت طرق أفعالي لاقف منها
على الفعل الذي أوجب الحرمان فوجدت نفسي قد كانت للشيخ حوائج
٢ وحملت اليه باغراثر الرسائل والسفاتج ولو تركت مكاتبتي الى الشيخ
نقية الاطراف من وضر السؤال خفيفة الاكناف من ثقل الادلال لما
بخل علي بالمقال من لا يبخل بالمال وضايقني في العرض اليسير من لا يضايق
في الجوهر الكثير ليبرلي الشيخ ايده الله تعالى من قلبه حيث أنزلتني الثقة به
وليضعني من نفسه حيث وضعني الود منه وليعلم أني سيفه الذي لا يفله طول
الضرب ولا يعله مراس الحرب ولسانه الذي يذب عنه في الملا ويدعو له
في الخلا وأخوه الذي ان لم تصرفه اخوة الولاد صرفته أخوة الوداد
ويجاوز ذلك الى الممازجة والاتحاد فلان قد استشارني في مشايخ تلك
الحضرة فعرفته انهم بساط الشيخ ايده الله صدره وأفق هو بدره وأن ما
تفرق فيهم من الفضل ففيه مجتمع وعنه متفرع

(وكتب)

(الى أبي نصر الميكالي يشكره على اصطناعه فقيها من تلامذته)

أبلغ قتادة غير سائله * بجزل العطاء وعاجل الشكم
اني شكرتك للعشيرة اذ * جاءت اليك مرقة العظم

المحمدة اطال الله تعالى بقاء الشيخ لذاتها حسنة كما أن المذمة لنفسها قبيحة
منقصة والمحسن الى الناس كلهم حبيب ومن القلوب كلها قريب يمدحونه
وان لم يحسن اليهم ويشكرونه وان لم يتفضل عليهم كما أن المسيء في النفوس
صغير وان كبر مالا وحالا وقبيح وان حسن زينا وجمالا على هذا أسست
البنية وعليه وضعت الفطرة وفيه اتفقت الخاصة والعامة ثم ان الاحسان
وان كان كله حسنا على طبقات كما أن الاساءة وان كانت كلها سيأ
على درجات فمن أصاب بالاحسان بقعة لا يخلف شجرها ولا يعرعرها
واسداه

واسداء الى كريم يربي الصنيعة بلسانه ويخرج الاحسان في موضع استحسانه فقد سددت رميته واصبت رميته وزكا صنعه وغاريه وما أعرف أهل بيت أحسن لمواضع الصنائع ارتيادا وأجود لاهلها انتقادا واصون لها اصدارا وايرادا من أهل بيت الشيخ أبقى الله تعالى مشايخهم وشبانهم وجمل بهم مكانهم وزمانهم والشيخ بحمد الله تعالى على سبيلهم نهج وعلى منوالهم نسج فصنائعه في قوالب الحمد والشكر وعلى طريق الاجر والذخر لا يقع الا بين الشرف والثواب ولا يوجد الا بين العلوم والآداب فهو كالفل الكريمة لا يزوجها حتى يستكرم صهرا أو يحكم مهرا اوكالبائع الجوهرة النفيسة لا يبرزها حتى يرى ثمنا او يأمن غبنا والجواد مختكر بر لا محتكر بر والكريم تاجر جمال وان لم يكن تاجر مال والحر وقاية الحر من فقره وسلاحه على دهره ولله تعالى بقايا من عباده في بلاده خلقهم لينعش بهم العاثر ويشد بأزرهم المفاقر ويحيي بحياتهم المعالي والمآثر فهم ملح الارض اذا فسدت وعمارة الدنيا اذا خربت ومعرض الايام والليالي اذا احتشدت بلغني ما صنعه الشيخ مع فلان فما استكثرته قياسا على قدره العظيم وبره الجليل الجسيم ولم اتعجب من ولد تقبل قبلة الوالد ومن طريف نازع التالد ومن غصن من أغصان الشرف نما على عرقه في السلف ومن نفس رضعت ثدى المكارم وربيت في حجر الاكارم فجرت على سنن اوائلها وأحيت فضائلهم بفضائلها وانما تعجبت من حسن ما تحرى الشيخ لمعروفه وارتاد ومن صواب ما غزا وأراد فما أكثر من تخطى بصنعه طريق المصنع وخالف بزرعه موضع المزرع وما أكثر من يلد معروفه فلا ينجب بما ولد ولا يبلغ به صاحبه المقصد وهذا الفقيه بين نفس مقبله ودولة مقبله يرمى به كماله وراء ميلاده ويسبق فضله غايات آبائه وأجداده وللدهر فيه مقاصد وللايام فيه مواعد ولله تعالى منة لطائف سيبلغ الكتاب منها اجله ويكمل الاقبال في تمامها عمله والحمد لله الذى جعل الشيخ أبا عذرة اصطناعه واول من من عليه ببسط يده ومد باعه والحمد لله الذى جعل هم الشبان

مصروفة الى افتراع أبكار الجوارى وهمة الشيخ مقصورة على افتراع أبكار المعالى فالمصطنع فى الرؤساء والامراء كالمصطنع فى العلماء والفقهاء فسبحان من لفق بين الشكلين وزاوج بين المثلين وجعل الصنيعة غضة طرية من جانبين وصيرها شابة من النشأتين هذا وقد نسج الشيخ الفقيه من شكر الشيخ طراز الايلى وأوقد من ذكره شهابا لا يخفى فلأ بقوله الاسماع والنواظر بل القلوب والخواطر بل الكتب والدفاتر حتى لم يبق رئيس الاتمنى لو انه لو كان المصطنع كما لم يبق فقيه الاتمنى انه كان المصطنع وحتى قلنا

مالقينا من أحمد بن على * ترك الناس كلهم فقهاء
ونسينا مالقينا من جود فضل بن يحيى * ترك الناس كلهم شعراء

لازال الشيخ يستولى على أمد كل غاية بفعله وقوله وينفرد بحمى كل مكرمة بفضله وطوله ولازال يستبضع اليه الشكر من البلدان فيشتريه بأغلى الاثمان

(وكتب)

(الى حاكم سرخس وقد اهدى اليه كتابا طلبه منه)

تأخرت حاجة الحاكم وختم الله تعالى دولة الجد بقضائها ونبت عن طالبها فى اقتضائها فكنت الخصم والحاكم والمحاكم وما أبطأ من أجدى ولا أسرع من أكدى وارتدت نسخة مقروءة قد عمل فيها القلم والبنان وأثر فيها التبيين والبيان وسودت حواشيها ولاحت مياسم التصفح فيها ولم تكن فى حسن خط كاتبها ولا جودة تجليد صاحبها ولا استقامة حروفها ولا تساوى جوانبها وحروفها بعد أن سلمت من التحريف والتصحيف ومن سقم الاشكال والحروف فانما الكتاب الحسن ظاهرا السقيم باطنا مثل المرأة الحسناء العاهرة يسر خلقها ويسوء خلقها ومثل الروضة الغناء الوبية تحمدها العين ويذمها البطن وكانت تقع بيدى النسخة الاولى التى هى مائدة منقوشة ليس عليها دسم وكيس مصور ليس فيه درهم وتقع الثانية خلافها

خلافهما كالجوز المثقبه وكالقفل على الخربه فانما هي كسوة عاتق غبي اومقبرة يهودي غني وتقع في يدي الثالثة وهي اسم ولا جسم ودعوى ولا علم قد قرئت على متعالم غير عالم لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فراؤها زاء وميمها هاء وطاؤها ظاء والنظر فيها يعمي والاستدلال بها يعمي ومن آفة العلم خيانة الوراقين وتخلف المحلين كما أن من آفات الدين فسق المتكلمين وجهل المتعبدين وكما أن من آفات الدنيا كثرة العامه وقلة الخاصه وكما أن من آفات الكرم أن الجود ضد المنع والبخل سبب الجمع وأن المال في أيدي البخلاء دون أيدي الاسخياء وكما أن من آفات الحلم أن الحليم مأمون الجنبه وأن السفيه منيع الحوزه قاعد في خفارة البذاء والسفاهه وكما أن من آفات المال اذا صنته فقد عرضته للفساد واذا أبرزته عرضته للنفاد وكما أن من آفات الشكر أنك اذا قصرت عن غايته ذممت من اصطنعك واذا بلغتها وأبلغت فيه اوهمت من سمعك وكما أن من آفات الشراب أنك اذا أقللت منه حاربت شهوتك ولم تقض نهمتك واذا استكثرت اعترضت للاثم والعار وأبرزت صفحتك للاذم والجار وكما أن من آفات المماليك انك اذا باسطتهم أفسدت آدابهم واذهانهم واذا قبضتهم أفسدت وجوههم وألوانهم وكما أن من آفات الاصدقاء أنك اذا استكثرت منهم لزمتك مواجبهم وثقلت عليك نوائبهم وكسبت الاعداء من الاصدقاء كما يكتسب الداء من الغذاء وكما أن من آفات المغنين أن الوسط منهم يميت الطرب والحاذق ينسي الادب وكما أن من آفات النساء أنهن اذا اكرمن قبح خلقهن واذا أهن فسد خلقهن فلما تمادت مدة الاكداء ولم أصل الى ما ينتظم طرفي مرادي بهبة ولا شراء نزلت على حكم الامكان وجريت في التجوز على رسم الزمان وحملت نسخة ان لم تكن بتلك السليمه فليست بتلك السقيمه وأنا أعتذر اليوم منها قولا وغدا فعلا وأحصل أخرى ولو بروحي ومهجتي وبدنياي وآخرتي

﴿ وكتب ﴾

(الى أبي بكر بن حمرد)

انا متردد بين أن أقرّ للشيخ بذنبي وأخبره بعيبي وبين أن أسكت سكتة متجاهل وأصفح صفحة متغافل وان كنت أعلم أنّ العفو الى المقرّ أسرع منه الى المصرّ وأنّ وضر الذنوب لا يغسلها الا الاقرار ولا يزيلها الا الاعتذار وقد كان في حكم ما أولانيه من نعمه التي يفنى الابد ولا تفنى ويخفى الصباح ولا تخفى ويبلى الجديدان ولا تبلى وينسى العوم ولا تنسى أن يكون لي عنده كل يوم فتح قاصد بل رسول وارد لا بل كان ينبغي أن أجعل رسولي اليه الريح فانها أسرع وأكتب اليه في الفلك فانه أوسع ولا تطلع شمس الا وجنبها مني اليه كتاب اما ابتداء واما جواب ولكن ابن آدم للنعمة كفور وبالعهد غدور غافل عن غده ناس لامسه مفتتن بيومه واني لاحسد كتابي اذا ورد ذلك الباب ونزل ذلك الجناب أودّ لو كنت سطرا فيه أو حاشية من حواشيه وللايام عندي اذ وصلتني بالشيخ نعمة لا أسع عنها الثواب ولها عليّ اذا أبعدتني جناية لا أقدر على كفاتها من العقاب وقد كنت أعيب من الشعراء من مدح انسانا ثم هجاه وأنسبه الى ضعف المسكة والى وهن العزيمة وانحلال العقدة حتى بليت الآن بهجاء الدهر وطالما مدحته ودفعت الى حربه وطالما صالحته قد تعرّضت للشيخ عوارف حيرتني بين طيها ونشرها ووجهت بين تركها وذكرها فان ذكرتها قصر عنان الطاقة عن مقتضى حكم السه وان تركت ذكرها الاحت على فعلي سمة الكفران وعرفت بسوء مجاورة الاحسان وحرمت تفسي ثمرة اللسان فقد أسكت الشيخ لساني من حيث أنطقه وحصر بناني من حيث أطلقه وعلى ذلك فقد أسمعت شكري كل من له أذن وأريت أثر صنيعته كل من له عين حتى لقد حسدني عليه الاقارب وتعرّف اليّ فيه الاجانب وهابني ورجاني منذ عرفته الحاضر والغائب ثم لم يرض أن أحسن بي حتى أحسن الى من يرسل اليه بكتبي فاضاف النعمة الاخرى الى الاولى وعقب الصنيعة الكبرى بالصغرى على أنّ أصغر صنائعه كبير كما أنّ أكبر شكري له صغير ولكن الكبير من

الكبير

الكبير يصغر كما أن الصغير من الصغير يكبر فكيف أعلى الشيخ لاحسانه ثانيا ولم أقض حق احسانه باديا وكيف حلى النفل وقد تقاعدت عن أداء الفرض وجع الى الكل وقد ضعفت عن البعض وكيف نبع على بره من كل منبع وطلع الى السعد به من كل مطلع ودب الى احسانه من كل مكمن وكان سبيلى أن يستوفى على قبل أن أوفى وأن أحاسب على الحاصل الاول قبل أن يثنى وأن أعامل على قول الاول

اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن كان غرما على غرم

(وكتب)

(الى تلميذله عن كتاب وقصيدة)

وردت القصيدة الغراء بل الدرة العذراء بل الهدية العظيمه بل الشمسة الكريمه بل الياقوتة اليتيمه بل فريدة الدر بل غرة الغر بل شمس الكرام وغريبة الايام بل الخطاب الجزل والمنطق الفصل بل الحسن والاحسان بل التبيين والبيان بل واحدة القصائد وخاتمة القلائد وآبدة الاوابد بل أميرة النظم والنثر بل ملكة الرجز والشعر بل حسنة الالسن ونزهة القلوب والاعين بل بستان الافكار وجلاء الابصار بل روح المعانى والمبانى وهيكل الاوزان والقوافى بل عقيلة الدهر ونادرة العصر وغرة العمر وبيضة العقر وترياق القلب بل ملبسى تاج الفخر ومورثى كنز الذخر لا بل ليلة القدر فانها خير من ألف شهر وهذه خير من ألف بيت شعر ولم أعن البيت الموزون انما أردت البيت المسكون ففتحت كتابها عن النور المنثور وعن الديباج المنشور وفليت معانيها عن روح البديع وقلبه ومبانيها وألفاظها عن حب الفصيح ولبه ووردت طرفى منها فى روضة سقاها اللسان وعملها البنان ونافس عليها زمانها الازمان ولم يبق فيها بيت الا رويته ولا فصل الا حكيته ولا لفظ الا كررته وثنيته ووددت لو كانت أعضائى كلها للنظر أجفانا ولاستماعها آذانا ولتناولها وجسها أيديا وبنانا بل لو كان الحرف منها سطرا والكلمة من كلماتها عشرا فيمتد نفس استيفائها

روية ورواية ويعظم حجم استقصائها فهما ودراية وغرت عليها من هذا الزمان الذى لا يستحق أن يكون له ولد نجيب ولا يقتضى أن ينبغ فيه عالم ولا أديب ثم رجعت الى الحقائق فعلمت أن الانسان ابن أمه وأبيه لا ابن أيامه ولياليه وأن قول الناس أبناء الدهر لفظ مجازى ومعنى اصطلاحى وقد خلى فيها من هذا الفضل ما ان طولبت بجدواه لم أخرج من عهدة دعواه فان تكن تلك شهادة منك أسلفتنيها وساعة جازفت لى فيها فقد يسامح الكريم أخاه ويحابى الحزمن بايعه وشاراه وان كنت تطن فى هذا الفضل فاسأل الله تعالى أن لا يجمع بيننا فانك ان شاهدتنى رجعت عن ظنك ورددت بعينك حكم أذنك وأنا المعيدى وان لم يكن لى فى العرب نسب ولا بينى وبين معد قرابة ولا سبب

(وكتب)

(الى أبى الفرج خليفة الوزير بنيسابور)

فهمت ما ذكره الشيخ فى كتابه وجعلت قبولى عظته بدلا من جوابه ذكر الشيخ أنى لو اقتصرت على خدمة الامير وعلى منادمة الوزير لمالت الصروف عن جانبى ناكبه وولت الخطوب عنى هاربه ولولم أنتجع غير نيسابور بلدا ولا غير من بها أحدا لعشت معهم عيشة رغدا وجواب الشيخ تحت قول الاول

فبالخير لا بالشر فاطلب مودتى * وأى فتى يقتال منه الترهب

مثلى أبد الله تعالى الشيخ لا يحمل على الخدمة بالتقريع والتثريب ولا بالتهديد والترهيب ولا تجتلب أخلاف مودته بالاذلال ولا يدر لمصون ما عنده بالامتهان والابتذال وانما يحبس مثلى بالرغبه ويقيد بقيد من الذهب والفضه ويرضى منه بالحياء والوفاء كميلين وبالشكر والتذمم ضمينين وانما الحر زجاج رقيق ثمين اذا رفق به واستعمل فى موضع مثله زين المجالس وأمتع المجالس وكان مالا الا أنه جمال وجمالا الا أنه مال واذا خرق به انكسر فعقر الكاسر وأتعب الجابر وغم السامع والناظر وكان ينبغى لاصحابنا أن

يقتصوا

يقتنصوني بحبالة الاحسان والبر ويربطوني بحبال الحفاظ والشكر ويعلموا أن البازي العتيق لا يصبر على الاضاعه ولا يقيم في بيت المجاعه ومن اصطنع اليوم شكر غدا (ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا) ولكن كيف يصون الادب مغرم ولم يؤدّ عنه الى المؤدب درهم وكيف يخالف الانسان مقتضى نسبته ويطيب الثمر مع خبث تربته هيهات ان الفرس الجواد يجري على عتقه وان الفرع ينزع الى عرقه

وان مقامي حيث خيمت محنة * تدل على فهم الكرام الاجاود

ولكن جزى الله أصحابنا عني تعليمهم خيرا فقد تحولت شكايتي لهم شكرا وذلك أنهم عرفوني بمقادير الكرام وقاموا في تأديبي مقام تصاريف الايام ودبغتني بهم التجارب وراضتني بايديهم النوائب ولاحت لي ببركاتهم الغيوب والعواقب فانا تلميذهم في أتمام الايام وخريجهم في معرفة أحوال الانام والمستفيد فيهم وبهم معرفة سياقة ما بين الفعل والكلام فكيف لا أشكرهم وما أفادوني عقلا وان لم يفيدوني نيلا وزادوني أدبا وان لم يزيدوني نشبا وعهدي وأنا بالعراق مفيد فأصبحت وأنا بخراسان مستفيد وهذه الزيادة من عطايا هذه الحضره وهذه النادرة التي توجهت الي من بركات هذه الدوله والسلام

(وكتب)

(الى كثير بن أحمد لما هرب الى الري)

ورد علي كتاب الشيخ وفهمته والمواعيد التي أراد الشيخ أن يسحرني برقاها ويخدعني عن بواطن عيوبها بظواهر حلاها فقد طلبت عنها ثوابا ولها جوابا فلم أجد غير قول عبيد

لا أعرفنك بعد الموت تندبني * وفي حياتي ما زودتني زادا

أنا أيد الله الشيخ رجل قد اخترت نيسابور دارا واخترت سلطانها من الملوك جارا حتى جعلتها بيتا أعمره والدنيا جسرا أعبره لا آمن بها على مالي وولدي بعد مماتي ولا أخاف بها على روحي وعرضي في حياتي ولو علمت أني أسام خدمة

من ليس له أثر على وأصادر على نعمة لم تصل الى لفارقت دار الهوان ولكان جناحى وافر الطيران ذكر أنه تلطف بالامير حتى سل السخيمه وحمله على أن اغتفر الجريمه وما عرفت لى جرما يحتمل معذره أو ذنبا يستوجب مغفره فان كان الامير غفر لى ما أجنيه من السيآت فهلا شكرنى على ما آتيه من الحسنات وكيف اختار السلف فيما يتعلق بالعقوبه ولم يستخره فيما يتعلق بالمثوبه فان كان مراده أن أقر على نفسى بذنب ما أتيته وألتزم بشكر جميل ما أوتيته فهذه صدقة قد سامنيها والصدقة لا تحل من الفقراء الى الاغنياء ولا يحسن بالامراء قبولها من الشعراء وان كان يريد أن يتوصل بهذا الى اجتناء ثمرات اللسان ويحب أن يسير ذكره فى أثناء هذه المعانى الحسان

فالناس أكيس من أن يحمدوا رجلا * ولم يروا عنده آثار احسان

وانما لسانى خادم من خدم فؤادى ومتصرف من متصرفى مرادى فكيف يقتات على بشكر غيره وكيف يجود بما هو متصرف فيه لغيره وانما لسان الشاعر روضة لا تسلف الزهر حتى تستسلف المطر ولا تضحك فى وجه السماء الابعد أن تستوفى حقها من الانداء وان كان الشيخ يرضى بعد هذا كله بظاهر اعتذارى فقد خرجت اليه من عهدة اضمارى وأنا أقر بذنوب العالمين حتى بذنب ابليس فى الاولين وحتى بذنب هاروت وماروت فى المتقدمين وألتزم كل المعايب حتى معايب بنى أميه ومعايب بغلة أبى دلامه وأقول قد أدبنى الليل والنهار وثقفتنى الاحوال والاطوار فابصرت قصدى وتبينت رشدى فليلبسنى الامير رضاه عن ثوب العزه كما ألبسنى بغضبه على ثوب الذله وليجعلنى عبدا اعوج فقوم وجهل فعلم فلما عرف نفسه وتلافى يومه أمسه رد عليه مكانه ورجع اليه زمانه فأدعى أن النابغة الذبيانى ما اعتذر الا عنى ولم يك لسانه الا بضعة منى وأنتحل قول على بن الجهم

ليس عندى وان تغضبت الا * طاعة حرة وقلب سليم

وانتظار

وانتظار الرضا فان رضا السا * دات عفو وعتبهم تقويم

﴿ وكتب ﴾

* (الى رئيس قم) *

بساطني الشيخ ثم انقبض عنى ودعاني ثم هرب منى وكان وليس له مثل الا كمن خطب الى حر كريمته فلما زفها اليه أغلق عنها بابه وأرخى دونها حجابه فعرض الصهر للهجنه والعروس للتهمه ولعلي أتيت منى وأصبت الشيخ بعيني لما رأيته قد أحيا مواتا من الود وسبق الى باكورة من كرم العهد وقد تبت من أن أنظر الى أصدقائي بعين العجب بهم وأرمقهم بما يدعوني الى الحب لهم لا بل سأتعامى عن محاسنهم ان رأيتها وأتغابى عنها وان دريتها ان شاء الله تعالى

* (وكتب) *

* (الى مؤدب أمير خوزستان) *

ذكر الشيخ من غمه بغيبتي فيما كان وفرحه بأوبتي الآن ما قلبي عليه شاهد وعلى الشهادة زائد لانه لا يمين على شاهد وأنا أحلف على هذه الشهاده فأكون قد وفيت بما وعدته من الزياده ولقد رأيت الاخوان غير شيخي ومودتهم خلق يبيعونه ممن اشتراه ويعرضونه على كل من رآه ومهر هذه الحال قلبي فقد استوى عليه وودي فقد تملك بطرفيه والاحرار تستعبد بالاحسان من حيث تستعبد المماليك بأغلى الاثمان على أن المملوك يعتق بلفظه ويباع في صفقة ويزول عنه الرق في لحظه والحر لا تزيده الايام الا رقا لمن اصطنعه وتواضعا لمن رفعه ولقد عجبت من محاسبة الشيخ نفسه عن أصدقائه ومؤاخذته قلبه بشرائط وفائه مع أنه في زمان قد مرجت فيه عهود الاخوان وأعطوا وأخذوا أموالهم بالميزان ومالوا مع الرجحان على النقصان ورضوا من القلب باللسان ومن الغيب بالعيان واذا تبين التاجر كساد السلعه تجوز في الصنعه واذا قل المتاع فتر البياع والحمد لله الذى رزقني من شيخي صديقا يجمل بقربه ويوثق بغيبه ولا

يخاف الغير من لسانه ويده فلا سلبت هذه النعمى ولا حوسبت على هذه الموهبة العظمى فان الايام قلما رأت بيدى علقا نفيسا الا سلبتنى وقلما أعطتنى مما احب شيأ الا حاسبتنى حتى انى لو صادفت حى لا نطار جانبه ولو اختصمت بالماء لصيرته منبعا لا يروى شاربه فأما الناس فما أحصى فيهم عددا ممن ابتعته فباعنى وحفظته فاضاعنى واستعنت به على الزمان فاعانه على واستظهرت بمكانه على الاعداء فكان مقدمهم الحق اللهم نفق سوق الوفاء فقد كسدت وأصلح قلوب الناس فقد فسدت ولا تمتنى حتى يبور الجهل كما بار العقل ويموت النقص كما مات الفضل

﴿ وكتب ﴾

(الى أبى سعيد رجاء بن الوليد الاصفهانى)

بشرنى كتاب الشيخ من سلامته ببشارة صغرت عندى البشائر وفاتت النظائر وملأت المسامع والنواظر فلا زالت أمداد صنع الله تعالى له متناسقه والايام له بما يهوى موافقه وجعل الله تعالى تلك العثرة غلطة تاب الدهر منها وخطيئة أنكرها ورجع عنها فان الشيخ يحسن فى لباس النعمه ويقبح فى زى المحنه وان غيره اذا لبس النعمة كانت عليه أجنبيه ويعلم أنه أخذها عاريه اليسير الذى رسم لى الشيخ به حملت اليه جملته ولو أخذنى فيما أخذه منى لاستقللته واستصغرته دونه والذى أرجع اليه فهو مقسوم بينه وبينى فان أذن فهو له دونى حملت الى الخزانة نسخة رسائلى فنصفها مصحف ونصفها محرف والكلام الوسط بالخط الوسط كالعجوز السوداء تجلى على العيون فينضاف قبح الجلوه الى قبح الكسوه وتغطى على ظلمة الدواء ظلمة الوعاء وتتضاعف السماجة ضعفين وتقذى العين من لونين فيصير القلب أسير العين بلغنى أن الشيخ قد اغتم لما ندب لعمل يصغر فيه ويكبر عنه فأنكرت ذلك من فعله وكتبته فى هفوات عقله العمل أيد الله تعالى الشيخ ثوب يحسن بصاحبه ومركب يجمل براكبه فالصغير منه بالكبير كبير والكبير منه بالصغير صغير وكأنى بالتمييز وقد تبع منه نابع وبدولة الانتقاد وقد طلع من سعودها طالع

وبرجالات الحضرة وقد تذاكروا مظلمات الآجال ومساقط الرجال فعثروا باسم
الشيخ فردوا عليه رتبته وقوموه قيمته وجاء الدهر يعترف بما اقترف ويأتنف
خلاف ما سلف وانما خدمة السلطان نار بينما هي شرار اذ ملأت
دارا وأحرقت أوقارا وصيرت الليل نهارا ولا صغير من الولاية كما لا كبير
من العطلة والسلام

(وكتب)

(الى جماعة الشيعة بنيسابور لما قصدهم محمد بن ابراهيم واليها)

سمعت أرشد الله سعيكم وجمع على التقوى امركم ما تكلم به السلطان
الذي لا يتحامل الا على العدل ولا يميل الا على جانب الفضل ولا يبالي بأن
يمزق دينه اذا رفا دنياه ولا يفكر في أن لا يقدم رضا الله اذا وجد رضاه وأنتم
ونحن أصلحنا الله واياكم عصابة لم يرض الله لنا الدنيا فذخرنا للدار الاخرى
ورغب بنا عن ثواب العاجل فأعد لنا ثواب الآجل وقسمنا قسمين قسما مات
شهيدا وقسما عاش شريدا فالحي يحسد الميت على ما صار اليه ولا يرغب
بنفسه عما جرى اليه قال أمير المؤمنين ويعسوب الدين عليه السلام
المحن الى شيعتنا أسرع من الماء الى الحدور وهذه مقالة أسست على المحن
وولد أهلها في طالع الهزاهز والفتن فحياة أهلها نغص وقلوبهم حشوها
غصص والايام عليهم متحاملة والدنيا عنهم مائلة فاذا كنا شيعة أئمتنا في
الفرائض والسنن ومتبعي آثارهم في كل قبيح وحسن فينبغي أن نتبع آثارهم
في المحن غصبت سيدتنا فاطمة صلوات الله عليها وعلى آلها ميراث أبيها
صلوات الله عليه وعلى آله يوم السقيفة وأخر أمير المؤمنين عن الخلافة وسم
الحسن رضي الله عنه سرا وقتل أخوه كرم الله وجهه جهرا وصلب زيد بن
علي بالكناسة وقطع رأس زيد بن علي في المعركة وقتل ابنا محمد
وابراهيم على يد عيسى بن موسى العباسي ومات موسى بن جعفر في حبس
هرون وسم علي بن موسى بيد المأمون وهزم ادريس بفخ حتى وقع
الى الاندلس فريدا ومات عيسى بن زيد طريدا شريدا وقتل يحيى بن عبد الله

بعد الامان والايمان وبعد تأكيد العهود والضمان هذا غير ما فعل يعقوب بن الليث بعلوية طبرستان وغير قتل محمد بن زيد والحسن بن القاسم الداعي على أيدي آل ساسان وغير ما صنعه أبو الساج في علوية المدينة حملهم بلا غطاء ولا وطاء من الحجاز الى سامرا وهذا بعد قتل قتيبة بن مسلم الباهلي لابن عمر بن علي حين أخذه بأبويه وقد ستر نفسه ووارى شخصه يصانع حياته ويدافع وفاته ولا كما فعله الحسين بن اسمعيل المصعبي بيحيى بن عمر الزيدي خاصه وما فعله مزاحم بن خاقان بعلوية الكوفة كافه وبحسبكم أنه ليست في بيضة الاسلام بلده الا وفيها لقتيل طالبي تربه تشارك في قتلهم الاموي والعباسي واطبق عليهم العدناني والقحطاني

قوله أبو الساج هكذا في الاصل ولم أقف عليه ولعله أبو السباح أو السياح وليحرر اهـ

فليس حي من الاحياء نعرفه * من ذي يمان ولا بكر ولا مضر

الا وهم شركاء في دمائهم * كما تشارك أيسار على جزر

قادتهم الحميه الى المنيه وكرهوا عيش الذله فماتوا موت العزه ووثقوا بمالهم في الدار الباقيه فسخت نفوسهم عن هذه الفانيه ثم لم يشربوا كاسا من الموت الا شربها شيعتهم وأولياؤهم ولا قاسوا لونا من الشدائد الا قاساه أنصارهم وأتباعهم داس عثمان بن عفان بطن عمار بن ياسر بالمدينه ونفى أبا ذر الغفاري الى الربذه وأشخص عامر بن عبد قيس التميمي وغرّب الاشتر النخعي وعدي ابن حاتم الطائي وسير عمر بن زرارة الى الشام ونفى كميل ابن زياد الى العراق وجفا أبي بن كعب وأقصاه وعادى محمد بن حذيفة وناواه وعمل في دم محمد بن سالم ما عمل وفعل مع كعب ذي الحطبة ما فعل واتبعه في سيرته بنو أمية يقتلون من حاربهم ويغدرون بمن سالمهم لا يحفلون المهاجري ولا يصونون الانصاري ولا يخافون الله ولا يحتشمون الناس قد اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يهدمون الكعبه ويستعبدون الصحابه ويعطلون الصلاة الموقوته ويختمون أعناق الاحرار ويسيرون في حرم المسلمين سيرتهم في حرم الكفار واذا فسق الاموي فلم يأت بالضلاله عن كلاله قتل معاوية حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي بعد الايمان

الايمان المؤكده والمواثيق المغلظه وقتل زياد بن سمية الالوف من شيعة الكوفة وشيعة البصرة صبرا وأوسعهم حبسا وأسرا حتى قبض الله معاوية على أسوأ أعماله وختم عمره بشر أحواله فاتبعه ابنه يجهز على جرحاه ويقتل أبناء قتلاه الى أن قتل هانئ بن عروة المرادي ومسلم بن عقيل الهاشمي أولا وعقب بالحرث بن زياد الرياحي وبأبي موسى عمرو ابن قرظة الانصاري وحبيب بن مظهر الاسدي وسعيد بن عبدالله الحنفي ونافع ابن هلال الجلي وحنظلة بن أسعد الشامي وعابس بن أبي شبيب الشاكري في نيف وسبعين من جماعة شيعة وأصر بالحسين عليه السلام يوم كربلا ثانيا ثم سلط عليهم الدعي ابن الدعي عبيدالله بن زياد يصلبهم على جذوع النخل ويقتلهم ألوان القتل حتى اجتث الله دابره بقتيل الطاهر بدمائهم التي سفك عظيم الشيعة بجريمهم الذي انتهك فانتبهت لنصرة أهل البيت طائفة أراد الله أن يخرجهم من عهدة ما صنعوا ويغسل عنهم وضر ما اجترحوا فصمدوا واصمد الفئة الباغيه وطلبوا بدم الشهيد الدعي ابن الزانيه لا يزيدهم قلة عددهم وانقطاع مددهم وكثرة سواد أهل الكوفة بازائهم الا اقداما على القتل والقتال وسخاء بالنفوس والاموال حتى قتل سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة الفزاري وعبدالله بن وال التيمي في رجال من خيار المؤمنين وعلية التابعين ومصابيح الانام وفرسان الاسلام ثم تسلط ابن الزبير على الحجاز والعراق فقتل المختار بعد أن شفى الاوتار وأدرك الثار وأفنى الاشرار وطلب بدم المظلوم الغريب فقتل قاتله ونفى خاذله وأتبعوه أبا عمرو بن كيسان وأحمر بن شميط ورفاعة بن يزيد والسائب بن مالك وعبدالله بن كامل وتلقطوا بقايا الشيعة يمثلون بهم كل مثله ويقتلونهم شر قتله حتى طهر الله من عبدالله بن الزبير البلاد وأراح من أخيه مصعب العباد فقتلهما عبدالملك بن مروان كذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون بعد ما حبس ابن الزبير محمد ابن الحنفية وأراد احراقه ونفى عبدالله بن العباس بعد اكثار ارهاقه فلما خلت البلاد لآل مروان

سلطوا الحجاج على الحجازيين ثم على العراقيين فتلعب بالهاشميين وأخاف الفاطميين وقتل شيعة علي ومحا آثار بيت النبي وجرى منه ما جرى على كميل بن زياد النخعي واتصل البلاء مدة ملك المروانية الى الايام العباسية حتى اذا أراد الله أن يختم مدتهم بأكثر آثامهم ويجعل أعظم ذنوبهم في آخر أيامهم بعث على بقية الحق المهمل والدين المعطل زيد بن علي فخذله منافقوا أهل العراق وقتله احزاب أهل الشام وقتل معه من شيعته نصر بن خزيمة الاسدي ومعاوية بن اسحق الانصاري وجماعة من شايعه وتابعه وحتى من زوجه وأدناه وحتى من كلمه وماشاه فلما انتهكوا ذلك الحريم واقترفوا ذلك الاثم العظيم غضب الله عليهم وانتزع الملك منهم فبعث عليهم أبا مجرم لا أبا مسلم فنظر لا نظر الله اليه الى صلابة العلوية والى لين العباسية فترك تقاه واتبع هواه وباع آخرته بدنياه وافتتح عمله بقتل عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وسلط طواغيت خراسان وخوارج سجستان وأكراد اصفهان على آل أبي طالب يقتلهم تحت كل حجر ومدر ويطلبهم في كل سهل وجبل حتى سلط عليه أحب الناس اليه فقتله كما قتل الناس في طاعته وأخذه بما أخذ الناس في بيعته ولم ينفعه أن أسخط الله برضاه وأن ركب ما لا يهواه وخلت من الدوانيقي الدنيا فخبط فيها عسفا وتقضى فيها جورا وحيفا الى أن مات وقد امتلأت سجونه بأهل بيت الرساله ومعدن الطيب والطهاره قد تتبع غائبهم وتلقط حاضرهم حتى قتل عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسني بالسند على يد عمر بن هشام بن عمر التغلبي فما ظنك بمن قرب متناوله عليه ولان مسه على يديه وهذا قليل في جنب ما قتله هرون منهم وفعله موسى قبله بهم فقد عرفتم ما توجه على الحسن بن علي بفخ من موسى وما اتفق على علي بن الافطس الحسيني من هرون وما جرى على أحمد بن علي الزيدي وعلى القاسم بن علي الحسني من حبسه وعلى ابن غسان حاضر الخزاعي حين اخذ من قبله والجملة أن هرون مات وقد حصد شجرة النبوه واقتلع غرس الامامه وأنتم أصلحكم

الله

الله أعظم نصيبا فى الدين من الاعمش فقد شتموه ومن شريك فقد عزلوه ومن
هشام بن الحكم فقد أخافوه ومن علىّ بن يقطين فقد اتهموه فأما فى
الصدر الاول فقد قتل زيد بن صوحان العبدىّ وعوقب عثمان بن حنيف
الانصارىّ ونفى حارثة بن قدامة السعدىّ وجندب بن زهير الازدىّ
وشريح بن هانئ المرادىّ ومالك بن كعب الارحبىّ ومعقل بن قيس
الرياحىّ والحرث الاعور الهمدانىّ وأبو الطفيل الكنانىّ وما فيهم الا من
خرّ على وجهه قتيلا أو عاش فى بيته ذليلا يسمع شتمة الوصىّ فلا ينكر ويرى
قتلة الاوصياء وأولادهم فلا يغير ولا يخفى عليكم حرج عامتهم وحيرتهم كجابر
الجعفىّ وكرشيد الهجرى وكزرارة بن أعين وكفلان وأبى فلان ليس الا
انهم رحمهم الله كانوا يتولون اولياء الله ويتبرّؤن من أعداء الله وكفى به
جرما عظيما عندهم وعيبا كبيرا بينهم وقل فى بنى العباس فانك ستجد بحمد
الله تعالى مقالا وجل فى عجائبهم فانك ترى ماشئت مجالا يجبى فيؤهم فيفرق
على الديلمىّ والتركىّ ويحمل الى المغربىّ والفرغانىّ ويموت امام من ائمة
الهدى وسيد من سادات بيت المصطفى فلا تتبع جنازته ولا تجصص مقبرته
ويموت ضراط لهم أو لاعب أو مسخرة أو ضارب فتحضر جنازته العدول
والقضاه ويعمر مسجد التعزية عنه القوّاد والولاه ويسلم فيهم من يعرفونه
دهريا أو سوفسطائيا ولا يتعرّضون لمن يدرس كتابا فلسفيا ومانويا ويقتلون
من عرفوه شيعيا ويسفكون دم من سمى ابنه عليا ولو لم يقتل من شيعة أهل
البيت غير المعلى بن حبيش قتيل داود بن علىّ ولو لم يحبس فيهم غير أبى تراب
المروزىّ لكان ذلك جرحا لا يبرأ ونائرة لا تطفأ وصدعا لا يلتئم وجرحا
لا يلتحم وكفاهم أنّ شعراء قريش قالوا فى الجاهلية اشعارا يهجون بها أمير
المؤمنين عليه السلام ويعارضون فيها أشعار المسلمين فحملت أشعارهم
ودوّنت أخبارهم ورواها الرواة مثل الواقدىّ ووهب بن منبه التميمىّ
ومثل الكلبىّ والشرقىّ بن القطامىّ والهيثم بن عدىّ وداب بن الكنانىّ
وأنّ بعض شعراء الشيعة يتكلم فى ذكر مناقب الوصىّ بل فى ذكر معجزات

النبي صلى الله عليه وسلم فيقطع لسانه ويمزق ديوانه كما فعل بعبد الله بن عمار البرقي وكما اريد بالكميت بن زيد الاسدي وكما نبش قبر منصور بن الزبرقان النمري وكما دمر على دعبل بن علي الخزاعي مع رفقتهم من مروان بن أبي حفصة اليمامي ومن علي بن الجهم الشامي ليس الا لغلوهما في النصب واستيجابهما مقت الرب حتى ان هرون ابن الخيزران وجعفرا المتوكل على الشيطان لا على الرحمن كانا لا يعطيان مالا ولا يبذلان نوالا الا لمن شتم آل أبي طالب ونصر مذهب النواصب مثل عبد الله بن مصعب الزبيري ووهب بن وهب البختري ومن الشعراء مثل مروان بن أبي حفصة الاموي ومن الادباء مثل عبد الملك بن قريب الاصمعي فأما في أيام جعفر فمثل بكار بن عبد الله الزبيري وأبي السمط بن ابي الجون الاموي وابن أبي الشوارب العبشمي ونحن أرشدكم الله قد تمسكنا بالعروة الوثقى وآثرنا الدين على الدنيا وليس يزيدنا بصيرة زيادة من زاد فينا ولن يحل لنا عقيدة نقصان من نقص منا فان الاسلام بدا غريبا وسيعود كما بدا كلمة من الله ووصية من رسول الله يورثهما من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ومع اليوم غد وبعد السبت أحد قال عمار بن ياسر رضي الله عنه يوم صفين لو ضربونا حتى نبلغ سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل ولقد هزم رسول الله صلوات الله عليه ثم هزم ولقد تأخر أمر الاسلام ثم تقدم الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولولا محنة المؤمنين وقلتهم ودولة الكافرين وكثرتهم لما امتلأت جهنم حتى تقول هل من مزيد ولما قال الله تعالى ولكن أكثرهم لا يعلمون ولما تبين الجزوع من الصبور ولا عرف الشكور من الكفور ولما استحق المطيع الاجر ولا احتقب العاصي الوزر فان أصابتنا نكبة فذلك ما قد تعودناه وان رجعت لنا دولة فذلك ما قد انتظرناه وعندنا بحمد الله تعالى لكل حالة آله ولكل مقامة مقاله فعند المحن الصبر وعند النعم الشكر ولقد شتم أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر الف شهر فما شككنا في وصيته وكذب محمد صلى

الله

الله عليه وسلم بضع عشرة سنة فما اتم مناه في نبوته وعاش ابليس مدة تزيد على المد فلم نرتب في امنته وابتلينا بفترة الحق ونحن مستيقنون بدولته ودفعنا الى قتل الامام بعد الامام والرضا بعد الرضا ولا مرية عندنا في صحة امامته وكان وعد الله مفعولا وكان أمر الله قدرا مقدورا كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ولتعلمن نبأه بعد حين اعلموا رحمكم الله أن بنى أمية الشجرة الملعونة فى القرآن وأتباع الطاغوت والشيطان جهدوا فى دفن محاسن الوصى واستأجروا من كذب فى الاحاديث على النبى صلى الله عليه وسلم وحولوا الجوار الى بيت المقدس عن المدينه والخلافة زعموا الى دمشق عن الكوفه وبذلوا فى طمس هذا الامر الاموال وقلدوا عليه الاعمال واصطنعوا فيه الرجال فما قدروا على دفن حديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ولا على تحريف آية من كتاب الله تعالى ولا على دس أحد من أعداء الله فى اولياء الله ولقد كان ينادى على رؤسهم بفضائل العتره ويبكت بعضهم بعضا بالدليل والحجه لا تنفع فى ذلك هيبه ولا يمنع منه رغبة ولا رهبه والحق عزيز وان استذل أهله وكثير وان قل حزبه والباطل ذليل وان رصع بالشبهه وقبيح وان غطى وجهه بكل مليح قال عبد الرحمن بن الحكم وهو من أنفس بنى أمية

سمية أمسى نسلها عدد الحصا * وبنت رسول الله ليس لها نسل

غيره

لعن الله من يسب عليا * وحسينا من سوقة وامام

وقال أبو دهبل الجمحى فى محة سلطان بنى أمية وولاية آل بنى سفيان

تبيت السكارى من أمية نوما * وبالطف قتلى ما ينام حميمها

وقال سليمان ابن قتة

وان قتيل الطف من آل هاشم * اذل رقاب المسلمين فذلت

وقال الكميت بن زيد وهو جار خالد بن عبد الله القسرى

فقل لبنى أمية حيث حلوا * وان خفت المهند والقطيعا
أجاع الله من أشبعتموه * وأشبع من بجوركم أجيعا

وما هذا بأعجب من صياح شعراء بنى العباس على رؤسهم بالحق وان كرهوه وبتفضيل من نقصوه وقتلوه قال المنصور بن الزبرقان على بساط هرون

آل النبي ومن يحبهم * يتطامنون مخافة القتل
ومن النصارى واليهود وهم * من أمة التوحيد فى أزل

وقال دعبل بن على وهو صنيعة بنى العباس وشاعرهم

ألم ترأنى مذ ثمانين حجة * أروح وأغدو دائم الحسرات
أرى فيأهم فى غيرهم متقسما * وأيديهم من فيئهم صفرات

وقال على بن العباس الرومى وهو مولى المعتصم

تأليت أن لا يبرح المرء منكم * يتل على حر الجبين فيعفج
كذا لبنو العباس تصبر منكم * ويصبر للسيف الكمى المدجج
لكل أوان للنبى محمد * قتيل زكى بالدماء مضرج

وقال ابراهيم بن العباس الصولى وهو كاتب القوم وعاملهم فى الرضا لما قربه المأمون

يمن عليكم باموالكم * وتعطون من مائة واحدا

وكيف لا ينتقصون قوما يقتلون بنى عمهم جوعا وسغبا ويملؤن ديار الترك والديلم فضة وذهبا يستنصرون المغربى والفرغانى ويجفون المهاجرى والانصارى ويولون أنباط السواد وزارتهم وقلف العجم والطماطم قيادتهم ويمنعون آل ابى طالب ميراث أمهم وفىء جدهم يشتهى العلوى الاكلة فيحرمها ويقترح على الايام الشهوة فلا يطعمها وخراج مصر والاهواز وصدقات الحرمين والحجاز تصرف الى ابن أبى مريم المدينى والى ابراهيم الموصلى وابن جامع السهمى والى زلزل الضارب وبرصوما الزامر واقطاع بختيشوع النصرانى قوت أهل بلد وجارى بغا التركى والافشين الاشروسنى كفاية أمة ذات عدد والمتوكل زعموا يتسرى باثنى عشر الف

سرية

مترّبه والسيد من سادات أهل البيت يتعفف بزنبيله أو يتسند به وصفوة
مال الخراج مقصور على أرزاق الصفاعنه وعلى موائد المخانثه وعلى طعمة
الكلابين ورسوم القرّادين وعلى مخارق وعلّويه المغني وعلى زرزر وعمرو بن
بانة الملهي ويبخلون على الفاطميّ بأكلة أو شربة ويصارفونه على دانق وحبه
ويشترون العوّادة بالبدر ويجرون لها ما يفي برزق عسكر والقوم الذين أحلّ
لهم الخمس وحرمت عليهم الصدقة وفرضت لهم الكرامة والمحبة يتكففون ضرًّا
ويهلكون فقرا ويرهن أحدهم سيفه ويبيع ثوبه وينظر الى فيئه بعين مريضه
ويتشدد على دهره بنفس ضعيفه ليس له ذنب الا أنّ جدّه النبيّ وأبوه الوصيّ
وأمّه فاطمه وجدّته خديجه ومذهبه الايمان وامامه القرآن وحقوقه
مصروفه الى القهرمانة والمضرطه والى المغمزة والى المزرره وخمسه مقسوم
على نقار الديكة والدمية والقرده وعلى عرس اللعبة واللعبه وعلى مربيه ٢
الرحله وماذا أقول في قوم حملوا الوحوش على النساء المسلمات وأجروا
لعباده وذويه الجرايات وحرثوا تربة الحسين عليه السلام بالفدان ونفوا
زوّاره الى البلدان وما أصف من قوم هم نطف السكارى في أرحام القيان
وماذا يقال في أهل بيت منهم نبع البغا وفيهم راح التخنيث وغدا وبهم
عرف اللواط كان ابراهيم بن المهديّ مغنيا وكان المتوكل مؤنثا موضعا
وكان المعتز مخنثا وكان ابن زبيدة معتوها مفركا وقتل المأمون أخاه وقتل
المنتصر أباه وسمّ موسى بن المهديّ أمّه وسمّ المعتضد عمه ولقد كانت في
بني أمية مخازي تذكر ومعايب تؤثر كان معاوية قاتل الصحابة والتابعين
وأمّه آكلة أكباد الشهداء الطاهرين وابنه يزيد القرود مربي الفهود
وهادم الكعبه ومنهب المدينه وقاتل العتره وصاحب يوم الحره وكان
مروان الوزغ ابن الوزغ لعن النبيّ صلى الله عليه وعلى آله أباه وهو في صلبه
فلحقته لعنة الله ربه وكان عبد الملك صاحب الخطيئة التي طبقت الارض
وشملت وهي توليته الحجاج بن يوسف الثقفيّ فاتك العباد وقاتل العباد
ومبيد الاوتاد ومخرب البلاد وخبيث أمّة محمد الذي جاءت به النذر وورد

فيه الاثر وكان الوليد جبار بني أمية وولي الحجاج على المشرق وقرة بن شريك على المغرب وكان سليمان صاحب البطن الذى قتله بطنه ككظه ومات بشما وتخمه وكان يزيد صاحب سلامة وحبابه الذى نسخ الجهاد بالخمر وقصر أيام خلافته على العود والزمر وأول من أغلى سعر المغنيات وأعلن بالفاحشات وماذا أقول فيمن أعرق فيه مروان من جانب ويزيد بن معاوية من جانب فهو ملعون بين ملعونين وعريق في الكفر بين كافرين وكان هشام قاتل زيد بن على مولى يوسف بن عمر الثقفي وكان الوليد بن يزيد خليع بني مروان الكافر بالرحمن الممزق بالسهام القرآن وأول من قال الشعر في نفي الايمان وجاهر بالفسوق والعصيان والذى غشي أمهات أولاد أبيه وقذف بغشيان أخيه وهذه المثالب مع عظمها وكثرتها ومع قبحها وشنعتها صغيرة وقليلة في جنب مثالب بني العباس الذين بنوا مدينة الجبارين وفرقوا في الملاهي والمعاصي أموال المسلمين هؤلاء أرشدكم الله الائمة المهديون الراشدون الذين قضوا بالحق وبه يعدلون بذلك يقف خطيب جمعتهم وبذلك تقوم صلاة جماعتهم فان كسد التشيع بخراسان فقد نفق بالحجاز والحرمين والشام والعراقين وبالجزيرة والثغرين وبالجبل والبغارين وان تحامل علينا وزيراً وأميرفانا نتوكل على الامير الذى لا يعزل وعلى القاضي الذى لم يزل يعدل وعلى الحكم الذى لا يقبل رشوه ولا يطلب سجلا ولا شهاده واياه تعالى نحمد على طهارة المولد وطيب المحتد ونسأله أن لا يكلنا الى أنفسنا ولا يحاسبنا على مقتضى عملنا وأن يعيذنا من رعونة الحشويه ومن لجاج الحروريه وشك الواقفيه وارجاء الحنفيه وتخالف أقوال الشافعيه ومكابرة البكريه ونصب المالكيه واجبار الجهمية والنجاريه وكسل الراونديه وروايات الكيسانيه وجحد العثمانيه وتشبيه الحنبليه وكذب الغلاة الخطابيه وأن لا يحشرنا على نصب أصفهاني ولا على بغض لاهل البيت طوسي أو شاشي ولا على ارجاء كوفي ولا على تشبيه قمي ولا على جهل شامي ولا على تحنبل بغدادي ولا على قول بالباطن مغربي

ولا

ولا على عشق لابى حنيفة بلخى ولا على تناقض فى القول حجازى ولا على مروق شجرى ولا غلو فى التشيع كرخى وأن يحشرنا فى زمرة من احببناه ويرزقنا شفاعة من تولیناه اذا دعا كل اناس بامامهم وساق كل فريق تحت لوائهم انه سميع قريب يسمع ويستجيب

(وكتب)

(الى وزير صاحب خوارزم بعد محنته)

فهمت ماذكره الشيخ من توبة الدهر اليه من ذنبه وخطبته لسلمه بعد حربه وما لا يزال يتعرفه مذ انقشعت ضبابة المحنه وانجلت غمرة النكبه من صنع جديد فى ظل يوم جديد لم يحتسبه وعز مؤتنف فى كل ساعة لم يحسبه حتى لقد اشتم روائح عود الحال الى مآتها الناضب ورجوع الدولة الى رسمها الذاهب وهكذا تكون أحوال المقبلين فان الايام اذا غلطت جنت عليهم رجعت فاعتذرت اليهم والزمان اذا جار بهم خطأ سالمهم عمدا فيستوفون فى الحالين أجر المحنه وزيادة بشكر النعمه ثم يختم لهم بما هو بحالهم أليق وبمقاديرهم أوفق والمحنة اذا كانت بعرض زوال فليست بمحنه كما أن النعمة اذا انتظرها التغيير فليست بنعمه وانما الانسان من دهره فى يومه فأما أمسه فأجل وأما غده فأمل وكل غم سبب السرور فهو سرور وكل ظلمة كانت طريقا الى النور فهى نور ومن محاسن أيام المحن أن الانسان يعرف بها غش الاصدقاء ويقف منها على أوزان الثقات والاولياء ويميز بين من هو صديق البلاء وصديق الرخاء ومن فوائدها أنها تعلم المرء مقدار العافيه وتعرفه اخراج زكاة الجاه والدوله وتحلى فى فمه ما يجده بعدها من طعم السلامه ومن منافعها أنها تطلع الناس على مقادير قوم لولا المحنة لم يطلعوا عليها وتظهر كفاية أناس لولا غيبتهم وحضور البدل منهم لم يهتدوا اليها والآن عرف الشيخ بحقيقته ووزن برتبته ووقف السلطان والرعية على تفصيله وجملته بحضور غيره وغيبته وانما يعرف حق الافاضل من دفع بعدهم الى عشرة الاراذل ويشتد به بالخاصه من ابتلى بعده بالعامه وما أغلى الماء على من

فقده وأرخصه عند من وجده هذا وقد صقلت هذه الفترة خلائق الشيخ بالتجارب ووضعت في يده مرآة النظر في العواقب وهذبت أفعاله من كل شوب وغسلت عنه وضر كل عيب على أنه لم يزل مبرأ من كل رذيلة ومخصوصا بكل فضيلة ولكن الايام عملها في التعليم وخاصتها في باب التنبيه والتقويم فالحمد لله الذى ردّ الى ذلك الامير جماله وبهاءه وعمر بابه وفناءه وسر شيعته وأولياءه وغمّ حسدته وأعداءه ولم يفجعه بالعلق النفيس الذى لا يشترى بالاثمان ولا يوزن بالميزان ولا يكال بالقفزان ولا يرى مثله في هذا الزمان كما لم ير في سائر الازمان ثم الحمد لله الذى حوّل كتبي من التعزيه الى التهنيه وأخرج القاضي من ميدان الصبر الى ميدان الشكر وجعلني رطب اللسان بالحمد لله بعد ما كنت رطب اللسان بانا لله ثم الحمد لله الذى استجاب دعائي ورحم بكائي وعلمني كيف تطلب الحاجات ومتى تستجاب الدعوات وعرّفني أنّ الدهر غريم ربما يفي بما يعد وحبلي ربما تتمّ فيما تلد ثم الحمد لله الذى أرانى أهل خوارزم وقد عرفوا رجحان من فقدوه بين وجدوه كما عرفوا نقصان من وجدوه بين كان فقدوه وأنشدوا قول حنظلة بن عرادة التميمي

عتبت على سلم فلما فقدته * وعاشرت أقواما رجعت الى سلم

وقول دعبل

وترجعني اليك وان تناءت * ديارى عنك تجربة الرجال

(وكتب)

(الى رئيس سمرقند)

وصل كتاب سيدى بعد أن كنت ظننت انّا أخره ظنونا أعيذه بل أعيذني بالله من أن تصدق بها فراستي أو تتحقق مخيلتي وظنّ المحبّ متوزع والشفيق بسوء الظنّ متولع الكتاب الذى ذكر سيدى لم يصل ولقد كان الكاغد للجواب عنه موجودا والكاتب مشهودا والوقت بحمد الله تعالى ومنه طويلا ممدودا أفهم غير المفهوم وليت شعرى كيف سلط على كتبنا حتى اقتطعها دوننا سليك ابن السلكة السعدى وأوفى بن مطر المازني وعمر بن براقة الهمداني والشنفرى

والشنفرى الازدى وتابط شرا الفهمى والسمهرى العكلى ومالك بن الريب المزنى وشظاظ وبرجان وكعب حدر ومالك بن خزيم وعمر السكاب الهذلى وجدر البكرى والمنتشر بن وهب الباهلى وأبو النشناش المنقلى والقتال الكلابى وأبو حردبة والسطيم القيسى وأكتل ورزام الذاربان واسكاب والغداف القاطعان وطهمان ومن مثل طهمان وعبد العزيز وعرقل القيمان وبرة الغفارى وحاجر بن عمرو الازدى هؤلاء لصوص العرب وصعاليكها الذين كانوا يسلبون الناس سلبا ويأخذون كل سفينة غصبا وأما بعد اليوم اذا كتبت الى سيدى كتابا قرأت عليه المعوذتين وعلقت فى جيده تميمتين وأخذت من حامله كفيلين أحدهما ذو الجناحين والآخر ذو النورين حاجتى فى كذا قضيت بسيدى لازال قيامه بالحوائج يحل ما يعقد ويسهل ما يشدد ولا زالت عنايته تفك أسيرا وتيسر عسيرا لاجرم لقد كتب على سجل رق وقلد رقبتى له حقا يوفى على كل حق وانه رجلا نقل هذا الدهر اللئيم من المذمة الى المحمده وعلمه انجاز الموعده لرجل يحسن أن يغير الشيم وأن يعلم اللئيم الكرم فلا زلت أتحمل لسيدى عارفة تنضاف الى سائر عوارفه وآنف صنيع ينضم الى سالفه حتى تسود حواشى جريدة نعمه على وأياديه الى فأعمل جريدة غيرها وأضيف اليها مثلها

(وكتب)

(الى أبى سعيد أحمد بن شبيب جوابا عن كتاب له ورد عليه يبشره فيه بخلاص وزير خوارزم شاه من المحنة)

كان كتاب صاحب الجيش ورد مشحونا ببشارتين أوردتا فرحتين وأوجبتا شكرين احداهما وهى كبراهما خبر سلامته وسلامة أحواله ونعمة الله تعالى عليه فى جملته والثانية خبر ما أتاح الله تعالى للوزير أبى فلان من الفرج الذى وافى بغتته وورد على القلوب والاسماع فلته فما أدرى بأية النعمتين كنت أكبر اعتدادا وأكثر بها المحاسن الايام تعدادا وبأية البشارتين كان سرورى أكبر حجما وأعظم جرما ولا بأية الفرحتين كان قلبى أطرب ولسانى

بشكر الله تعالى أرطب على أن سلامة صاحب الجيش وان كانت البشارة التي توفى على البشائر والنعمة التي تربي على النعم البواطن والظواهر فانها جرت مجرى الشيب اذا كانت متطلعة متشوفه ومتوقعة متوكفه وردت على شيخ ينتظر موردها وعلى قلب يتنجز موعدها وخبر نعمة الله تعالى على ذلك الوزير وقد جرى مجرى بيضة العقر وقام سماعه مقام افتراع البكر وردوا القلوب فيه غير طامعه والنفوس اليه غير منازعه واليأس قد أرتج باب الرجاء والبلاء قد نسخ آيات الرخاء وطول أيام الفتره قد هزم بجيش الهم جيش المسره وكان نعمة خرجت من بيت نقمه وفرحة نبتت في أرض غمه وخبر اسار امر على اذن طالما قرعها خبر البلاء وعلى عين طالما باتت على السهر وأصبحت على البكاء والسرور اذا خرج من الكمين كان أنفس للرزيه والضحك اذا وجد في ساعة البكاء كان أغرب في السماع والرؤيه والحمد لله الذي جعل صاحب الجيش يهدى البشائر الى مضاعفه وينم على النعم متراكمة مترادفه ويورد على خبر سلامته في نفسه التي هي أعز النفوس على ممزوجا بخبر سلامة أحب الناس بعده الى لتكون ريح المسرة قد هبت على جنوبا وشمالا وجناح الانس والطرب قد رفرف حولي يمينا وشمالا كان الخيرات لا تعرف طريقا الى الامن بابه وكان البشائر لا تحسن أن تطلع على الامن كتابه وخطابه وفهمته وعظم اعتدادي بورده اصاحب الجيش على أني لو أنصفته لشكرته بلسانين وأحببته بقلبين وكتبت بيدي بقلمين وواليت أيامه ودولته بنفسين كما أنه يحسن الى من جهتين ويبشرني من جانبين ويهدى الى الهدية ذات الطرقين فاما أن نعمته على مثنى مثنى ومكافأتي له عنها فرادى فتلك اذن قسمة ضيزى ولكن متى استوفى فعل محسن وحال شاكر ومتى ربح رئيس على شاعر ومتى استوى من يطلب سائلا ومن يطلب نائلا لا عدمت صاحب الجيش سيدا وسندا ومددا وعضدا وركنا مؤيدا وسنانا محددا وسهما مسددا وسيفا مجردا مهندا وجندا مجندا وعزا مؤبدا سرمدا ولا خلوت

منه

منه ايضا

﴿ وكتب ﴾
﴿ الى خوارزمشاه ﴾

ورد على كتاب الامير مع فلان فلا أدرى أيهما كان أشد أسرورى بالرسول أم سرورى بالمحمول وفهمته ولما عرضته على أصدقائى صار يحسدنى عليه أعدائى فلما اجتلوا محاسن الكلام بقلوبهم ومحاسن الخط بعيونهم علموا أن بخوارزم قوما من النجار الافضل ومن الطراز الاول اذا أخذوا الاقلام كتبوا واذا أخذوا السيوف ضربوا وان كان الامير رأس الجريده وفارس الكتيبه ونكتة المسئله وطراز الكسوه ووجه الرزمه وصدر الدست وأول التخت وخال الخد ودق الدق ولب اللب وبحسب الامير أن هذا الكتاب وافانى ليلا فأحببت له الليل حب كثير عزه وعشقته عشق جميل بثينه وأبغضت له النهار بغض العاشق الفراق وبغض العروس الطلاق ولقد تركت الاسماع به مشحونه والقلوب مفتونه وأتانى خلال ذلك فرح لا يسعنى جلدى منه فرحا ولا تحملنى أعوادسرجى مرحا فانشدت

واذا نظرت الى اميرى زادنى * ضنا به نظرى الى الامراء

ولقد قال لى من لا يدع فضلا الا تنقصه ولا جميلا الا غمصه هذه كتابة الوزير لا كتابة الامير فقلت له ماردت على أن جعلت الفضل خادمه والكمال تابعه ومن خدمه الفضلاء فقد خدمه الفضل ومن تصرف فى عمله العقلاء فقد تصرف له العقل وكيف يخدم الفضلاء غير فاضل أم كيف يرضى الكملة بالمقام على غير كامل وأصدرت الجواب الى حضرة الامير عمرها الله تعالى بوفود الرجاء وملأ رحابها وأبوابها برسل الملوك والرؤساء وصرف اليها زمام كل رغبه وثنى نحوها عنان كل رهبه وجعلت هذه الاحرف جنيبة الجواب وجنائب القول من جنائب الخيل

﴿ وكتب ﴾
﴿ الى العامل على البريد بالاهواز ﴾

كنت ظننت بك يا أخي ظنا كذبه قبح فعلك وضعف هجرك ووصلك فانك لا تعمل فيهما على قياس واجب ولا تصبرهما على طعام واحد فلا جرم لقد رجعت في ودي لك وما كنت أرجع في هبه وندمت على ثقتي بك وعهدي بي أن لا أندم على حسنه وهذا أبدك الله تعالى رزقي من كل من أصفيته حبي ووضعت في يديه قلبي فأنا ابدا بين صديق أشكوه وقد كنت أشكره وأعذله وقد كنت أعذره وأرتجع قلبي منه كرها وقد سلمته اليه طوعا حتى لقد اشتغل قلبي بخوف الاصدقاء عن خوف الاعداء واشتغل شعري بالعتاب عن المديح والهجاء حتى لقد صرت أعتد سوء الظن حزما وأرى المساهلة غبنا وأحسب المكافأة على القبيح عدلا ومعاشرة الناس بالغش عقلا وان كان هذا ليس جميلا فأنا فيه تلميذ اصدقائي وهم في الجد عليه شركائي

﴿ وكتب ﴾

(الى أبي حامد بن روزبه أديب قومس)

وصل كتاب شيخي مكتوبا بخط ينطق بغير لسان ويفصح من غير بيان أحسن من كل شيء غير كلام صاحبه وألطف من كل شيء غير أخلاق كاتبه القصيدة قد حفظتها لما لحظتها ورويتها لما رأيتها ولو أجبت عنها لسرقت الجواب منها اذ كانت قد جمعت نشر البديع وضمت أطراف الرصف والترصيع ولو فعلت ذلك لكنت قد أهديت الى شيخي من ماله وخلعت عليه من يده وضربته بسيفه على أني قد طلقت الشعر ولا اقول طلقته وانما الشعر بالطرب أو بالرغب أو بالرهب وما بقي شيء يسرني به فأطرب ولا بقي كريم فأرغب ولا بقي وجل فأرهب

﴿ وكتب ﴾

(الى أبي زيد جوابا عن كتابه)

وصل يا ولدي كتابك القصير جدا المختصر جدا وفهمته ذكرت انك مشتاق الى اللقاء ومستبطئ في ذلك القدر والقضاء والمسافة بيننا صغيرة البقعه ضيقة

ضيقة الرقعة اذا ذرعت بذراع الهوى ومسحت بيد الذكرى وهى بعيدة اذا مسحت بيد التسلى ونظر اليها بعين التغافل والتناسى والبعيد قريب اذا التقى العزم والتوفيق كما أن القريب بعيد اذا التقى التفريط والتعويق فلا تعلق باذناب العلل (لو صح منك الهوى أرشدت للحيل)

(وكتب)

(الى أبي حامد أيضا الاديب بقومس)

ورد على كتاب الشيخ وهو اعز كتاب على الا أنه كان صغيرا كايام لقائى له قصيرا كمدة أنسى به على انه لا قليل من البر ولا صغير من الذكر على أن صغير البر ألطف وأطيب كما أن قليل الذكر أشهى وأعذب عاتبنى الشيخ عتابا أنسانى الرعد القاصف والريح العاصف والبرق الخاطف وأردت جوابه فعقل لسانى عنه ذكر أيام تنقض العزائم وتسل السخائم وما كل انسان يعطى السلطان على قلبه فيقلبه وعلى شيطانه فيغلبه فلم نزع شيخى قميص من حسن العشرة ولم يزل يلبسه وأطلق لسانا لم يزل يحبسه انا بكتاب شيخى اذا ورد على أشد سرورا من المشتاق الى التلاق بعد طول الفراق ومن العاشق بالعناق ومن الاسير بالاطلاق ومن الفارك بالطلاق فليتحفنى به واليؤهلنى له ان شاء الله تعالى

(وكتب اليه ايضا)

كتبت الى شيخى كتابا ساعدت فيه يدى وخاطرى وغلبت فى انتقاده قلبى وناظرى لان رسوله كان أعجل من أبرد خل نصفه ومن عامل حضر مشخصه ومن حاج لم يبق بينه وبين الموقف سوى ليله أو بياض غدوه وهو على فراسخ بعيده وفوق مطيه بليده ومن منهزم رأى خلفه سواد الطلب وخاف عاقبة فوات الروح والسلب ومن المشترى يوم الجمعة وقد سمع الاذان وركب السلطان فلازمنى حتى ضغطنى ضغط الغريم وضبطنى ضبط الخصيم وشغلنى عن بسم الله الرحمن الرحيم فكتبت ويدى ترتعش وقلبى ذاهل دهش

وانا أرى لشيخي أن يستعمل هذا الرسول في جباية المال واستحثاث العمال واجتلاب الصدقات والجوال فانه يحاسب على اللحظه ويضايق في اللفظه ويتقاضى تقاضيا يزهق النفس ويقطع النفس فلو عرف ملك الموت سرّه لجعله خليفته وفوض اليه امره فانه اكره منه لقاء وأشد اقتضاء وحاجتي أن لا يردّه شيخي الي فاني أرحم الارض من ثقله وأحبّ بطنها وأبغض ظهرها من أجله والسلام

(وكتب)

(تعزية الى أبي بكر)

بلغني ما قاساه شيخي أيده الله تعالى في هذه المصيبة من غمّ يشكي بل يبكي وجزع يضني بل يفني والموت خطب ثقل حتى خف وهان على الباقي لما رآه بالماضي وعلى المعزى لما نظره في المعزى ودخل الجميع تحت قول المتنبي

يدفن بعضنا بعضا ويمشي * أواخرنا على هام الاوالي

وشيخي أعرف بالله وأقرأ لكتاب الله وأروى لاخبار رسول الله من أن يتأدب بغير أدب الله ولا يسلم لقضاء الله ولكن لمفاجأة المصيبة لذعة يستراح منها الى مباثة الصديق والى تسلية الاخ الشفيق فقد يأنس المريض الى العائد وان علم انه لا يملك شفاءه ولا يدفع بلاءه جعلنا الله تعالى ممن ينجز بالصبر ما وعده من البشرى والصلوات والرحمة والهدى فانه تعالى ذكره ذكر الصابرين فقال أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون وألهمنا العزاء عما استأثر به والشكر على ما أخلف منه والسلام

(وكتب)

(الى أبي سعيد رجاء بن الوليد الاصفهاني)

كتابي وقد عفا بيننا رسم المكاتبة والمراسلة ونسي اسم المطالعة والمواصلة والذنب في ذلك لاحدنا فان كنته فمني المعذرة ومن الشيخ الصفح والمغفرة

وان

وأن كان هو فقد عذرته قبل أن يعتذر وغفرت ذنبه قبل أن يستغفر وطفلت عليه بنصبي لسانى نائباً عنه وخليفة له ورد ولدى فلان فنظرت منه وفيه الى أبيه ورأيته قد كسوته رداء جمال وكمال وصقلته يدى اقبال واقتبال وخرجت نجيباً أنجل النجباء وابنا احيا الاآباء ورأيته

يطلب شأو امرأين قد ماحسنا * بذا الملوك وفاتاهذه السوقا
هو الجواد فان يلحق بشأوهما * على تكاليفه فمثله لحقا
او يسبقاه على ما كان من مهل * فمثل ماقدمامن صالح سبقا

وما اجمّ هذا الولد النجيب على سبقه الى المدى وعلى ارتفاعه فى الذروة العليا وقد رسخ عرقه فى تلك الدرّة الكريمه وفرعت غصونه على تلك الدوحة العميمه لا بل لو أقام على مربط الشيخ فرس لما اعتددت له أن يكون جوادا ولو بات فى خزانته سيف لما شكرته على أن يكون حساما فكيف بولده ومن هو قطعة من كبده كانت الايام امتعنى الله ببقاء الشيخ سديدة قصيره كان نهارها القصره ظهرا وعصرا ولياليها عتمة وفجرا فلما شكرتها رجعت فيما وهبت وندمت على ما صنعت وذلك رسم اللئيم فانه اذا شكر على احسان غلط به تنبه للؤمه فأساء وندم على ما سبقه من المسرّة فساء والكريم اذا شكرته قابل الشكر بالمزيد وتجاوز الصنع القديم الى الجديد فان عادت الايام بمثل تلك الغلطه وظفرت بتلك الفلته كتمتها شانى وشكرتها بصبرى دون لسانى بلغنى خبر تلك الفترة التى كانت عينا أصابت الاحسان وعيبا لحق الزمان والسلطان فزاد ذلك فى جراح الايام بى وفى وقائعها بقلبى ثم تذكرت أنّ الدولة للمحسنين والعاقبة للمتقين وأنّ الدهر يخطئ ثم يصيب ويذنب ثم يتوب لا يبخل على الشيخ بكتبه فلو لم أستفد منها الا خبر سلامته لكانت الضالة التى تطلب والعلق الذى لا يعار ولا يوهب فكيف وفيها ألفاظه التى تشوّق العجوز الى شبابها والشابة الى اسبابها فاقرأتها قط الا حسد طرفى لسانى على لفظه وحسد لسانى طرفى على لحظه

فوالله ما ادرى أزيدت ملاحة * على الخلق ام رأى المحب فلا أدرى
وأنا وان كنت شاعر اللسان فلست شاعر الخلق ولا شاعر الوفاء والصدق ولا شاعر الصداقة والودّ ولا شاعر الديانة والعقد لا تتلوّن أخلاقى ألوانا ولا أكون على صديقى ومن يشكو الىّ زمانا ولا أكون أخاه ايام دولته وعدوّه أيام عطلته وقد غشت المروءات وانثلمت الموّدات ومات الوفاء والثبات

(وكتب)

(الى ابن العميد الحاكم)

كتابى الى الشيخ عن سلامة تهنأتها منذ ورد علىّ خبر سلامته ونعمة أسبغت علىّ منذ وقفت على ما يسبغه الله تعالى عليه من نعمته ورد علىّ كتاب الشيخ الذى كل سطر من سطوره كتاب وكل لفظة من ألفاظه باب بل أبواب المفيد باطنه وظاهره البديع أوله وآخره الذى ما ورد علىّ الا حسدنى عليه من رآه بيدى ووده انه لو كانت عيناه عينى وعلم أنى قد حويت فى الحظوظ بقسم وافر وانه قد حصل منها على غبن ظاهر لازال الشيخ أبا عذر كل كلمة سائره وكل فعلة نادره ولا زالت أخلاقه مظنة لحفظ العهد ومحطا لرحال الحمد وشريعة موروده لزوار المجد وبابا مفتوحا لمستخرجى الرفد فلان قد غضب علىّ وما اعرف لى ذنبا يستوجب منه غضبا ولا انسبه مع ذلك الى التجنى ولا أضع فعله موضع الظلم والتعدّى ولكن من الذنوب ما يظهر لمن رآه ويخفى على من جناه وقد يرى الانسان من عيب غيره ما لا يراه من عيوب نفسه ولذلك قيل

أن المرائى لا تريـ * ـك عيوب وجهك فى صداها
وكذاك نفسك لا تريـ * ـك عيوب نفسك فى هواها

أسأل الشيخ أن يردّ علىّ من صلته ما فقدته ويوجدنى من عفوه ما نشدته ليكون قد صار طبيبا لاخلاق اخوانه يداويها من داء الهجران ويصلحها من فساد الزمان ولتكون نعمه علىّ متفرقة أغصانها ومتلونة ألوانها فانّ النعمة اذا تكافأت مذاهبها وتعادلت جوانبها اتسع فيها مجال الشكر

الشكر والذكر وطالت فيها خطوة النظم والنثر

(وكتب)

(الى أبي القاسم الأبيّ البندار)

خرج الشيخ الى ناحية عمله خروج السارق لا بل خروج الآبق قد كتم اخوانه حاله ولم يستكفهم أشغاله وخصني من بينهم بالقسم الاوفر من الكتمان لا بل بالقسط الاوفر من الحرمان وما كان يضرّه لو صحبت ركابه وكثرت بسوادي أصحابه وقد ألزمته الذنب دوني وان كان مقسوما بينه وبيني كان ينبغي لي أن أقيم على بابه حارسا وبكل درب من دروب محلته فارسا وأتعرّف خبر رحيله وأقف على كثير ما يأتي وقليله واذا رحل شيعته بجسمي مرحلتين وبقلبي مائتين على أنّ قلبي قد شيعته حيث هو معه فليتفضل بردّه عليّ ولينفذه بل يقدمه رسولا قاصدا اليّ فانّ غاية المشيع أن يرجع وعاقبة الضيف أن يودّع ولا يأخذ قلوب أصدقائه في مرافق أعماله ولا يكثر بشيعه سواد أضيافه ولا يتركني بلا قلب فاني أحتاج في مكاتبته الى قلوب وللنظر في كتبه الى عيون وللصبر على فراقه الى نفوس ولا يقل هو عندي تذكرة منك ونائب على بابي عنك فانما يحتاج الى التذكرة من ينسى والشيخ بحمد الله تعالى لا ينسى ولا ينسى

(وكتب)

(الى ابن سمكة بقمّ)

أنا ألح على شيخي في السؤال وأتجاوز حدّ الادلال الى حدّ الاملال لانّ الذي أساله لا يوجد منه عوض ولا يقوم عنه جوهر ولا عرض ومن طلب خطيرا احتمل كبيرا وعلى قدر نفاسة المتاع رغبة المبتاع وبحسب عظم النائل ضراعة السائل وليس يرد كتاب شيخي على أضنّ مني به ولا ارغب مني فيه ولا أروى مني له ولا أشكر مني عليه ولا أتوق مني اليه واظنّ شيخي يستخشن مس عتابي له وعتاب عن قلب نقيّ وصدر بريّ خير من ملق فوقه برد سابريّ وتحته غش خفيّ فقد يكتم البغض في زوايا الهوى

وقد نبت المرعى على دمن الثرى ولولا انى قد اصبحت تحت نعمة الشيخ مستورا وأصبح لسانى بعدها مقصورا اسألته كتاب كذا ولكنى الى الخروج من الحواصل أحوج منى الى طلب النوافل ولقد نقص شيخى الى الادباء وصغر فى عينى العظماء وصارت أخلاقه لى مرآة أرى فيها الحسن والقبيح وأتبين فيها السقيم والصحيح وغرة الادب العقل الراجح وغرة العلم العمل الصالح فأمّا أدباء أهل زماننا فقد طرقوا بالادب الى الجهل لحسد والنقص من زرع الفضل لا نعدم فى كل زاوية منهم صغيرا يتكبر وقليلا يتكثر لا يفيد من دونه بخلا ولا يستفيد ممن فوقه جهلا ولو تعلم لعلم جهله ولو علم لحفظ علمه والبخل وحده قبيح فكيف اذا قارنه الجهل والجهل بنفسه نقص كبير فكيف اذا كان معه البخل ومن عجائب البخل أنه داء يعدى فانّ الجواد يبخل اذا بخل عليه ويتحول داء غيره اليه فشرّ الادواء داء أعدى وشرّ العيوب عيب تعدّى امتع الله تعالى شيخى بمحاسنه التى هى مبيت المدح ومقيله وغرّة الدهر وتحجيله وأطال بقاءه وجعلنى فداءه

❁ (وكتب) ❁

* (الى أبى بكر النحوى اديب الجبل واصبهان) *

بذلت فى حاجة الاديب مجهودى واليه تنتهى غاية جودى، فان اكن بلغت منها رضاه فذلك الذى اريده وأتحرّاه وان تكن الاخرى فالرمية قصرت عن الرميه والسعى وقع دون مقتضى الامنية والنيه فانما الذنب لرسوله الذى زعم أنه أكفى وقال لى حسبك وكفى فانّ الطبيب يخرج من الدواء بقدار ما يشكى اليه من الداء ذكر الاديب فى كتابه أنّ سوق الادب كاسده وانما الكاسد ما اشترى بدون قيمته وقرب ربح تجارته فأمّا ما لا يشترى ولا يكترى ولا يذكر ولا يسمى فقد تجاوز الكساد وبار بل باد كتاب شيخى اذا ورد بخطه نظرت منه الى روضة البصر والى نزهة الفكر ورأيت منه جمالا يراه القلب قبل الطرف وشممت منه ريحا تشمه الروح قبل الانف وانى لاشتاق

لاشتياق الى وروده على تشوق المهجور الى الوصل والغائب الى الاهل فاذا انقطع عنى وانقطع دونى ثكلت املى وفجعت بسرورى وجذلى وغزى بعساكر الهم صدرى وخلا لها ظهرى وشيخى يتفضل فينظم الطرق الى به ويكون شفيعى الى لسانه وقلبه ان شاء الله تعالى

(وكتب)

(الى ابى بكر بن شيرد)

لو علمت بخروج الشيخ لاخذت بحظى من حلاوة تشييعه ومرارة توديعه وقت با واجب على من الاخذ بركابه ومن تسوية ثيابه على أنى لو شيعته لاصبحت مشيعا وصديقا وأمسيت معه صاحبا ورفيقا ولما تركنى الشوق أرجع عنه ولا خلانى أخلو منه وكنت أصير زيادة فى أشغاله بل زيادة فى عياله فاذا أنا قد طلبت الاحسان فاسأت وارتدت الصواب فاخطأت ولقد تركنى الشيخ بجميل عشرته وكريم صحبته أبغض كل من احببته وأباعد كل من قاربته وكأنه انما بعث الى ليفسد الاخوان على فقد ضيق خلق وان كان وسع رزقى وأفسد أفعالى وان كان أصلح أحوالى ومن العجب وجود الحر فى هذا الزمان الذى صار فيه اللؤم سنة متبعه وأصبح الكرم بدعة مبتدعه ورخص الثناء حتى ما يبتاع وغلا السخاء حتى ما يباع والكلام فى هذا الباب شرط بطين يستملك الناس مع عزته ويستفرغ المراغ مع قلته وانى لاعتب على شكرى للشيخ وأنسبه الى النزارة وهو غزير والى الصغر وهو طويل عريض ولقد شكرته شكرا لو شكرت الزمان به لاصبح لى شتاؤه ربيعا وجدبه خصيبا مريعا ومدحته مدحا لو مدحت به الفلك لما دار الا بمرادى ولا تصرفت بروجه الا على اسعادى ولا سعى الا فى مصالح معاشى ومعادى وليس يخلو شكرى لصنيعة سيدى أن يكون دونه أو فوقه أو مثله فان كان دونه فالطف بمثل الشيخ أن تكون يده العليا على من عامله وصنيعته الراجحة على شكر من شكر له وان كان فوقه فقد ربح على الشيخ فليردنى الى رأس المال فان ربح الرؤساء على الشعراء من المحال وان كان

مثله فقد أخذ مني مثل ما أعطى وأستأداني كفاء ما أدّى فليستأنف الآن برّاً استأنف شكراً وليجدّد نعمه أجدّد خدمه هذا أيد الله الشيخ مزاح سهل عليه بطر الغنى والشيخ هو الذي أغناني فليحتمل بطري وهذياني وكيف أحاسب من نفسي بعض صنائعه اليّ وروحي بعض ودائعه لديّ ومن أفعاله الجميلة عندي تفنى كل حساب وتملأ كل كتاب الشيخ صاحب الديوان رفعت اليه حاجتي فاستقبلني بوجه مانع فوليته قفا صبور قانع ليعلم أن الكريم ألوف عروف وصدوف عزوف يشكر على اليسير وتلطف نفسه على الكثير نسخة الرسائل قد حملتها وما تساوي عندي أن تهدى الى احد او تحمل من بلد الى بلد ولكن الشيخ اشتهاها شهوة راكب الخيل لركوب الحمار والبغل وشهوة آكل الطبيخ لأكل الخل والبقل وتطرّف بطلبها تطرّف الغنيّ بلبس الوذاريّ وهو غريق في الوشي والعتابيّ وقادر على الديباج الخسروانيّ ولعله أراد أن يضحك منها ندماءه ويتحف بها جلساءه فتكون باباً من أبواب الهزل أو جنساً من أجناس النقل

(وكتب)

(الى الوزير بالحضرة)

ما أقرب الاشياء حين يسوقها * قدر وأبعدها اذا لم تقدر

كانت أيد الله الشيخ حاجتي في وعاء المطال وفي ضمان الايام والليال فما كسبني فيها الزمان وأرجف لي بها الاخوان قد أخلق ثوب الرجاء لها حتى تمزق وتراجع حسن الظنّ بها حتى تمحق وطابت النفس عنها بيد اليأس منها حتى دفعت زمامها الى الشيخ فأنشطها من عقال التعذر وأقامها من صرعة التعسر وقضاها قضاء سبق الاقتضاء ونسخ باليقين الرجاء فكان غيثاً سبق صيبه دعوة المستسقي وماء سيحاً قد كفي مؤنة المستقي وانما كنت أيد الله تعالى الشيخ مجداً على الطريق مطروحاً وباباً من أبواب المكارم مفتوحاً لا المجد يحصل ولا الباب يدخل حتى كانت يد الشيخ

اول

أول من جنى تلك الباكوره واحتوى تلك الكرجة المذخوره فالحمد لله الذي وفقه لحفظ ماضيعوه ورفع ماوضعوه ولقد اشترى من الشكر سلعة قليلة الطلاب فياليت اللئيم يشم رائحة أفعاله أو يلاحظ شخص خصاله وياليت البخيل يعطي من رزقه قيمة خلقه في سعته وضيقه وياليت المخلف للوعد تصير المواعيد في رقبته أوحقائب على عاتقه فلعلها اذا أثقلت ظهره ضيقت صدره فلا يعود بعدها الى وعد يخلفه وحر يسوفه

وليت رزق اناس مثل جودهم * ليعلموا أنهم بئس الذى صنعوا

تأخر مارسم الشيخ حمله من الرسائل لانى أردت أن يحصل بخط لا يورث العين قذى ولا القلب أذى ولولا انى رابع الكتاب والشعراء بالباء لا بالياء لما احتجت لتلك النسخة الى هذا الاحتشاد ولما سحبها الى كل هذا الارتياد ولكنى كأبي الدمية لا يألو جهدا في جودة كساها وكثرة حلاها يشترى لها المطوى والملوى ويكسوها الدبيقى والمروى ويتجاوز في جهازها الفضة الى الذهب والشعر الى القصب ثم هو مع هذا كله خائف عليها أن ترجع اليه مطروده وعليه مردوده ولو كانت بنته حسناء زفها ولو أنها من الثياب عاريه ومن الجمال كاسيه ومن الحلى عاطلة خاليه ومن وجهها حاليه لعلمه أن لها من نفسها شافعا لا ترد شفاعته وبأنها لا تنقض بياعته وبعد هذا كله فانى مقر على نفسى بالتقصير ومستحق للوم الكثير فان المحال اذا نصر زاد بردا وان الخطأ اذا احتج له صار عمدا فلان قد أصحبته كتابى بالوصايه وصنعت له ما يسعه رجاؤه وشكره من الرعايه وأرجو أن الشيخ لا يلوم من جر اليه حمد الاحرار بزمامه ووقف الثناء والاجر على مدرجة بره وانعامه وانما أنا دلال من دلالى الشكر وسمسار من سماسرة الثواب والاجر ولم أر لهاتين السلعتين مشتريا أصح من الشيخ عقدا ولا أجود منه نقدا فجهزت اليه باعة البضاعه ودللت عليه الباعه والسلام

(وكتب)

(الى تلميذله)

ان كنت أعزك الله تعالى لا تراناموضعا للزيارة فنحن فى موضع الاستزارة وان كنت تعتقد أنك قد استوفيت ما كان لدينا فسقط حقنا عنك وبقى حقك علينا فقد يزور الصحيح الطبيب بعد خروجه من دائه واستغنائه عن دوائه وقد تجتاز الرعية على باب الامير المعزول فتتجمل له ولا تعبره عزله ولولم تزرنا الا لتربنا رجحانك كما طالما رأينا نقصانك لكان ذلك فعلا صائبا وفى القياس واجبا

(وكتب)
(الى حاكم نيسابور من اصفهان)

وردت أيد الله تعالى الحاكم من الوزير على رجل يستطيل اليوم اذا بعدت عنه ويستقصر الدهر اذا قربت منه أبدع فى اكرامى بدائع لو كانت كلمات لكانت أمثالا ولو كانت أبياتا لكانت أفرادا وكسانى طرازا من الصيانة ضفت على ذيوله ولاحت على صفحات أحوالى غرره وحجوله وخاطبنى بكلام كأنما خلق من خلقه حسنا ورقه وكأنما اقتدح من كلامه لطفا ودقه ووعدنى مواعيد فى صحبة العدل والتوحيد ورقانى فى غاية تزلق رجل المنى وتقصر دونها همم الورى وتخجل خلفها الدرجات العلا أردت مطالعة الحاكم بهذه البشرى واتحافه بشرح حال هذه النعمى الكبرى ليعلم أن تلك الفترة كانت خيرة وغيره وأن هذه العاقبة كانت دولة وكره وأن الدهر أوفانا كيل المسرة كما أوفانا كيل المضرة وتحمل الينا من الخير مقدار ما تحامل علينا فى المكر ومهد لنا أيام اليسر عدد مامدّ لنا من أيام العسر فقد أنصف وهو ظلوم وتكرم وهو لئيم

(وكتب)
(الى محمد بن حمزة رئيس خوارزم)

قد انتظرت من الشيخ أن يسبقنى الى خطبة الوصل كما لم يزل سابقا الى غاية كل فضل فأبى كله الا أن أسبقه اليها وأغلبه عليها فابتدأته بالمكاتبة حين ضاق مسلك الصبر وحين اتسع مجال النزاع فى الصدر وحين رأيت الخط

يضيع

تضيع بين هيبتي وتغافله والربح يذهب بين أشغاله وتشاغله وقد بلغ الله تعالى الشيخ رتبة لا يضعه معها أن يتواضع ولا يزيد في ارتفاع قدره أن يترفع فليستدم نعمة الله تعالى عليه بأن يرب مواددت الاحرار أو في رباية ويعمر ما بينهم وبينه أو في عماره وليعلم أن عليه زكاة للشرف اخراجها أنمى للمال وأبقى للحال ومنعها تمحيق للوفر وتعريض لحوادث الدهر وليزد اخوانه على قدر زيادة الله تعالى عنده فان العادة مطلوبه والزيادة في النفوس محسوبه زاده الله تعالى مما عنده وأطلع عليه سعده وأعلى جده وجعل حاسده عبده وورد فلان هذه الناحية فملأ العيون جمالا والقلوب كمالا والاسماع مقالا وغمر الاعداء فضلا والاولياء افضالا ونوالا ورأينا في قميصه رجلا لا بل رجالا وعجبت من ملك كيف سمح بمفارقة هذا الشخص النفيس لبابه وخروجه من حيز أصحابه ولقد ضيع منه ما لا يوزن به عوض ولا يقوم مقامه عرض وقدر أنه يصيب في كل زاوية من يسير في أقسام النجابه ويجمع بين الفروسية والكتابه فاذا به على النقصان وهو ينتظر الزياده واذا هو يلتزم خراجا ويحسب أنه يحصل الغله وأسأل الله تعالى أن يصلح حال ذلك البقعة فاني أراها تلفظ الرجال وتنفي عن نفسها الكمال وان امرأ تنعق منه الآباء والاجداد ويخالف به تدبير الاولياء والبلاد لحقيق بأن لا تخشى فاتحته ولا ترجى عاقبته

❁(وكتب)❁

(الى أبي سعيد رجاء بن الوليد الاصفهاني)

وصل الي كتاب الشيخ وعققته اذ لم أطر فرحا لما رأيته ولم أنطح الفلك فخرا وعجبا لما فككته ولقد استخفني الفرح به واشتغلت بلحظه عن حفظه وتصرفت من فصوله في رياض سقتها الخواطر لا الغيوث المواطر وطلعت على شمس البها لا شمس الضحى لا بل روضة الخط أحسن من روضة النبات لان روضة النبات مداس للخف والحافر وطريق للسابل والعابر وتلحظها أعين اللئام وتدوسها أرجل العامة والطغام وهذه الروضة عن أكثر العيون

مكنونه وعن أكثر الايدى مصونه لا يرتع فيها الا ناظر خاصى ولا تمسها الايد بيل سوى قال ديك الجن

لو كنت أملك للرياض صيانة * يوما لما وطئ اللئام ترابها

رأيت الشيخ يرفعنى فى خطابه الى غاية تتقاصر عنها قيمتى ولا تطمح نحوها همتى فعلمت أنه يسلفنى نعمته لا دخل فى غرامه وأصير واحدا من جملة انعامه وليكون قد تناوانى بالبر من كل طرقه قولا وفعلا وجوهرا وعرضا ولسانا وبيانا والله تعالى يكافئه ويكفيه ويبقيه ويقيه ويريه كما أرتجيه ويريه ما أحب له فيه

(وكتب)

(الى الوزير أبى القاسم اسمعيل بن عباد رحمه الله)

كتابى الى الوزير وأنا على بعد الدار سالم فى جملته مستظهر على الايام بدولته والحمد لله تعالى على سلامتى فى سلامته وصلى الله على سيدنا محمد وعترته اذا رأيت كتاب الوزير وقد ورد على غيرى غرت عليه غيرة الفحل على الشول بل غيرة المرأة على البعل ولوددت أن لم يكاتب به غيرى أو من يشكره مثل شكرى فانى مع استقصارى لنفسى فى ذلك قد أتعبت الوراقين بل أتعبت الكرام الكاتبين وأبقيت للخواطر والالسن شغلا طويلا وطرحت عليها عبأ ثقيلا ولقد كانت أيامى بحضرة الوزير قصارا وكان ليلى بها نهارا وساعاتى فيها أسحارا كما أن أيام فراقه ليال طوال وليلة فراقه تعد بليال وانى بعد صبرى على فراقه لجلد على وقع سهام الهجر واسع المجال فى ميدان الصبر ولقد أصابت عين الزمان وفاقى وسلبتنى حسنتى وهى جزعى بفراق أصدقائى فاجرنى الله تعالى على هذه المصيبه ولا حرمنى عليها جميل الاجر والمثوبه لا يعدنى الوزير وقد اشتريته باهل الدنيا ولا يعدنى عنه وقد قربنى الحب منه ولا يبخل على بكتبه فعهدى به لا يبخل على بفضته ولا بذهبه وليأنف من أن يكتب اسمه فى جريدة البخلاء بعد ما صدرت به جرائد الاجواد والسمحاء ان شاء الله تعالى

وكتب

(وكتب)

(الى أبي الحسن الحكمي)

أنا لامر سيدى الشيخ ممتثل ولقبوله مراده مستقبل ولكن فلان طرقنى والشوق قائده والحب سائقه فليوفر الشيخ علينا يومنا فلا يقدر أن يضمن لنا غدا وليعلم أنه من سلب أخاه ثوب الفرح وأقامه من بين يدى الطاس والقدح فقد قطع عليه طريق السرور وقام بازائه مقام حوادث الدهور وقطاع الطريق على الناس أقل وزرا من قطاع طريق الطاس والكاس لان الذى يأخذه أولئك من المال قد يصاب منه بديل ويوجد الى العوض منه سبيل والذى يأخذه هؤلاء من العمر ويقطعونه من أيام الدهر لا سبيل الى ارتجاعه ولا التئام لجراحة اقتطاعه هذا والضيف مولاى والمضيف عبده فهل يرى الشيخ أن أفتات على مولاى وأن أخالف هواه بهواى وقد علم ما جاء فى الاثر من ذم العبد اذا عصى مولاه وخرج الى سخطه من رضاه

(وكتب)

(الى تلميذله وقد ظهر عليه الجدرى)

وصلنى خبر الجدرى فنال منى وهيج حزنى وراع قلبى وأسهر عينى وهذه العلة وان كانت موجعه وفى رأى العين فظيعة شنعه فانها الى السلامة أقرب وطريقها الى الحياة أقصد لان عين الطبيب تقع عليها ويد الممرض والمعالج تصل اليها وانما هى قرح نبهته الطبيعه ودم أثارته الحراره وظاهر الداء أسلم من باطنه وبارز الجرح أهون من كامنه وهذه بعد علة تعم الابدان وتشمل الصبيان واذا كانت العلة عامة كانت أكثر طبا ودواء وأخف على القلوب أعباء لان النفس تستريح الى المشاركه وتأنس بالجماعه كما تستوحش من الوحده ولعمرى انها تورث سواد اللون وتذهب من الوجه بديباجة الحسن ولكن ذلك يسير فى جنب السلامة للروح اللطيفه والنفس الشريفه وفى الشر خيار ومن المحنة الى المنحة صروف ومقدار واذا

أخطأت سهام الايام جانبا وأصابت جانبا فقد سررت أكثر مما ساءت لان الحسنة فيها تستبعد وتستغرب والسيئة منها تنتظر وترتقب ولست أستطيع لك غير الدعاء ولا أتكلم في بابك الاطبيب الاطباء ولا أصانعه عنك الا بالثقة والرجاء لا أسال صحتك الا ممن خلق علتك وأرى لك أن تحسن ظنك بربك وتستغفره من ذنبك وتجعل الصدقة شفيعك واليقين طبيبك وتعلم أنه لاداء أدوأ من أجل ولا دواء أشفى من مهل ولا فراش أوطأ من أمل شفاك الله تعالى وكفاك وسلمك وعافاك وبلغك رضاك وحسبك به طبيبا وكفاك

(وكتب)
(الى فقيه من تلامذته)

كتبت اليك من حضرة الغرائب والرغائب وهي حضرة الوزير وأنا متردد بين فائدتين من فعاله ومقاله ورائع بين روضتين جاهه وماله والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين انتظرت كتابك فتأخر وطلبت له عذرا فأعوز وأخذت أحتال صبرا عنك فأعجز وعرضت معاملتك لي على المودة بيننا فأباها وقدمت أفعالك معي الى القلب فما ارتضاها فراجع رحمك الله تعالى ما طلقته من ودنا واذكر أو تذكر ما نسيته أو تناسيته من عهدنا واعلم أنك اذا أنفقت أصدقاءك واحدا واحدا أوشكت نفقتك أن تدعك مفلسا منهم وخاليا عنهم حملت اليك نسخة رسائل الوزير وهي كالحلقة لا يدرى أين طرفاها وكالشمس لا يفضل أولاها على أخراها كلها خيار وكل حروفها اختيار فأعرها من اذا استعارها منك قبل يديك واذا ردها عليك قبل رجليك واعلم أن قدر هذا الكلام في الكلام كقدر صاحبه في الانام فلان قد نصب لنا الحبائل وأراد بنا الغوائل ولقد قرع باب البلاء ووطئ ذنب الحية الصماء وأدخل يده بحر الاسود وقعد للملك الموت بالمرصد ونطح برأسه الجبل واستبطأ الاجل وطرد العافية عن باب داره وأنزل النحس في جواره واستهدف لسهام الحتف ووطئ على حد السيف فلا جرم

اصبح

أصبح نقل كل لسان وضحكة كل انسان وحملت أمهاته سفاتج الى البلدان وأجلت غبرة جهله عن أديمه وقد عرك وعن ماء وجهه وقد سفك وعن ستره وقد هتك وهكذا يكون حال من عرّض عرضه السقيم وأصله اللئيم لمكر العقلاء وقول الفصحاء وألسنة الشعراء وأقلام البلغاء وليس وراءه لسان تقرع به الآذان ولا عرض يعارض به الاقران

(وكتب)

(الى الملك لما أصيب بابنه عن خوارزم شاه)

كتبت وأنا مقسم بين فرحة وترحه ومرددبين محنة ومنحه أشكو جليل الرزيه وأشكر جزيل العطيه وأسأل الله تعالى للامير الماضي الغفران والرحمه وللامير السيد التأييد والنعمه فان المصيبة بالماضي وان كانت تستوعب الصبر فان الموهبة في الباقي تستنفد الشكر والحمد لله الذى كسر ثم جبر وسلب ثم وهب وابتلى ثم أولى وأخذ ثم أعطى كتب على المشرق خاصه بل على الدنيا كافه أن تطمس آثارها وتظلم أقطارها وتهب ريح الخراب عليها وتنظر عين الكمال اليها حتى ذبلت شجرة المملكه ووهن ركن الملك وطرف ناظر الدوله وانثلم جانب الدعوه ثم استدرك الله تعالى برحمته خلقه فرد الى الامير حقه وقرت الدولة فى قرارها وعادت النعمة الى نصابها وطلعت الشمس من مطلعها ووضعت الرياسة فى موضعها فأنا الآن بين شكاية الايام وشكرها وبين حرب الدهر وسلمه أبكى وأنا ضاحك وأضحك وأنا باكى العين الا أن الضحك على أغلب والفرح الى من الغم أقرب لان المصيبة ماضيه والنعمة باقيه رحم الله تعالى الماضي رحمة تؤنس علينا مصرعه وتبرد له مضجعه وتضاعف حسناته وتمحو سيئاته وأعان الامير على رعاية ما استرعاه وألهمه شكر ما أعطاه وتولاه فيما ولاه ووالاه جزيل ما أولاه وأيد بالهيبة سلطانه وثبت بالبقاء أركانه وحرس من الغير زمانه

(وكتب)

(الى ابى منه ورملك الصغانيان يعزيه فى عمه أبى سعيد)

كتابى الى الامير وقد ملك الجزع صبرى وعزائى وجعل ناظرى فى اسار دمعى وبكائى والقلب دهش والبنان مرتعش وانا من البقاء فى الدنيا مستوحش والجفن غرق والقلب محترق وما اجتمع قبله غرق وحرق للمصيبة التى ثلت عرش السلطان وطمست نور الزمان وجعلت الصبر سيئه والجزع حسنه والاسى سنه والاسا بدعه وحق لمن أصيب بمثل فلان أن يصاب بصبره وأن يدفن معه الفرح فى قبره وأن يجعل يومه تاريخا لجدع أنف الكرم وركود ريح الهمم وانكسار تاج العجم واذا تفكرت فى عظم هذا النازل واربائه على سائر المصائب والنوازل أنشدت

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

واذا تذكرت بقاء الامير وهو البقاء الذى لا وقع معه لخطب وان كان مؤلما ولا خطة بعده لمصاب وان كان مستعظما أنشدت

اذا مقرم منا ذرا حد نابه * تخمط منا ناب آخر مقرم

وان بيت الامير الماضى سلفه والامير الباقى أيده الله تعالى خلفه لبيت عظيم المصائب عظيم المواهب محنتهم أجل المحن ومنة الله تعالى عليهم أكبر المنن ولن يسقط عرش مثل الامير قائمه ولا يخرب بيت هو بقيته اللهم ارحم الماضى فانك رحيم بالكرام منعم على أهل الانعام واحفظ الباقى من عين الكمال فانها أكبر آفات الرجال وأنفذ سهام الايام والليال وأطل بقاءه فانه بقاء المجد وأدم عزه فانه عز الشكر والحمد واجعل فداءه من لا يرضى بأن يكون فداءه ولا يفتخر بأن يكون وجهه حذاءه

(وكتب)

(الى أبى القاسم بن على صاحب جيش الصغانيان)

لم يزل يبلغنى ما يرتفع على يد الامير من الفتوح التى تفتح لها أبواب السماء ويفوح منها روائح العز والسناء فى أولئك الاعداء الذين امتنعوا بشدة كلبهم وقلة سلبهم ومتاركة المسلمين قديما لهم ورضاهم رأسا برأس منهم حتى لقد

حقنت

حقنت الدماء وسكنت الدهماء وأمنت السبل واجتمع الشمل ورجع النافر وعمر الغامر واجتمعت الكلمه واتفقت البيضه وأغمد السيف وركز الرمح وقرت الامور قرارها ووضعت الحرب أوزارها وهذا صنع لم يخص الله تعالى به أهل أفق دون أفق ولا أفرد بمزيته سكان غرب دون سكان شرق اذ كانت النعم فيه عمت كل من عرف الاسلام وفضله وعادى الشرك وأهله لازال الامير يرى كل يوم بسيفه فتحا يعظم به الخطب وتستبق فيه الكتب ولازال الشرك من قتلاه والنفاق من جرحاه والفساد فى الارض من أسراه حتى تملأ فتوحه كل سامع وناظر وتشغل كل كاتب وشاعر

(وكتب)

(الى فقيه فى تعهد مسجد)

أحق الاماكن بأن يصان ولا يهان واولاها بأن ينحى عن مدرجة الاختلال ويرفع عن أن تتناوله يد الابتذال مكان بنى ليجمع شمل التعبد ويضم نشر التهجد وترفع منه الحوائج الى من لا يضجر من السؤال ولا يتبرم بكثرة السؤال وهو الكبير المتعال فان صيانة هذا المكان صيانة الدين بل صيانة الاسلام والمسلمين وكبت الكفر والكافرين وما ظنك بموضع هو بيت من بيوت الله ومظنة لقراءة وحى الله تصف فيه الاقدام بين يدى الله ويتميز فيه أولياء الله من أعداء الله وهو من بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وهو مسكن من مساكن الابرار ومجلس من مجالس الاخيار وحصن من حصون المسلمين على الكفار وجسر بين الجنة والنار دخوله عباده والمقام به سعاده والاعتكاف فيه سنة مستحسنه لا يخترقه كافر ولا يقربه الا طاهر من عمره عمر طريق الآخره ومن بناه بنى له بيت فى الجنه وبلغنى ما أنت فيه من بناء مسجد محلتك ضاعف الله تعالى لك عليه ثوابك وأكرم مآبك ورضى عنك وتقبل منك فتوسع رحمك الله فى نفقتك فانما تعامل وتسلف كريما سخيا ولا تحاسب نفسك على دخلك وخرجك فانك بصدد

أضعاف ذلك من الثواب وانما يوفى المحسن أجره بغير حساب وتذكر قوله الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر

(وكتب)

(الى أبي شجاع بن محمد كاتب ابن قراتكين)

كتابي وقد وجدت فلانا لا يضر ولا ينفع ولا يضع ولا يرفع وانما هو مشط يقلبه خصي أصلع وان مجال الشكاية فيه لرحب وان طريق المذمة عليه لسهل ولكني لا أقطع يدي بيدي ولا أضرب بعضي ببعضي ولا أرمي يسراي عن يمناي ولا أتباعد عن قربي الاصل منه ولا أضربه بالسيف الذي طالما ضربت به عنه ورأسي رأسي وان كان أصلع وأنفي مني وان كان أجدع وأما فلان فان المشرق عاطل هو حليته وعريان هو كسوته وجماد هو روحه وأعزل هو سلاحه وأخرس هو لسانه لا فجع الله به عيني ولا قلبي فان عيني بعده لا تقر كما أن قلبي بعده لا يسر

(وكتب)

(الى رئيس نيسابور)

أرجو أن الشيخ لا يلق أمري بيد الاغفال ولا يسلك بحاجتي طريق المطال ولا يكلني الى غيره في حاجة كتبتها عليه ووضعت عنانها بيديه فمن المحال أن أستمد النهر وانا جار البحر وأن أحتاج الى النجم وانا أسري في ضوء البدر وقد كان الشيخ في تلك الحالة الاولى أمهل حتى كأنه أهمل وتغافل حتى كأنه غفل ولست أشكو يومه لاني أرجو غده

(وكتب)

(الى علي بن كامه)

كتابي الى الامير عن سلامة أسأل الله تعالى أن يديمها لا توصل الى خدمته بها والحمد لله تعالى ونعمة الامير علي النعمة المجملة المفصلة الغراء المحجلة التي ان سكت عن شكرها شكرها عني أثرها علي وان كتمتها أفشاها دوني من رآها لدي وانما أنا غرس نعمته ونبات راحته بادمته وانا مقبل الشباب

حدث

تحدث الاتراب وهاأنا قدأجنى الكبر بطامه ولثنى البياض بلثامه
واذا اعتقت المنادمة صارت سببادانيا وكانت رضاعاثانيا لابل رضاع الخمر
أقوى فى حكم الفتوة سببا من رضاع الدر لان رضاع اللبن معروف الامد
منقطع المدد ورضاع الشراب ربمادام الشهر والدهر واستوعب المدة
والعمر ولان رضاع اللبن يحرم من طريق النكاح وان كان يعقد قرابة
ووصلة من طريق الولاده فهو يعطى من حيث يمنع ويصل من حيث
يقطع ويبعد سببا من حيث يقرب نسبا ورضاع الشراب يصل من كل
جوانبه ويعقد حرمة من جميع مذاهبه ولان رضاع اللبن يقع بين الاطفال
الذين لا يتبينون أحوالهم ولا يعرفون ماعليهم ممالهم ورضاع الشراب
لا يقع الا بين الرجال الذين يعقلون كيف يصلون وكيف يقطعون

اقرا السلام على الامير وقل له * ان المنادمة الرضاع الثانى
ان المنادمة التى نادمتنى * رفعت عنانى فوق كل عنان

وأقل ما فى هذا الحال أن أشكرها فعلا من حيث أشكرها قولا وهو أن
أزور تلك الحضرة الجليلة كما تزار عظام المشاهد وأعتكف فيها كما يعتكف
فى المساجد فانها وان لم تكن مشهد حرم وصلوات فانها معتكف عطايا
وصلات وان لم يكن صاحبها امام خلافة يرجى ثواب زيارته فى الآجل فانه
امام سماحة ينال ثواب زيارته فى العاجل ولكنى رجل قد طال ذيلى
وازدحم شغلى وقيدت السن رجلى فلا أقل الآن من أن أوجه رسولى
وهما قلبى ولسانى على ظهر مركبى وهما قلمى وبنانى وأن أنظم فى شكر
نعمة الامير قلائد الا السارق يسرقها ولا النار تحرقها ولا الماء يغرقها
كل ناطق عندها أبكم وكل شاعر بازائها مفحم وسأبلغ من ذلك ما يقيم لى
عذرا ويصير لى ولعقبى عدة وذخرا ان شاء الله تعالى

(وكتب)

(اليه لما ولى قومس)

كتبت والولاية التى شرفت بالامير ولم يشرف بها وتسببت له ولم يتسبب اليها

وصغرت قياسا الى شانه من حيث كبرت قياسا الى مقادير أهل زمانه قد بلغنى خبرها فجررت ذيلى فرحا ورحت لا تحملنى أعوادسر جى مرحا ووددت لو شربت طربا عليه البحر المحيط قدحا وأين بالامير عن افتراع المنابر وقيادة العساكر وهو من أهل بيت يحكم بالملك صغيرهم ويشيب عليه كبيرهم تقر باسمائهم المنابر النافره وتسكن باعلامهم البلاد الشاغره لم يرضعوا الاثدى ولايه ولم يروا الاتحت رايه ولم يغتذوا الا فى حجر سياسة ورياسه فلا زال يترقى ذروة رتبة بعد رتبه ولا زال اسمه يفترع خطبة بكرا بعد خطبه ولا زال الملك سليله ونتيجه والعز صنيعته وخريجه حتى يملك الاقاليم ويفترش السرير العظيم فيعطى القوس باريها ويملك الزعامة من يليق بها ويحسن فيها

(وكتب)

(الى أبى طاهر وزير أبى على بن الياس بكرمان)

كتبت ولما اتصل بى خبر المصيبة لم أملك من قلبى الاما شغلته بها ولا من عينى الاما بكيت به لها ونزل بى ما ينزل بمن قارعه الزمان عن واحده ونازعه الموت فى بعض نفسه وزل عن يده الذخر الذى ادخره لصروف الزمان وسلب السيف الذى لم يزل يعده للقاء الاقران ثم تنجزت موعود الله تعالى بالصبر والعزاء ثم بالتسليم للقضاء وقلت انا لله وانا اليه راجعون كما أمرت وانتظرت الصلاة والرحمة كما وعدت ولقد كانت المصيبة بفلان جراحة لا دواء لها الا الصبر وخسرا نا لا جبر له الا الاجر ولقد سلبته علقا من أعلاق الفضل لا يخاف من حصله غبنا ولا يستعظم له ثمنا (سهم المنايا بالذخائر مولع) ولقد طلق من الدنيا عروسا غداره مكارة غرارة ختاره طالما قتلت بعلها وخانت أهلها فها أنا أيد الله تعالى الشيخ جريح يد الدهر ولا طبيب لمن جرحه وسليب يد الموت ولا ضامن لمن اجترحه وقد دفنت يدى بيدى وبكيت على عينى بعينى وأفردت فى نفسى عن نفسى والرزية بمثل فلان رزايا كما أن العطية كانت ببقائه عطايا ولكن لا كثير من المصائب مع التأدب بأدب الله تعالى كما لا قليل من المواهب مع الايمان بالله

الله تعالى رحم الله فلانا الجامع لمحاسن الآداب الشيخ حلما وان كان غض الشباب فلقد احتضر وهو فتى السن واهتصر وهو رطب الغصن وكسوف البدر عند تمامه أوقع وكسر العود عند اعتداله أوجع

ان الفجيعة بالرياض نواضرا * لاشد منها بالرياض ذوابلا

(وكتب)

(الى حاجب الوزير أبي القاسم بن عباد حين ورد خراسان وحل اليه نزلا)

حملت الى الخزانة عمرها الله تعالى ببقاء الحاجب كما عمر حالي ببقاء الصاحب شيأ من الطين الخراساني والشراب الخسرواني فليتفضل بقبوله فان الطين تراب لا يعد وسعار لا يرد على أني لو حملت اليه حياتي واهديت اليه صومي وصلاتي وكتبت في صحيفته حسناتي وقاسمته عمري وجعلت له حظي من سعود دهري ووضعت ذلك كله بين طبق من قلبي ومكبة من صدري لما كنت الا بالعجز موسوما وعلى التفريط ملوما وانما جلبت هذا اليسير الحقير النزر الصغير من داره الصغرى الى داره الكبرى وحولته الى يده اليمنى من يده اليسرى فان رأى الحاجب أن يتواضع بنا ويخفض جناحه لنا فعل ان شاء الله تعالى

(وكتب)

(الى أبي محمد العلوي)

كتابي عن سلامة أسأل الله تعالى للسيد مثلها بل لا ارضى له ضعفها ووصل كتاب السيد المشحون لطفا وبرا المفيد فخرا وذخرا الموجب الحمد لله شكرا الذي كل حرف منه فائدة بل كل نكتة بل كل فقرة بل كل تصنيف وخطبة تشغل بتخليدها الاقلام ويحفظها الافهام ذكر السيد في كتابه أن أهل اصفهان تزاحموا عليه واستعاروا كتابي اليه وذكروا اني اكتب فمن أخذ قلما ونثر كلما وهذا باب ماقرعته وشأن ما اتبعته وصناعة مادرت حولها فان كان الاقبال ساق الى هذه الغريبة والاتفاق أعطاني

هذه الرغيبه فما أردّ نعمة الله تعالى اذا صارت الىّ ولا أدفع فى صدر السعادة اذا طلعت علىّ ولاشك أنّ هذه ثمرة محبتى للعترة الطاهره صلوات الله تعالى عليهم أجمعين . وقد كنت أذهب فى ردّ العدوى الى حكم الخبر فى العدوى والهامة والصفر والآن اتهمت من رواه وكذبت من حكاه وتأولت أنّ السيد أعدانى بكتابته وأعطانى بعض براعته بجمع اسمى مع اسمه وبجعل فهمى جنيبة لفهمه الحاجة التى استبطأت فيها السيد انما يخرج كلامى مخرج الادلال وليس بعجب تسحب الشيعىّ على الرافضى ولا تحكم المحب على السخىّ سمعت كلام فلان وبمثل ذلك الكلام يتسلى الاخرس على بكمه ويفرح الاصمّ بصممه ولمثله رزق الصمت المحبه وأعطى الانصاف الفضيله ولكن ماذا أقول فى معايب قوم هم جيرانى فى الدار واخوانى فى النجار وبيضتى التى تفلقت عنى وغيضتى التى التفت حولى وبلدهم عشى الذى درجت فيه وبيتى الذى خرجت منه فمحاسنهم الىّ منسوبه ومساويهم علىّ محسوبه

وهل أنا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية أرشد

وبودّى لو وجدت لهؤلاء القوم فى درج الفضل أدنى مرقاه ورأيت لهم فى مساعى السبق اقلّ مسعاه فجعلت الخطوة ميلا وادّعيت القليل جليلا ولكن ادّعاء الفضل من غير معونة نقيصه كما أنّ الاقرار بالنقص من حيث الاعتذار فضيله والقتال عن العسكر المنهزم ضرب من المحال وتعرّض لسهام الآجال

ولو أنّ قومى أنطقتنى رماحهم * نطقت ولكنّ الرماح أجرّت

على أنى أحمد الله تعالى اذ كان قائل ذلك الكلام فى الاصول كلابيا وفى الفروع ناصبيا ولو كان لمنطقه حظ من الطراوة والطلاوه او برز كلامه فى معرض من القبول والحلاوه لصار شبكة من شباك الشبهه وبابا من أبواب الضلال والفتنه وحبالة من حبائل الشيطان ورقية من رقى البهتان وافتح علينا بابا يفسد المذهب ويورث التعب والله تعالى ألطف بالاسلام وأرحم للانام

للأنام من أن يعطى عدوه سلاحاً يغلب به أولياءه وينصر به أعداءه ذكر السيد شهادة الوزير لي واعتداده بي وهذه نعمة طالما تدرعت جمالها وتسربلت سربالها وجررت أذيالها لازال الفضل يبقاء ذلك السيد ثابت المناكب مقبل الجوانب عامر الطرق بالجائي والذاهب ولا سلب الله تعالى الزمان جماله بذكره ولا العباد دنياهم بطول عمره ولازال جاهه مبذولا وبابه مأهولا وفضله مأمولا وسيفه على أعداء الله تعالى مسلولا وعدوه بحسده مقتولا ولازال الشرق يفاخر به الغرب والعجم تفاخر به العرب بل لازالت اصفهان تفاخر به البلاد وأهلها يباهون به العباد

وهذا دعاء لو سكت كفيته * فانى سألت الله فيه وقد فعل

ولم يبق الا أن يرزق عمراً يسع نعمته ودهراً يساوى قيمته فان هذا الزمان يضيق عن نفسه وان كان يتسع لشخصه وكان الله تعالى لم يخلقه الا ليعلم خلقه كيف يحيي ميت الكرم وكيف يرد ذاهب الهمم وليلزم حجته من جحد احياء الموتى وقال بقدم الدهر والدنيا فان من قدر على أن يحيي ميت الخلق قدر على أن يحيي ميت الخلق وليكذب عبيد بن الابرص فى قوله (وغائب الموت لا يؤوب) ولبيد بن ربيعة فى قوله

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

فقد رأينا من يعيش فى كنفه الاعداء فكيف الاولياء ويرد بحره المفحمون فكيف الشعراء

(وكتب)
(الى قاضى القضاة)

كتابى الى القاضى عن سلامة من الله تعالى بها بعد اليأس منها وقربها بعد البعد عنها وأهلى لها أضعف ما كنت أملا وأسوأ ما كنت عملا وأقبح ما كان بينى وبين الله تعالى أثراً حين انحلت عقدة الرجاء ولحظتنى عين البلاء وأمرضنى طبيب الاطباء وبعدت على مسافة الشفاء وتقاصرت عن علاجى خطوة الدواء وأفلست من العافية كما أيسرت من الحمى وقربت من

الآخرة كما بعدت من الدنيا ووقفت على جسر قدامه الوفاة وخلفه الحياة وتطاولت الى المنية عن عين كريه نظرها حديد بصرها وعرفتني الايام أن ابن آدم ضعيف التركيب منتقض الترتيب دواؤه داؤه وبقاؤه فناؤه وأعضاؤه أعداؤه كفاه موتا أن يبقى فيهرم وحسبه داء أن يصح ويسقم ثم أراد الله تعالى أن يري عبده رحمته بعد ما أراه قدرته فأقامه من صرعته واستله من مخالب علته وأزال عنه يد المنية بعد ما اشتبكت به فلله الحمد ربا عفوا غفورا رحيما شكورا يأخذ حكمة وعدلا ويعفو رحمة وفضلا ويمرض عبده ليعتبر ويعافيه ليشكر ثم لا يغلق باب الدعاء ولا يحسم مادة الرجاء ولا يديم مدة البلاء وصلى الله تعالى على سيدنا محمد خاتم الانبياء وعلى آله الطاهرين الازكياء كان ورد على كتاب القاضي فاستظهرته حرفا حرفا وقبلته ألفا ألفا وضممته الى الصدر والنحر وسجدت له حين رأيته سجدة الشكر وما أطلق سبب تأخره كان عن الاشدة شوقي اليه وفرط حرصي عليه فان الحرص شوم والحريص محروم وهذه عادة الدهر معي وقديم صنعه بي فانه اذا علم أني أحب أمرا ناطه بالعيوق ووضعه موضع بيض الانوق وأبعده وهو غير بعيد وشدده وهو غير شديد وأنا بعد اليوم لا أقترح الدهر بما أقترحه عليه وأطلبه لديه فلعلي أخدعه عن طبعه وأحتال عن سوء صنعه ومن ذا يخادع الايام أو يغالط الحظوظ والاقسام فلان قد ولي قضاء كذا عزه الله تعالى بركة ولايته ولا جعل هذا الامر اقصى غايته وجعل ولايته منفعة وعزله فرغا ودعة ولا جعل شغله حضره ولا فراغه عطله اجر الله تعالى القاضي على المصيبة بفلان فلقد كنت بحياته قرير العين شديد الركن يؤنسني ان جمعت بيني وبينه بقعة ويسرني أن تضم اسمي الى اسمه صنيعة وكنت أعده لي جناحا وسلاحا وفي ظلمات الخطوب مصباحا وصباحا فغصبتنيه دهر طالما غصب فلم يطالب وسلبتنيه قدر طالما سلب فلم يعاتب ولولا كراهتي للاعتراض على القضايا والتحكم على المنايا لقلت أيموت فلان الفلاني ويعيش فلان الفلاني خطب منكر وبدل أعور وسبحان

وسبحان من له في كل قضية ألطاف نعرفها فننسبها الى فضله ونعمته ونجهلها فنردها الى عدله وحكمته فانما كان نجما من نجوم الادب هوى أو غصنا من غصون العلم ذوى فانا لله وانا اليه راجعون ثم انا لله ورحم الله المتوفى رحمة تغسل أوضاره وتحط أوزاره وألحقه بالطيبين الطاهرين من آل يس وفرق بينه وبين النواصب والضالين الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولا زال القاضي يعزى عن أحبابه ولا يعزى عنه ولا به ولا كان عليه طريق للنوائب ولا على جنبته معبر للمصائب

(وكتب)

(الى قاضي سجستان حين نكبه أميرها)

اذا ما الدهر جر على أناس * كلاكله أناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

أما بعد أيد الله تعالى القاضي فانه لم يحسن الى غيره من أساء الى نفسه ولم ينصر أصدقاءه من خذل حوباءه وانما يحب المرء أخاه بما فضل عن محبته لروحه التي له خيرها وعليه ضيرها وكانت محنة القاضي محنة شملت الانام وخصت الكرام ووجب على كل من اشتم روائح العقل وميز بين النقصان والفضل أن ينفطر لها ألما وان يبكي عندها دما وخلص الي من ذلك ما أضحك مني الاعداء وأبكى لي الاصدقاء حتى رحمني من كان يحسدني وحتى عجب من جزعي من كان يصبرني وحتى غضضت طرفا طالما رفعته وقبضت بنانا طالما بسطته وحتى عزيت كما يعزى الثكلان وسليت كما يسلى اللهفان وأنا بعد ذلك استصغر فعل نفسي وهي بجزعة هلعه وأستقل سعي عيني وهي سخينة دمعه وكان يجب على مقتضى هذه الجمله وأساس هذه البنيه أن أحضر مجلس القاضي فأصابره نهارا وأساهره ليلا وتكون المحنة بيني وبينه أحملها عنه ويحملها عني ولكني علمت أن والينا هذا رجل ينقاد الى الذنب الخفي ويتغابى عن العذر الجلي وله أذنان واحدة يسمع بها

البلاغات وهي كاذبه وأخرى يصم بها عن المعاذير وهي صادقه وليس بينه وبين العفو نسب ولا له الى التثبت طريق ولا مذهب ولو تعرضت لسخطه بعد ما عرفته من شططه لتحملت دونه الوزر في ظلمي ولكنت مقدمته الى ذمتي ومن قعد تحت الريبة ركبته ومن تعرض للظنة نالته

ومن دعا الناس الى ذمه * رموه بالحق وبالباطل

وأقل ما كان ينبعث من حضوري أن يشب هذا الجواد وثبة يصون القاضي عنها ويبتذل لها فأكون قد ضررت نفسي ولم أنمع غيري فاذا بالمحنة قد تضاعفت على القاضي ضعفين وتكررت عليه كرتين يرى بولي من أوليائه داء لا يقدر على دوائه ويرى وقودا لا يصل الى اطفائه ويتبين في حالة متصلة بحاله ثلمة لا يمكن سدها ومحنة لا يستوي له ردها فلما مثلت بين تخلفي آمنا وحضوري خائفا عدلت بين طرفي الرويه ووزنت بين مقداري المحنه فرأيت أن أميل مع السلامه وأقنع من العمل بالنيه وأغتفر عهدة التفصيل لصحة الجمله فغيبت وكلي غير جسمي شاهد وتميزت وما أنا الا مشاهد وبعدت وقلبي قريب وباينت وقلبي سهيم وأغضيت على عين كلها قذى وانطويت على صدر كله شجا وانصرفت بقلب ساخط راض وأغمضت بجفن ضاحك باك وقلت

فان تسجنوا القسري لا تسجنوا اسمه * ولا تسجنوا معروفه في القبائل

ولقد نسجت في ذم الظالم حللا لا يبليها الماء ولا يجففها الهواء ولا تغطي عليها الظلماء والمغبون من احتقب الاثم والغارم من غرم العرض والرابح من محنته فانيه ومثوبته باقيه ولو أنصف الظالم لكان يعزى ولو أنصف المظلوم لكان يهنى جعل الله تعالى هذه الحادثة بتراء عقماء ليس لها مدد ولا ليومها غد وجعل العمل بها آخر عهد القاضي بالعسر وخاتمة لقائه لريب الدهر ولا حرمه فيما نزل به مثوبة الصابرين ولا أخلاه فيما بعده من مزيد الشاكرين برحمته

(وكتب)

الى

(الى مسكويه وقد تزوجت أمه)

العاقل أعزك الله تعالى لا يرى المحنة اذا تخطت دينه محنة ولا يرى النعمة اذا تعلقت بذنب خطيئة نعمه ولا يريد الشرف الا بالتقوى ولا يرى الضعة الا ما وضع من رتبته فى الدار الاخرى وبلغنى ما اختارته الوالدة صانها الله تعالى فحمدت الله تعالى الذى رزقك والدا يلزمك حق أبوته ووعدك أخا لا يحملك حق اخوته وقد كنت اسأل الله تعالى أن يبارك لك فى حياتها والآن أسأله أن يجعل لك بوفاتها فان القبر اكرم صهر وان الموت استر ستر ولا تذهب نفسك حسرات على ما سبقك عليه الدهر وغلبك عليه الرزق فلا حيلة فيما حل الله ولا مضايقة من حيث وسع الله وللانسان اباء والحمد لله الذى كان العقوق من جهتها ووقع الجفاء من جنبتها فانك بررتها صغيرا وبلغت مرادها كبيرا فاجتمع لك بران ووقع لك على الله أجران

(وكتب)

(الى صديق له على ديوان الخراج)

الايام أيدك الله تعالى بينى وبينك تراجمة لى عن صحة وفائك وشهود عندى على صدق اخائك وأقل حقوقك على يلزمنى أن لا أشغل لسانى بغير شكرك ولا قلبى الا بذكرك ولو تجاوزوا طبقات أهل مودتك فى ميدان الثقة وتنازعوا خصل الانس والثقة رجوت أن أكون سابقا ليس له سابق ولا يذكر معه لاحق وأن تجلى الغاية منى عن محبة مرباة بالوفاء وعن شكر مرضع بالدعاء وقد بلغنى خبر سعيك لفلان فى العمل الذى هو دون قدره وان كان فوق أعمال عصره فشكرتك عنه وان كان شكرك أوفى وأملا وبايفائك حقك أحق وأولى وأردت أن أكل شكرك اليه ولا أتطفل فيه عليه فكرهت أن تطوى صحيفة الشكر ولم يجر لى فيها اسم وأن تختم جريدة المشاركة ولم يكن لى فيها قسم فذكرته لك وأنت له أذكر وشكرتك عنه وهو لك منى أشكر على انى أرغب بذلك الحر عن التلطخ بأوضار الاعمال فانه بامر الق

أقدام الرجال وضنابه عن مخاليط الايام وصيانة لحله عن مدانسة الاوهام ونعمتك عليه مقتسمة بيني وبينه بل أكثرها لي دونه فاظنك بعارقة واحدة تكسلك شاكرين وتسع لذلك حرين وجديرين هطلت عليه سحائب عنايتك ورفرفت حوله أجنحة رعايتك أن ينبو عنه سيف الزمان مفلولا ويرجع عن ساحته عسكر الزمان مهزوما والله عز وجل أسأل أن لا يحرمك نعمة عبد اليك بها عنق ودود ومنة تنفقأ عنك عين حسود أخبرت أنك أيدك الله تحدث نفسك بزيارتي وانه ليسرني أن أخطر ببالك ويسوءني أن أصير زيادة في أشغالك ولا تجشم نفسك فان خيالك في كل ليلة نائب عندي عنك وان لم يكن فيه ولا في الدنيا كلها عوض لي منك

﴿ وكتب ﴾

* (الى أبي محمد العلوي) *

كتابي عن حضرة الوزير وأنا راتع في فضله مستدر من الايام بظله معترف بنعمة الله تعالى علي به وقد كنت أشكو الى السيد ما منيت به من ضعف احتمالي لاعباء منن الوزير علي وسوء مجاورتي لاحسانه الي وكنت أخشى أن أكون سببا لحرمانه غيري من نزاع الآمال اليه ووفود الشكر عليه فيعتقد أن كلا منهم يكفر النعمة كفري ويستر وجه الصنيعة ستري (والكفر مخبثة لنفس المنعم) فقصدته هذه الكرة لاقيم عذري وأقوم ببعض شكري وأحط عن رقبتي تلك الاعباء التي قد تحتم طليحا لا بل قد حدت نحوه طريحا فما هو الا أن وردت حضرته حتى انثال علي من عطاياه الغزار ومن نعمه الغرائب والابكار ما صير أمسي أبغض يومي الي ويومي أكرمهما علي حتى لم تبق زاوية من زوايا الافضال الا أحال لي منها قصدا وأجرى باسمي عليها عهدا ولولا ان بعض الشاكرين يسلف الشكر قبل أن يستحق عليه وينتحل البر قبل أن يسدى اليه ويجعل ذلك استجلاب رزق وايجاب حق واقامة سوق لكنت أقتصر على هذا المقدار شكرا ولا أضاعفه عشرا ولكنت لا أرجع عن هذا الميدان الواسع بمقدار هذا الطلق ولا أرمي هذا الغرض البعيد

البعيد بمثل هذا الرشق بل كنت لا أنصرف وفى ا لجفير نبل ولا أنقطع وفى القريحة فضل ولا أرضى من نفسى الا بأن أصبح محسورا وأمسى مبهورا

فقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

وما ظنك بسيد برجل ليس لعطائه اسم غير الجزيل ولا لفعاله نعت الا الجميل أول لقائه بشر وآخره بر ومقدمة فعاله الى زواره بشرى وساقتها نعمى أكثر ما يكون نوالا أشد ما يكون السائل سؤالا وأكثر ما كان الطافا أكثر ما كان الزائر الحافا وأسهل ما كان حجابا وأطلق ما كان وجها أزحم ما كان شغلا وأضيق ما كان وقتا وأخصب ما كان نوالا أجدب ما كان مالا وأعدل ما كان فى القضيه وأحكم ما كان بالسويه أخص ما كان المحكوم عليه وسيله وأنفذ ما كان حيله وأوسع ما كان نطاقا أضيق ما كان الخطب خناقا وأسمح ما كان حلما أعظم ما كان الجانى جرما وأجرأ ما كان مقداما أهول ما كانت الحروب نحسما والعساكر عظاما وأضحك ما كان سنا أشد ما كان قلبه حزنا وأسمح ما كان بماله لمن استفاد بجماله لا يصارف فى عطائه ولا يحاسب على آلائه قد تكافأت أقسام فضله وتناظرت محاسن قوله وفعله فلم يشغله السخاء عن الشجاعه ولا صرفه الحلم عن السياسه ولا ثنى عنانه علم الحديث والاثر عن علم الكلام والنظر ولا قدح فى هيبته ما أشربته القلوب من محبته ولا بخس الرياسة حقها من حيث وفى العشرة حظها فهو القوى من غير عنف واللين من غير ضعف والشجاع الا انه سخى والحافظ الا انه ذكى واللغوى الا انه نحوى والسلطان الا انه تقى والسائس الا أنه اريحى يسكت حلما لا حصرا وينطق علما لا هذرا ويعطى كرما لا غفله ويمنع نظرا لا تقتيرا ويقدم شجاعة لا خرقا ويتوقف حزما لا جبنا كل حسنة من حسناته واقفة على حد ما دونه تفريط ولا وراءه افراط يخرج مكارمه فى أقصد الافعال ويزن أفعاله فى كفة الاعتدال

لا عيب فيه يعاب الا أنى * أمسى عليه من المنون شفيقا

بل عيبه انه فى زمان لا يسعه وفى عالم لا يستحقه وبين قوم يفعل ولا يقولون
ويحسن ولا يستحسنون ويبصر ولا يستبصرون ويروى ولا يروون ومنع
واجب الاستحسان قطع لمواد الاحسان وتضييع حقوق النعمه داعية
من دواعى النقمه وأقل ما عنده أن عطاياه قد صيرت المفحم شاعرا وجعلت
العفيف سائلا كالمنهل يقصر رشاؤه ويعذب ماؤه فيشرب منه العطشان
نهلا والريان عللا وكالطعام يحسن فى العين ويطيب فى البطن ويخف على
القلب فيأكله الجائع تغذيا والشبعان تفكها والحمد لله الذى أرانى
بهذه الحضرة الاغنياء يعملون عمل الفقراء والملوك يحترفون حرفة الشعراء
وما رأيت حضرة أكثر منها داخلا راجيا ولا خارجا راضيا ولا أجمع
فيها بين وجهين مختلفين من بلدين متباعدين قد فرق بينهما الاصل والنسب
وجمع بينهما القصد والطلب فوردا وهما أعرى من الحيه وصدرا وهما
أكسى من الكعبه ودخلا وهما أخلى من الراحه وخرجا وهما أغنى من
الشمسه حتى لقد صارت مجمع الرجال ومثابة العطاء وملقى الرحال وموسم
الشعراء وقرارة ينصب اليها العلم والادب وقبلة يهوى اليها العجم والعرب
وما فيهم الا من يود لو أصبحت جوارحه ألسنة تشكر وقلوبا تحفظ وتذكر
هذا وفى شواهد أحواله ما يغنى عن استماع أقواله وشاهد العيان أقوى
من شاهد البيان ودليل البصر أوضح من دليل الخبر وناوس كسرى
أمدح من شعر زهير بن ابى سلمى ولو جحدوا كذبتهم العواقب ولو سكتوا
أثنت عليه الحقائب جمع طبقات أهل الفضل رجلان امّا ظاعن وامّا
بحضرته قاطن فالظاعن يحسد القاطن والقاطن يستبطئ الظاعن فقد
نفضت اليه البلاد رجالها وأبرزت له جمالها وألقت له الارض أفلاذ كبدها
وحسبك بالغلاء جالبا وبالاحسان جاذبا ومن صادف ثمرة الغراب
لم يفارقها أبدا (ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا) واقد أصلحنى هذا
السيد وقربنى الى الناس بل أبعدنى لانى بعده لا أستام الا العظيم ولا
أرعى الا الجميم ولا أستكرم الكريم ولا ألوم اللئيم لان الناس كلهم

فى

في عيني بعده لئام فكيف أعيب ما اجتمع عليه الانام ومن أجدى مراده
وصادف من الماء والكلاء مراده لم يشرب الامن عفوه ولم ينل الامن
صفوه ولم يلق دلوه الا في جمه ولم يرتع الابين غدير وروضه فها أنا أصبح
وأمسي بين السرور والجذل وأتقلب بين العل والنهل وأردد الطرف
بين الخيل والخول قد استوفيت على الايام حواصلي وبقاياي وضممت
على مطالبي منها يمناي ويسراي وأصبح أعدائي وهم بالحاجة الى أوليائي كما
أصبح أصدقائي وهم بالحسد لي أعدائي فلا طريق الى الفقر ولا منفذ في
لسهام الدهر والى الله تعالى المعذرة من لساني العي وخاطري البكي وقد
أسأت مجاورة هذه النعمة بكفرها وسودت وجه هذه العارفة بقلة شكرها
وسوء الشكر أول منازل الكفر وقلة التهدي للنشر والاذاعه أول طبقات
الجحد والاضاعه وقد رأيت بهذه الحضرة أقواما كنت شاهدتهم على باب
سيف الدولة ومنهل الصبا عذب وعود الشباب رطب وذكرت بهم ما ربي
هنالك وأياما سلبتها سلبا ونزعت من يدي غصبا ودهرا كأني كنت أقطعه
وثبا فلما رأيتهم قد هاجروا الى هذه الحضره وجعلوها من بين الدنيا هجيره
علمت أن الكرم يتوارث بين الكرام وانه انحدر الى أصفهان من الشام
وأن العلم والادب يتيمان ليس عليهما غيره وصي وأن المروءة والسيادة
أيتام مالهما سواه ولي وأن المغرب لسيف الدولة رحمه الله والمشرق لحضرة
الوزير أيده الله

أرض مصردة وأرض تثجم * منها التي رزقت وأخرى تحرم
واذا نظرت الى البلاد رأيتها * تثرى كما تثرى الرجال وتعدم

فأما آل أبي طالب فانهم ينزلون منه على سيف التشيع وسنانه وعلى يد الحق
ولسانه وما ضرهم مع حياته أن لا يعيش لهم الاشتر وما ضرهم مع عطائه
أن لا ترد عليهم فدك وخيبر غيرة منه على الشرف أن لا يصان عن الابتذال
رحله وأن لا يحفظ فيه وله أهله ذهابا بنفسه عن اتباع الانام وتقليد الايام
في اهانة الكرام واكرام اللئام

ان الكريمة ينصر الكرم ابنها • وابن اللئيمة للئام نصور

فلا جرم أن الايام تتطفل عليه من السعود بما لم يقترحه عليها وتخرج له من خبايا الصنع الجميل ما لم يقدره لديها لما رأته يخرج زكاة نعم الله تعالى عليه ويستظهر باحراز وداثع الله تعالى لديه فعنده في كل يوم نعمة تصغر النعم وتتعب في اداء شكرها اليد والفم

وما بلغت آمالنا منه رتبة • نراها رضا في قدره المتجدد

وقد علم السيد أنه ليس من فرق الاسلام فرقة الا وقد هبت لاهلها ريح ودالت لها دولة كما اتفق المختار بن أبي عبيد للكيسانيه ويزيد بن الوليد للغيلانيه وابراهيم بن عبيد الله للزيديه والمأمون لسائر الشيعه والمعتصم والواثق للمعتزله والمتوكل للنواصب والحشويه وما بلغنا أن أحدا من أصحاب تلك الدول زاد في عدد تلك النحل ولقد قتل المختار أهل الكوفه وبعث كتبه ورسله الى أهل البصره فما قدر أن يزيد جمجمة واحدة في عدد جماجم الشيعه ولقد رفع المعتصم سوطه ووضع سيفه وصلب وصادر وسلب ووعد وأوعد فنباعنه الدهر بحاجته وقامت العوائق عليه في وجه بغيته وهذا الرجل لم يزل يستدعي بقوله وفعله ويستعين على عمارة المذهب بجاهه وماله ويجرد لسانه والسيف مغمد ويغمد لسانه والسيف مجرد حتى اذا علم الله صدق نيته ومضاء عزيمته ورآه لا يريد الارضاه ولا يسلك الا طريق هداه جمع عليه القلوب المتعاديه وألف له الاهواء المتباينه فدخل الجميع دين الله أفواجا وتقاطروا على استجابة الدعوة فرادى وأزواجا فلم يبق في نواحي سلطانه أحد من النواصب الا وقد غاصت عليه الرحمه وخلصت له الدعوه فهو مبتدئ بالدرس قد نبغ أومتوجه في العلم قد بلغ وان أحدهم ليدخل في الحق تحسنا فيجد بركة الدين حتى يعتقده تدينا والناس بالزمان والزمان بالسلطان واذا أراد الله أمرا كان وما أقرب البعيد اذا صادف أسبابا ووافق دعاء مستجابا وما أسهل الصعب اذا حضره التسديد واكتنفته العصمة والتأييد وان رجلا يحيل طباع الزمان

وينقض

وينقض بنية البلدان ويفطم الناس عن عادة المنشا والف الاخوان والآبا ويصير حدا بين النار والجنه وبرزخا بين البدعة والسنه لعظيم حجم الهمه واسع ذرع البسطه بعيد مضرب العزم والمنيه ثابت مناكب الحول والقوه سالك في طريقة لم يسلكها من قبله ولن يسلكها من بعده وشتان بين من يصطاد وحش الفلا وبين من يصطاد قلوب الورى وما أبعد ما بين من يبني البنيان ومن يبني المقالات والاديان وأين من يعمر الرساتيق والامصار عن يعمر الجنة ويخرب النار لا بل أين من يفترع عذارى الجوارى عمن يفترع عذارى المعالي ولكن كل قوم على مقادير هم يدركون وكل حزب بما لديهم فرحون هذه أيد الله السيد شهادة ما أقمتها حتى أعددت لتعديلي فيها مزكين وهما السودد والكرم ونصبت لقبولها مني قاضيين وهما النعم والنقم وكتبت بها سجلا حررته يد الصدق وطبع بخاتم الحق وحضرته من توفيق الله تعالى أذن تسمع وعين ترى فمن رضي بقولي فانما مدح نفسه وزكى حسه وأشرف من الحق من قبله وأحسن من الحسن من فعله ومن غضب فلا أرضاه الله فانما حظ من الحق ما رضاه الله وباب الاحسان مفتوح فمن شاء دخله وحمى الجميل مباح فمن اشتهى فعله وليس على المكارم حجاب ولا يغلق دونها باب

اذا أعجبتك خصال امرئ * فكنه تكن مثل ما يعجبك
فليس على المجد من حاجب * اذا جئته زائرا يحجبك

(وكتب)

(الى تلميذله وقد استعار نسخة رسائله ينسخها فتمادى)

أنت مشغول بنسخ ما استعرته من الرسائل ولا يسع القلب الواحد لكل هذه الشواغل وغيرك من أصحابنا حريص على نسخها ولو كان القلم عينه والقرطاس جبينه والثمن دنياه ودينه فأعرهم أعزك الله تعالى فالى أن تتفرغ لها قد فرغ غيرك منها وحصل اليوم شكر المعير وغدا فائدة المستعير فاذا أنت قد أفدت واستفدت وأبدأت في الربح وأعدت واجعل تعجيل

ورده الينا كفارة لما جنيته من حبسها علينا

﴿ وكتب ﴾

﴿ الى خوارزمشاه ﴾

بعدما كان الامير وسمني من تقريبه لي وتحفيه بي سمة طار في الناس ذكرها وفاح بين العالم نشرها وتوجهت الي المطالب وقصدني الراغب والراهب وصرت مثابة من مثابات الوسائل وصار بابي سوقا من أسواق الحاجات والمسائل نزغ بيننا الشيطان ودب الينا الحدثان وكسدت عند الامير تلك السوق التي لم أشكره في نفاقها ولم أعاتبه على كسادها والامير بكرمه يقيم لي في الظاهر رسم الانعام ويعظم قدر توفره على أصيي من الاعظام والناس يحسبون أن حظي من قلبه حظي من ظاهر تربه وأن محلي من ضميره في المحبه كفاه محلي من ظاهره في الرتبه فلست أعدم كل يوم مستشفعا بي اليه ولا يعلم هو اني عليه ومستعينا بجاهي عنده ولا يشعر أني أقوى أسباب الخيبة له فان رددتهم ظنوا بي الظنون ولاموني وهم لا يعلمون وان أجبتهم ثقلت الامير وظلمتهم أما ظلمي للامير فتعريضه لرد الرسائل واقامته مقام المانع الباذل وأما ظلمي لهم فبيعي المغشوش منهم وتشرفي بمالبس عندي عليهم واني لابغض الظلم من نوع فكيف من نوعين وأكره أن أكون مسيأ الى واحد فكيف الى اثنين وحاجتي الى الامير أن ينزلني من لقائه وبشره منزلتي من مكنون صدره وأن يسمني مع ابعادي عنه كما يسمني بتقريبي منه وأن يجعل هذه الاخرى سبيلا الى لاحقي كما جعل تلك الاولى سببا لغنيمتي فاني شاكر على هذا الجفاء كما شكرته على ذلك البر والاصفاء فان كل اللسان أو تعذر على خاطري الاحسان سرقت من كلام الامير ثم رددته عليه فأكون قد بعثت منه بزه وأهديت اليه ملكه وأصير عيالا عليه في مقاله كما طالما كنت عيالا عليه في ماله

﴿ وكتب ﴾

﴿ الى كاتب صاحب الجيش جوابا عن رسالة مدحه وعاتبه فيها ﴾

فهمت

فهمت كتابك الذى هو أشرف كتاب الحق قد رصع باظرف عتاب على وما كان أحوجك الى أن تجعل كلامك بمائه وتحلى ظرفك الناصع بهائه فلا تشوبه بالعتاب ولا تكدره بمر الخطاب فتكون قد أدبتنا بصمتك وعاقبتنا بعفوك فكمالك سلامالك قراع الحلم دونك فلربما بلغ الاحسان من العقوبة مالا تبلغه الاساءه ودخلت المسرة مداخل تنبو عنها المساءه على أنى ما أجهل منفعة العتاب ولا أنكر مرافقه بين الاحباب ولا أشك فى أنه يطرى خلق الود ويجلو غبرة العهد ويداوى أدواء القلوب ويترجم عن خفيات الغيوب وأنه الانموذج بين الاولياء والاعداء والجسر بين المدح والهجاء والمصلح للعشرة الفاسده والمقرب بين الديار المتباعده ولهذا اشتقت لفظة العتبى وهى الرجوع الى الرضا ولكن اذا كان مصدره عن شكايه ومنبعه عن جنايه ووقع عن فترة فى الود عرضت أو ثلمة فى الانصاف حدثت جمع الشمل وجدد الوصل وصقل ماصدئ من العشره وأزال ماوقع من الفتره واذا كان مصدره عن تجرم تجنى كان مفتاحا لباب العربده ومكدرا لصفو الموده وتريما ناعن لسان القطيعه وانما هو دواء اذا لم يصادف داء استحال داء واذا صادفه كان شفاء وقد كانت هذه الواحدة منك فلتة وقانا الله شرها فمن عاد الى مثلها فتلناه بسم القطيعة وهو أشد الحتوف وضربناه بسيف الهجر وهو أمضى السيوف ولولا انى لا أستخير مقابلتك ولا أرعى معارضتك لزعمت أنك الظالم المتظلم والمجرم المتجرم وانك لما عرفت جرمك وتذكرت ظلمك وعلمت ماوجب عليك من العتاب الذى هو أبلغ العقاب ورأيت أنك قد ارتكبت من القطيعة جريرة قد أحلت عرضك الالسنة الواقعة فيك وأهدفت جانبك للظنون المظنونة بك أخذت أخاك قبل أن يأخذك وشكوته قبل أن يشكوك وبرزت هاربا فى زى طالب وخرجت جانيا فى معرض عاتب وتكلمت بجراءة المنصف وتحتها جور الظالم وأدليت بحجة البرىء وأنت عين الجارم حتى لقد كدت أن تشككنى فى نفسى وتغلبنى على علمى وتجعل لوهمى سلطانا على فهمى لولا بقينى بباطلك ومعرفتى أنك

الاساءة في شغلك والله تعالى المستعان على صديق نحن منه بين اثنتين اذا صارمنا اذاقنا مرارة صده وساءنا بشاعة نقده وصفرت بيننا وبينه وطاب اللقاء وأقفرت بيننا وبينه معاهد الاخاء ودبت لتناوله عقارب القطيعه وهبت علينا وعليه رياح الجفوة الفظيعه واذا صالحنا نسب الينا المظالم وتجرم علينا الجرائم وعلى ذلك فصلته أحب الينا من حربه وبعده أثقل علينا من قربه

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على أن قرب الدار خير من البعد

ذكرت أنك مترجح مني بين وصل واعراض ومرتبك من عشرتي بين انبساط وانقباض ولقد صدقت في الاولى ولا أقول كذبت في الاخرى سقى الله أيامنا التي عاشرتنا فيها عشرة قصرت عن تناولها يد الدهر وطرفت عن ملاحظتها عين القطيعة والهجر وجلت عن أن تثلمها أنياب السعاه ونبت عن أن تمضي فيها معاول الوشاه حتى لقد دخلنا من الانس مداخل لا تطردها الحشمه وقتلنا من الوصل مرائر البين والغيبه حتى اذا أمنت عليك الدهر الذي لا يؤمن وائتمنت عليك العيش الذي لا يؤتمن خالفتني الى الودة فهدمت منه ما بنيته وسبقتني الى الوصل فعوجت من أطرافه ما سويته وأبرزت مصون الوفاء للغدر ووضعت ربقة الاخوة في يد الدهر وسلطت على ما زرعته يد الوفاء حاصدا من الجفاء وذكرت بعد هذا كله أني أستاذك في الهجران والصد وتلميذك في الوفاء وحسن العهد وأنك عرفتني ثم أنكرتني واستلنت مسي ثم استوعرتني وهذه دعوى قد سلمت أولها وأنكرت آخرها وأنا فيما عرفته لك ولست فيما أنكرته عليك فان العمر أقصر مدته والزمان أصغر مسافته من أن أخترمهما معك بالعتب والعتاب وأستهلك نفسي منهما ومنك من تكليف الابتداء واقتضاء الجواب فان المودة اذا كانت لا تنبعث الا بالاستبطاء ولا يمشي امرها الا بالعتب والاشتكاء كانت كالعلق النفيس يحتوى غصبا ويؤخذ سلبا وكان المطالب فيها كالمصادر على قلبه وكالمستنزل كرها عن حبه وأنا بعد هذا أبرأ اليك من عهدة خاطرى

خاطرى العليل ولسانى الكليل وكيف ينبعثان لى فى عتابك وهما مقصران فى مدحك وكيف يسرعان فى حربك وهما بطيآن فى صلحك هذا وطريق مدحك نهج قصد وطريق عتابك وعث وعر وجانب صلحك ورق مشرق وجانب حربك مهول غلق وانى لآخذ القلم لاكتب به عتابك فينتطى على ويسقط من يدى وكيف تساعدنى بنانى على ما يخالفنى فيه جنانى وكيف يطيعنى بعضى فيما يعصينى فيه كلى ولو كنت أحمد بن يوسف فى البلاغه وعبد الحميد بن يحيى فى اتساع الكتابه وجعفر بن يحيى فى الاختصار وأبا الربيع فى التوسع والاكثار وأبا العيناء فى المعارضه وأبا العتاهية فى البديهه وابن المعتز فى التشبيهات وأبا نواس فى الخمريات والطرديات والعتابى فى المعاتبات والنابغة فى الاعتذارات وصريع الغوانى فى الاستعارات والفرزدق فى الفخريات وجريرا فى المهاجاة وغلبت فى المخاطبة صعصعة بن صوحان وقعت فى الفصاحة خالد بن صفوان ونطقت بيتيمة ابن المقفع مرتجلا وأتيت بعجوز آل رقبة مبتدعا وبعذراء آل خارجة مقتضبا وضرب بى المثل فى المقامات لا بسحبان وائل وبوهى به فى العى عندى لا بباقل وحفظت حفظ الشعبى وحاضرت محاضرة ابن القرية الغرى وأبدعت ابداع أبى تمام الطائى ووعظت عظة الحسن البصرى وجادلت جدل النظام فى الكلام وصنفت تصنيف الجاحظ فى الجد والهزل وأربيت على اياس بن معاوية فى الذهن والعقل وبهرجت الاصمعى روايه وزيفت أبا عبيدة حفظا ودرايه وعلمت أمير المؤمنين عليه السلام الحلال والحرام ولقنت شريحا القضاء والاحكام وصرت الذى زاده الله بسطة فى العلم والجسم ووفقت توفيق سليمان فى الحكم وأخذ عنى بطليوس علم الهيئه وأرسطاطاليس علم الفلسفه وبلنياس باب الطلسم والحيله وقرأ على سيبويه نحو البصريين والفراء نحو الكوفيين واختلفت الى الهند فى تعليم الحساب ودرس على أبو عثمان المازنى علم التصريف والاعراب واقتبس منى الخليل عروض الشعر وكان هاروت وماروت تلميذى فى السحر وضرب

على قالب خطى خط ابن مقلة وتوارثت الكتابة أهل بيتى كما توارثها بنو ثوابه وأمليت على ابن الكلبى شجرة النسب وعلى أبى عمرو بن العلاء أيام العرب وأوتيت الحكمة وفصل الخطاب وكنت الذى عنده علم من الكتاب وعددت فى الراسخين فى العلم عدا وقال لى موسى هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا ثم حملت بعد هذا كله على أن يمضى بى فى عتاب الاخوان لسانى أو يجرى فيه بنانى لقصر عن ذلك عنانى ولارتبك فيه عقلى وبيانى ولعييت والتوى مى وانقطعت واختلى وما أعتذر الى أحد من عيبين بايت بهما وخلقين ركبت منهما جبنى عن الاصدقاء وجرأتى على الاعداء ورأيتك أيدك الله تعالى قد تواضعت لى فيما تجليبته من الفضل الذى لو صح لى لكنت فيه جنيبتك ولسلكت فيه طريقتك وأنت بحمد الله تحسن أن تأخذ ما فوقك مما تحتك وأن تمدح نفسك بما تمدح به غيرك وأن تتواضع وأنت ترتفع من حيث يرتفع غيرك وهو يتضع وأن تحصل فى المراتب الكبر من خص غيرك الكبير ولست أقول انك صادق فأدعى لنفسى فضلا ولا انك كاذب فأناقض لك قولا ولكنى أضع بيننا قول الاول

وعين الرضى عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدى المعايبا

ولولا أنى أكره أن تنسب جميعا الى التقارض فى الثناء وأن تقعد تحت قولهم من ضيق الصدر سرعة الجزاء لوصفتك ببعض ما فيك من المحاسن التى أنت فيها عريق صريح وغيرك فيها دخيل دعى وأنت لها نسيب قريب وغيرك عنها أجنبى بعيد وبعد فأنا والله معتد للايام بنصيبى منك متحمل لها شكر العارفة فيك منافس فى نعم الله تعالى على بك لا أفتح عينى على أحب منك الى ولا أضم جناحى على أعز منك على ولا أقرألك كتابا الا يمون على ما قبله ويزهدنى فيما بعده

(وكتب)

(الى رئيس دامغان)

انا أغار لما بينى وبينك أيدك الله تعالى من ذل التملق ومن عشق التشوق واقشعر

وأقشر لك عصا العتاب وأتسرع لك بخشونة الجواب اذ كانت الحال بيننا مبنية على أساس الصدق ومصونة بحمد الله تعالى عن شوائب المذق وليس بعد العتاب الا التقدم الى الصلة أو النكوص الى القطيعة وانما هو جسر عن يمينه العتبى والرجعى وعن يساره النوى والشكوى فلا تفتح من التجوز بابا أغلقته يد الوفاء ولا تبح من الحفاظ جانبا حمته قضية الود والاخاء ولا تحتج في الباطل بحجج هي أضعف من قلب العاشق وأوهى من دين المنافق وأرق من أمانة الفاسق واعلم أن كلام من ينصر الباطل لا يولد الا مخدجا ولسانه لا يكون الا مجلجلا وأقصر ما يكون بنانه اذا طال لسانه وأنزر ما تجده عقلا أغزر ما تجده قولا فان الباطل يصغر من حيث يكبر ويقل من حيث يكثر وليس طلاقة اللسان بغير الحق الا أذى للسامع وحجة على القائل وسلاحا لكل جاهل وجناية على كل عاقل وكل قليل سد ثلمة الحاجة فهو كثير وكل كثير وقع دون الكفاية فهو قليل يسير وشبكة المحال أوهى من أن يتشبث بها رجل محق وكيد الباطل أضعف من أن ينفذ في حق وحسب الكاذب بفعله شتما وبقلبه خصما وبالسكوت عنه ذما وقد خرقت فيك حجاب المجامله ولبست لك ثوب المكاشفه فان أدبك ذلك فرد تب الحر العاقل اخوانه ومرآة زمانه وسوط الفرس الجواد عنانه وان أبيت فما أنا باخع نفسي على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا

﴿ وكتب ﴾

﴿ الى خوارزم شاه ﴾

كتبت الى صاحبي بتلك الناحية يعرفني انتشار مالي بها وتمرد شركائي فيها وما كنت أظن بقعة يجوز فيها للامير ختم أو ينفذ له فيها حكم تعلو بها للباطل رايه أو يكون بها للظلم على العدل ولايه ومن العجائب أنا اكتسب الدرهم في بقاع لم أنبت فيها ولم أخرج منها ثم يؤخذ مني في عشي الذي فيه درجت وبيتي الذي منه خرجت وأن أحمله فاقطع به لجج البحار وفيافي القفار ويقتطع على باب الدار هنيا وقد علم الامير أن والدي رحمه الله تعالى

خلف علي مالو خلفه على أهل بلد لكفاهم ولو فرّقه على فقراء الدنيا لاغناهم فما زالت صروف الدهر بخوارزم تقاتلني جهرا وتخاتلني سرا حتى خرجت منها أعرى من حيه بعدما كنت اكسى من بصله وأفقر من الجر بعد ما كنت أغنى من الكعبه وأعطل من الحرم بعدما كنت أحلى من الشمسه قد كسرت كسر الجوز وقشرت قشر اللوز وجرى على في مسقط رأسي ومجمع أسرتي ومقطع سرتي من الغرم الثقيل ما كان من الثقل أثقل ومن الذل الطويل ما كان من الطول أطول ومر على رأسي مالو مر على رأس الشاب لشاب ولو نزل بالحديد لذاب على أني حيثما كنت تاج على خوارزم معقود وشرف لها معدود ومشهد فيها مشهود ومقام من مقاماتها محمود وكل من رآني مدح بلدا كنت من أهله وفدى والدا أنا من نسله وعهدى بمثلي يغنم فصرت اليوم أغنم فسبحان من جعل القصر المشيد بئرا معطله وجعل الغانم غنيمه وصير السالب سليبا وحول الراكب مركبا وأدار الفلك فيما يدل على اضطرابه ويترجم عن خرقه وانقلابه ومثلي أيدك الله تعالى اذا ابتذل استوحش واذا استوحش أوحش ومن وطئ العقرب أوجعته وان أوجعها واسعته وان لذعها ومن فل السيف برأسه انكسر منه أكثر مما كسر وخسر أكثر مما خسر وان من باع قلائل البصيرة بالبيع والشراء ردىء المعرفة بابواب الاخذ والعطاء مستريح مما تعبت له نفوس الكرماء نائم عما لم تزل تسهر له عيون العقلاء والسلام

(وكتب)

(الى أبي سعيد أحمد بن شبيب لما شارف نيسابور)

مرحبا بالقمر الطا * لع في جنح الظلام

مرحبا بالاسد الور * د وبالجيش اللهام

مرحبا بابن شبيب * وأياديه الجسام

مرحبا بالرجل الاو * حد من بين الانام

مرحبا بالكاتب الجز * ل وبالحبر الهمام

قد نجونا منك يا بين فودع بسلام

سبقني أيد الله صاحب الجيش قلبي فلم أملك عنانه وجمح بي خاطري فلم أضبط زمامه فكتبت هذه الابيات وجلني بيد الطرب وعاسكي في قبضة العجب والعجب وخرجت من ربقة الوحشة وهي شبكة الغم والدهشة حتى لاحت لي رايات اللقاء وفاحت روائح الالتقاء وعلمت أني قد رزقت على الدهر دوله وأعطيت على الغم كرّه ووردت البشارة التي جعلتها تاريخ احسان الدهر وغرّة وجه العمر ودرياق القلب والصدر وعلمت أن الله تعالى لم ييسر هذه القدمه ولم ينلني هذه العزمه الا وقد أراد بي خيرا واعتد لي احسانا وبرّا وقدر أن يثلج صدري ويشد بها أزري ويقوّي ظهري وينتصف لي من دهري ويهزم عساكر الزمان عني ويفرّق شمل الحدثان دوني ويرزقني النظر الى وجه من صنعني وخرّجني واصطنعني فجعلت الترسل من نثره وأصبحت شاعرا برواية شعره ووطئت بساط الملوك بعنايته أوّلا وراضعتهم الكاس بجميل نظره ثانيا هذا من دقاق آثاره لديّ ومنسيّ صنائعه اليّ واذا ذكرت قلا من كثر وأشرت بلمحة الى بدر فالآن حين أجرّ ذيل الفرح وأتسربل الجذل والمرح وأرى أهل نيسابور خاصه وأهل المشرق عامّه أن خوارزم بيت الرجال ومعدن الكمال ومنبت الفضل والافضال وأن في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا وأن البقاع متشابهة في الفضل ومتفاوتة بمقادير الاهل ووددت أن صاحب الجيش يركب النجم السيار ويمتطي الفلك الدوّار ويطوي المنازل طيّ الرداء ويصل الغداة بالعشاء بل وددت أن الريح تحمله أو أن البراق تنقله وأن الخضر يصحبه خليلا وسليمان بن داود عليهما السلام يرافقه زميلا ليصغر حجم الانتظار وتقلّ مدّة بعد الدار

ولا أعتد في الدنيا بيوم * يمرّ ولا أراك ولا تراني

وما أنا أيد الله تعالى صاحب الجيش سيف طرير وسنان شهير ولسان على الاعداء مسلول وسلاح على حساد النعمة مصقول اذا ورد أيده الله تعالى

زمت بابه وصعبت ركابه وكنت بوابه وقد أعلمت من سالني عن صاحب الجيش أنه رجل طلع به النجم مره ودار به الفلك فلته وولدته أمه غلطه وسعد به الزمان خلسه فهو في الرجال علم وفي الكمال عالم وفي الزمان وأهله غريبه وبين الدنيا وبنيها يتيمه قد كنت سألت صاحب الجيش حاجة صغرت عن أن تلحظها أجفانه أو يجري بقضائها لسانه ولكن الحاجة على قدر السائل لا على قدر الباذل والهبة تصغر وتكبر في وزان الطالب لا في وزان الواهب والصغير اذا احتيج اليه كبير كما أن الكبير اذا استغنى عنه صغير ولو تبارى أهل الشكر في رهان وجروا نحو الغاية في ميدان لبرزت في الحلبة الاول وكنت فيما بينهم الاغر المحجل

ولو أن للشكر شخصا يبين * اذا ما تأمله الناظر
لصورته لك حتى تراه * فتعلم أني امرؤ شاكر

وصلت الجارية فقبلتها بالطاعه ورددتها بالدالة عليه في الساعه لان فلانا صديق قد ملكها وأنا أكره أن أعاشر رجلا له في داري غلاف وأن تكون عندي مضربة لها غيري لحاف فما أقبح بالحر أن ينادم من شركه في حرمته وسبقه الى باكورته فيجلس فلان على لبد ويجتمع سيفان في غمد

(وكتب)

(الى صاحب جيش خوارزم وورد عليه كتابه يخبر علته يعتذر اليه من ترك العيادة ويتوجع له من العلة)

هذا كتابي أطال الله تعالى بقاء صاحب الجيش عن سلامة الامن الاهتمام لعلته ومن التندم لترك عيادته ومن العتب على الايام الجارية الراكدة الفاتره الظالمة الجائره فيما همت به الكرم وأهله والفضل وشمله والحمد لله تعالى لا على انه حمد مستزيد فيما نابه مستمد بالشكر لما أصابه ولكن اقامة لرسم العبوديه وسلوكا في نهج البشريه وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله خير البريه ورد على كتاب الشيخ صاحب الجيش بعد قرم هزني وتطلع طويل لوروده اقلقني واستفزني وبعد اني حاسبت لتأخره عني نفسي على ذنوبي واستدركت

واستدركت عليها صبوتي وجلت في زوايا جناياتي عليه واسا آتي اليه أنظر بأيتها استحققت أن أطوى في أدراج الجفوه وأجلس على قافية التغير والنبوه اذ كنت أعلم أن صاحب الجيش أعرق في الكلام نفسا وأصدق في الفضل حسا من أن يعاتب وفي الصبر فضله أو يؤاخذ وللاحتمال جهه فلما كاد الكرب أن يستحوذ على خاطرى ويستوعب حساب صدرى وصبرى طلعت على النعمى في أثناء البشرى وانفرجت لي ضبابة التخمين عن نور اليقين ووصلت الى السعاده تكنفها الزياده وفضضت الكتاب الكريم عن كل ما أجذل النفس وسرها وبرد العين وأقرها حتى وصلت منه الى خبر العلة فدارت بي الارض وهي ساكنه وأظلمت على السماء وهي مسفره وضاقت على الدنيا وهي واسعه فقلت قبح الله تعالى الدهر فانه على ذوى الكرم الب وعلى الفضل وأهله حرب وللؤم واللئام حزب وللادب ورهطه عدو معاند وللجهل وذويه ولى معاضد ثم رجعت الى أدب الله تعالى ذكره فوجدت ساحة الصبر أوسع ومطية الدعاء أجل فقلت اللهم ارفع عن مهجة المكارم اذاها وادفع للمجد عن تلك النفس النفيسة والروح الاريحية ما يبيح حماها وتصدق علينا وعليه بهذا الواحد الذى بقاؤه جسر بين دولة الفضل وكرة الجهل وبرزخ بين مد الجود وجزر البخل ثم أنشدت

ما حال من كان له واحد * يمرض عنه ذلك الواحد

وأنا أتوقع كتاب صاحب الجيش بخبر العافيه فان تأخر كنت جنيبه في العلة وان ورد عمرت المساجد صلاه وملأت الفقراء والمساكين زكاه وصمت حتى تعانيني بطني سغبا وقمت حتى تخاصمني رجلاى تعبا وصليت صلاة اماميه وعبدت عبادة علويه ولم أفعل ما فعله ابن نوفل حيث قال في أبي شبرمة

فغزوان حر وأم الوليد * ان الله عافى أبا شبرمه
جزاء لمعروفه عندنا * وما عتق عبدنا وأمه

وسأله جاره عن غزوان وأم الوليد فقال سنوران في الدار فاعتد بعتق

رقيبين وهو يعتق سنورين ولكن أفعل مافعل قيس بن معاذ مجنون بني عامر حيث يقول

انا جهلنا لنا اعتللت ولا * والله ما اعتل الا الظرف والادب

واذا اتصل بي خبر العافية الذي هو عندي عافية الدين والادب والفضل والحسب قلت

وما أخصك في برء بتهنئة * اذا سلمت فكل الناس قد سلموا

اردت أن أركض الى حضرة صاحب الجيش ركضا يتقدم الايغال ويقتل الخيل والبغال حتى اصل السير بالسرى وأجمع بين العصر والاولى حتى أشاهد نعمة الله تعالى عليه وعلينا به في افراقه من علته وا كتسائه ثوب عافيته ثم تطيرت لنفسي من أن أنظر الى ولي نعمتي وبه آثار الصفره والى جسمه وبه بقايا الفتره هذا بعد أن جمعت منتشر أسبابي ووضعت رجلي في ركابي ورفعت عصا السفر وسلمت نفسي الى القضاء والقدر وأنشدت قول الفرزدق

ونعود سيدنا وسيد غيرنا * ليت التشكي كان بالعواد

ثم أتبعته قول ابي الطيب المتنبي

حتى الكواكب أن تعودك من عل * وتعودك الآساد في غاباتها

ولقد جنت الايام على الاحرار جرما عظيما وأتت الى الكرام فعلا ذميما وترجم الدهر بانه لئيم لا يحب كريما جعل الله تعالى هذه العلة آخر علل الكرام وخاتمة جنايات الايام ولا أراني الله بعدها في صاحب الجيش الا ما يضحك منه العلا ويطلق وجه الغنى ولا فجع بسلامته الدين والدنيا

(وكتب)

(الى ابي الحسن المعروف بالبديهي الشاعر زعم يعبث به)

لست أعاتبك عافاك الله تعالى لان العتاب يصلح منك أو يعمل فيك أو لان جهلك جهل يعالج بالعذل أو يداوى داؤه بالقول كلا عافاك الله تعالى جهل الناس عرض وجهلك جسم لا يزول الا بالفعل ولا يقع دواؤه الا من

الكف والنعل ولكنى انما أردت بهذه الرسالة أن تتوجه عليك الحجه وأن تنقطع عنك العلاقة والعله وان كانت تردمنك على عين عمياء وأذن صماء وقلب لا يعرف النقصان الا فى ماله ولا يحس بالالم الا فى جسمه ولا يجد للنقص مسا ولا للعيب وقعا ولقد عققت هذا الكلام بك وضيعته فيك ووجهته منك الى من نزه عنه العتب لغباوته والشتم لحقارته ولو قدر الكلام على عقوبة من صنعه وتوصل الى تضييع من ضيعه لعاقبنى بأن يطيل هجرانى ويكون هذا آخر عهده بلسانى وبنانى فها أنا المظلوم الظالم والمخاصم المخاصم ظلمتنى بلؤمك فظلمت الكلام بلومك وخاصمتك فى جهلك فخاصمنى العقل فى عذلك فيا من جمع على مصيبتين ووضعنى على طريق الظلم من جانبين ويا من أبت العجائب فيه أن تردنى الا من طرق شتى وأن تقع الا منى مثنى وليس محنتى فيك بأعظم من محنة الحق الذى لم تزل تعبث به حتى لو تجسم نفسا السعيت فى ذمتها أو تمثل دارا لجهدت فى هدمها كانك لم تخلق الا لتطمس عين النور وتقلب أعيان الامور فتجعل الضوء ظلمه وتعكس البدعة سنه حتى كانك سوفسطا استخلفك على جحد ما يدرك عيانا ويعرف ايقانا فأنت وارثه فى الباطل وناصر جهله على كل عاقل وحتى كان الله أنزل عليك قرآن ضلاله وبعث اليك رسول جهاله وقال لك خالف الاجماع وأنت على السنه وعاد الصواب وأنت فى الجنه وأوحش الاحرار وأنت أصل الحريه وباين الناس ومنك منبع الانسانيه وانصر اللؤم وأنت الكريم وناقض الحكماء وأنت الحكيم لو علق القبيح بالثريا لصعدت اليه ولو دفن المحال فى تخوم الارض السابعة لغصت عليه الجهل عدوك تحاربه والسداد ضدمن أضدادك لا تقاربه ولا تناسبه فأنت العكس الا انه يمشى على رجلين والجور الا انه ينطق بلسان وشفتين والجهل الا أنه مخاطب والعى الا انه مثاب معاقب لو سئلت عن يحيى بن زكريا لذكرت أنه زنى ولو ذوكرت فى القائم ادعيت انه مضى ولو استخبرت عن ابليس ذكرت انه سجد لآدم ولو نوظرت فى عيسى نفيته عن مريم ولو أنشدت شعر امرئ القيس لنسبته الى الاخشام ولو ذكر

أبو جهل حكمت له بالاسلام ولو استحسن كلام مزبد قلت انه ميت الخواطر فاتر النوادر ولو سمعت خطب أمير المؤمنين على عليه السلام استعبيت بيانه ولو مررت بايوان كسرى استقللت بنيانه ولو رأيت بناء ارم ذات العماد استصغرت شانه ولو أجرى حديث الحسين بن على عليهما السلام صوبت رأى قاتله وعذرت فعل خاذله ولو حكى قول فرعون أنا ربكم الاعلى قلت ما أخطأ ولا تعدى ولو سمى ابن عباس نفيت عنه علم التأويل ونحلته الجهل بمتن التنزيل ولو خوطبت فى التراويح أخذت بابتداعها الشيعه ولو عدّ الاجبار والتشبيه ألزمت دينهما المعتزله ولو أنشدت وبأبيك بالاخبار من لم تزود ما رضيت نظمها ولو أسمعت لايذهب العرف بين الله والناس ما استحليت طعمها ولو حلم الاحنف بن قيس استخففت عقله واستعظمت جهله ولو استفتيت فى فريضة ادعيت فيها اجماع الامة واتفاق الائمه ولو أعيد حديث ذى القرنين واستيلائه على الخافقين احتقرت سعيه ولو تعجب الناس من بناء الهرمين أخذت تذكر انتقاصه ووهنه ولو استبدعوا صنعة الخليل العروض أخذت تزعم أنه ما احدث امرا ولا اقترع بكرا ولو استحسنوا وضع كليلة ودمنة وصفت أن أمثالها غثة وأن حكمها رثه ولو فضل التوحيد أفردت به النصارى ولو عيب الثنوية برأت من عيوبهم مانى ولو غنيت بألحان ابن شريح ومعبد قضيت عليهما بانهما من بابة التوبة والعباده ومن شريطة النسك والزهاده ولو مدحت العافية أسهبت فى ذمها كما لو فضلت السعادة اكثرت فى شتمها ولو شاهدت الهند عبتهم فى ضعف العزيمه كما لو دخلت بلاد الصين لمتهم فى رداءة الصنعه ولو عاينت العرب رميتهم بضيق البيان والنغمه وقلة المعارضة والبديهه ولو قرأت سيرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه زدت فيها سنّ المتعه ولو عثرت بحديث يزيد بن معاوية عددت فى فضائله يوم كربلا والحره ولو قرئ بين يديك القرآن عارضته بنوادر ابى العبر وبكلام يجبب الغلط ولو لحظت السماء قلت ما أسوأ ما دحيت ولو درست أيام الفرس هجوتهم بقلة السياسه وضعف الهدى للعماره ولو خوفت يوم القيامة

القيامة ذكرت انه يوم قصير صغير وأنّ الخطب فيه يسير حقير ولو فوقت في حديث العنقاء حلفت انها باضت وفرخت في بيتك ودرجت في وكرك وأنك طالما سقيتها وأطعمتها وطالما أسرجتها وألجمتها ولو عظم أمر التنين وحكى الخلاف في اثباته بين المصدقين والمكذبين أقسمت انك اصطدته من البحر بشبكتك ورميت به في السحاب بقوتك ولو عددت أنساب العرب شهدت أنّ الشرف في سلول وجرهم وفي عدي وتيم وأنّ هاشما في قريش اذناب كما أنّ دارما في تميم أوشاب غايتك أن تزعم أنّ هشام بن الحكم ناصبي وان أبا الهذيل العلاف نابتي وأنّ أبا بكر الاصم شيعي وأنّ واصل بن عطاء حشوي وأنّ سليمان الاعمش خارجي وأنّ عبد الحميد بن يحيي أمي وأنّ رؤبة بن العجاج اعجمي وأنّ اياس بن معاوية عامي وأنّ معاوية أول من أحيا السنة وأمات البدعه كما أنّ الحجاج أول من سنّ الرحمة ونسخ القسوه وأنّ النابغة الذبياني لم يحسن الاعتذار كما أنّ أبا نواس لم يصف الخمر ولا الخمار وكما أنّ أبا بكر الصنوبري لم ير الانوار ولا الازهار وأنّ طفيلا الغنوي ما ركب كما أنّ اعشى قيس ما شرب وأنّ العفاف هندي كما أنّ السخاء رومي وأنّ الوفاء تركي كما أنّ العقل صقلي وان التشيع شامي كما أنّ النصب كوفي وأنّ التجار أقل خلق الله كذبا كما أنّ الملوك أصغر الناس هما وانه ليس شئ أقل تخالفا وتناقضا من روايات المحدثين ولا كلام اقل سخفا وهجرا من أشعار المناقضين وأنّ ابليس اصاب في تفضيل النار على الطين فلذلك جعل من المنظرين الى يوم الدين وأنّ هاروت وماروت قد أحسنا في عصيان الرب ومواقعة الذنب فلذلك صارا في السحر امامين وللخلق معلمين وأنّ الدين لعبة لاعب كما أنّ التوحيد كذبة كاذب وأنّ الوحي أساطير الاولين وأنّ السنة ارجاف المكلفين وأنّ العالم ركب متن عمياء وأنّ الموحد يخبط خبط عشواء وأنك من بينهم الذي خص بالعلم القديم وأخبر بالنبا العظيم ولو أنك زهير لانفت من أن تقول

وأعلم ما في اليوم والامس قبله ٭ ولكنني عن علم ما في غد عمي

وكذلك لو كنت زيادة بن زيد ما قال

اذا ما انتهى على تناهيت عنده * أطال فاملى أم تناهى فأقصرا

وأنك لو سمعت عليا يقول سلونى قبل أن تفقدونى سألته حتى يقول دعونى فقد أخمتمونى وأنك لو أمدت بك الملائكة ما قالت سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وأن أباك آدم لو أعين بك ما لعب ابليس به ولا أنف من السجود له وأن عمك قابيل لو رآك ما أقدم على أخيه هابيل وأن أمك حواء لو رأتك نشزت على أبيك عشقا لك ورغبة فيك وأن العجم عرب اذا كنت فيهم كما أن العرب عجم اذا بنت عنهم وأن الرياض انما اكتسبت طيب ريح لانها تستمد من نكهتك وأن النجوم انما أعطت ضوءها من ضوء غرتك وأن الخيل ما اختالت فى مشيها الا لانها حملتك وأن الطير انما لحنت أصواتها لانها عشقتك وأن البحار انما ماجت وزخرت هيبة لك وأن الجن انما توحشت وخفيت لانها حسدتك وأن الشمس انما جعلت مبصرة والقمر انما جعل آية ممحوة لان الشمس تواضعت للتأنيث والقمر نازعك فى التذكير وأن عدى بن الرقاع تحول فى هيكلك ونطق على لسانك حيث قال

وعلمت حتى ما أسائل واحدا * عن حرف واحدة لكى أزدادها

وأن هذا البيت معه طفيلى وفيما بين شعره دعى وأنت أحق به وأملك له منه وانك نظرت الى عيب كل ذى صناعة من وراء ستر صفيق حتى عرفت مخاريق المنجمين بكذبهم فى الاحكام وغلطهم فى حوادث الايام وعرفت اختلاف النحويين بتخالف الكوفيين والبصريين وانهم لو أبصروا الرمية خرج السهم سديدا ولو عرفوا الطريقة كان المقصد قريبا وأن الخلاف دليل على ركوب المحال وأن ليس بعد الحق الا الضلال وعرفت ابطال الاطباء بمناقضة الرومى الهندى وتكذيب الفارسى اليونانى وأن عيش البدوى فيما قيس موت الحضرى وأن الذى يموت على أيديهم من المرضى أضعاف من يعيش ويبقى وعرفت تخبط اللغويين باختلاف لغات القبائل وتباين ألسن أهل المياه والمنازل فلغة عدنان غير لغة قحطان ولغة خندف

غير

غير لغة قيس عيلان والعدى يقول ان هذين لساحران والحارثى يقول ان هذان لساحران وعرفت عناد الفلاسفة بادعائهم قدم الطينه وانكارهم ما يعاينونه فى أنفسهم من الدلاله وقلت كيف يعرف غيره من أنكر نفسه وكيف يستنبط الغائب ما لا يرى الحاضر وعرفت جهل المهندسين بجهلهم جذر العشرة وهى أس العدد وأول منازل العقد وقلت كيف يعرف الكثير من لم يعرف القليل وأنى يحكم الفرع من لم يحكم الاصل وكما لا يجهل الواحد من عرف العشره فكذلك لا يجهل العشرة من عرف المائه وعرفت حيرة المحدثين بتناقض رواياتهم واختلاف كلماتهم وأن أحدهم يثبت الرواية ثم ينفيها ويجلد بالكبيرة ثم يرخص فيها ويحل الشئ ثم يحرمه ويصغر الاثم ثم يعظمه وعرفت شك المفسرين بأن أحدهم يسمع قول الله تعالى بلسان عربى مبين وقوله وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ثم يقول استبرق فارسية وسجيل أعجميه وسندس عبرانيه وناشئة الليل سريانيه وان هذان لساحران حارثيه ثم عطفت بعد هذا كله على نفسك فقلت أنا الطبيب الذى لا يموت من شفاه ولا يمرض من داواه والنحوى الذى لا تختلف علتاه ولا تنقض باولى قوله أخراه والمحدث الذى لا تتناقض رواياته ولا يثبت ما نفاه والفيلسوف الذى لا يحمل طبيعة على شريعه ولا يختص بعلم عقل دون علم رياضه والمهندس الذى يعرف الجذر الاصم ويهون العقد الاشد والمنجم الذى قلبه كتابه وعينه اسطرلابه قد سمعنا عواءك أيها الراضى عن نفسه والغضبان على غيره والعاشق لفعله والمبغض لافعال دهره فلا جزاك الله خيرا لا عن الحق عدولك ولا عن الباطل صديقك أما الحق فلانك هدمت مناره وطمست آثاره وأما الباطل فلانك أبرزته فى معرض الفضيحة حتى هتكت أستاره وكشفت عواره ونشرته حتى ظهر مضمره ونصبته حتى ظهر زهوه وانما يقبل الناس من الباطل ما يشبه الحق ويأخذون من الكذب ما يحاكى الصدق فأما الباطل الذى تبصره العين العمياء وتسمعه الاذن الصماء ويستوى فى ابرازه ضحه النور والظلماء فانه ينهى عن نفسه وينذر الابصا

والبصائر بعينه وينادي بنقص من نطق به فيا من لا يقبله الباطل ولا الحق ولا يناسبه الجور ولا العدل الى ماذا أنسبك بعدهما والى أين أذهب بك عنهما رحمك الله تعالى

وهذا دعاء لو سكت كفيته * فاني سألت الله فيك وقد فعل

فلو قسم الله تعالى من الرحمة جزءا الا يتجزأ لما جبلك كما جبلك ولا خذلك كما خذلك واني لاعلم أن دعائي هذا أول خائب وأن سهمي فيه غير صائب ولكني أصانعك به وأسخر منك فيه فأقول رحمك الله تعالى أنا لو سلمت لك أنك انسان نفيت عن نفسي الانسانيه وصححت عليها البهيميه أعلى منك في النقص حكمه وأعظم منك في الجهل طبقه فشر من الجهل نصرة الجهال وأسوأ من الضلالة الاحتجاج للضلال لا ترضى أن تصرف صناعتك ذنبا وقد كنت فيها أصلا ولا بأن تكون تلميذا وقد كنت قديما فيها استاذا تواضع بنا رحمك الله تعالى فان التواضع خلق من أخلاق السلف وشبكة من شباك الشرف وتصدق علينا بشرك فان الله يجزي المتصدقين وأحسن فان الله يحب المحسنين ولا بن اخوانك في فعالك وقولك فلو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولولا اني رحمك الله تعالى لا أقول بالرجعه ولا أذهب مذهب التناسخيه لظننت أن جميع ما انطوى من العالم تحول في هيكلك وانحصرت محاسنهم في شخصك ولظننت أنك يونس بن فروة الذي قيل فيه

أبي ابن فروة يونس وكأنه * في كبره أير الحمار القائم

ما الناس عندك غير نفسك وحدها * فالناس عندك ما خلاك بهائم

فلقد أعجبت بنفسك الخسيسة التي لا تستحق العجب وأحببت منها ما لا يساوي الحب حتى كان كسرى أنوشروان حامل غاشيتك وكان قارون وكيل نفقتك وكان بلقيس ذات العرش العظيم دايتك وكان مريم البتول أمتك وحتى كان ريح عاد هبت من غضبك وحتى كان العود وجميع الملاهي وضعت لطربك وحتى كان المريخ يستقي من صولتك ومضائك وعطارد يستمد من لطفك وذكائك وحتى كان زرقاء اليمامة لم تنظر الا بمقلتك وكان لقمان

لم

لم ينطق بغير حكمتك وكانك بنيت منارة الاسكندرية من آجرّ دارك ووسعت ملعب سليمان عليه السلام من بقايا ملعب صحنك وكانك علمت زيادا السياسه وأفدت عبد الحميد الكتابه ولقنت يحيى بن خالد الفصاحه وألقيت على الحسن البصري المحبه وعلى الحجاج بن يوسف الثقفي الهيبه وحتى كانك زرعت غوطة دمشق وشققت أنهار البصره وهندست كنيسة الرها ووضعت قنطرة سنجه وحتى كان سد ياجوج وماجوج بيديك والامر في خروجهم موكول اليك وليس بين الامة وبين أن ينسفوا زرعهم وضرعهم ويجوسوا برّهم وبحرهم الا لفظة من ألفاظك ولحظة من ألحاظك وحتى كان فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام من فضائلك مسترقه وعجائب بني اسرائيل من عجائب صنعك ملتقطه وغرائبهم من غرائب فعلك مستنبطه وحتى كانك جعلت صخرة موسى عليه السلام عتبة بابك وحتى كان ألحان داود عليه السلام بعض ما يسمع في محرابك وحتى كانك جعلت من مائدة عيسى بن مريم غداءك ومن كبش اسحق عشاءك وحتى كانك أمرت شداد ابن عاد ببناء ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وحتى كان خالد ابن الوليد قاتل تحت رايتك وقتيبة بن مسلم فتح البلاد ببركة دعوتك وحتى كانك وضعت التقويم لآدم بن يحيى وحللت الزيج الاول وعدلت الطبائع الاربع وحتى كانك كشفت لبطليموس الفلك حتى نظر اليه ومثلت لجالينوس تركيب الجسد حتى وقف عليه وحتى كانك أورثت بني أسد العيافه وبني مدلج القيافه وعلمت شقا وسطيحا الكهانه وحتى كانك علمت حاتم بن عبد الله السخاء والسموأل بن عاديا الوفاء وقيس بن زهير المكر والدهاء واياس بن معاوية الفطنة والذكاء وأخذ عنك سيف بن ذي يزن أخذ الثار والادراك بالاوتار وحتى كانك دعوت لبني اسرائيل حتى جعل الله فيهم أنبياء وملوكا وآتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين ثم دعوت عليهم حتى ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله وحتى كان خاتم الخلافة في خنصرك وحساب الدنيا دخلها وخرجها في بنصرك وحتى

كأن الشمس تطلع من جبينك والغمام يندى من يمينك وكأن البحر اذا أمرته ويجزر اذا زجرته وحتى كأن كسرى أنوشروان صاحب نفقة اصطبلك ونمرود بن كنعان قهرمانك على ولدك وأهلك وحتى كأن تكريت محل دارك والدرة اليتيمة أخس حوارك وحتى كأن رستم بن دستان يعجز عن مد قوسك واسفنديار بن كرستاسب ضعف عن حمل سيفك وترسك وحتى كأنك في ملك وملك يصغر بينهما ملك سليمان بن داود عليهما السلام ويقصر معهما قصر غمدان ويضيع فيهما تاج كسرى بن ساسان ويتضع عنهما جبرية فرعون وهامان وحتى كأنك لا أحد أعلم منك فأضربه مثلا ولا أعلى منك فأجعله غاية وأمدا ومن شبهك به فقد رد الوصف اليك ووفره عليك والفرد لا يشبه بغيره والراجح لا يوصف بمن تقاصر عن رجحان قدره واذا أردت أن تعلم أني في ذمتك جاد وفي مدحك لاعب وأني في الشهادة عليك صادق وفي الشهادة لك كاذب فانظر الى تهافت قولي اذ لا ينتك وحاملتك والى اصابتي الغرض وحزي المفصل اذ كاشفتك وصدقتك وذلك أن الصادق معان ومأخوذ بيديه والكاذب مخذول مغضوب عليه وما كان الله تعالى ليوفقني لفصل الخطاب وأنا أجامل من لا يعرف قط اجمالا ولا تجملا وأفاضل من لم يناسب مذ كان افضالا ولا تفضلا والفصول التي قصرتها على مدايحتك وأمنت فيها مس القول لك فانما هي عوذة عوذت بها هذه الرسالة وطلسم حسن صنت بقبحه هذه المقالة فعوذت أحسن الاشياء بأقبح الاشياء وسترت بنقصان المدح كمال الهجاء على اني قد غالطت أسماع الناس وأبصارهم وسحرت بهذا البيان خواطرهم وأفكارهم فهم يحسبون أني أجدت وانما الصدق اجاد ويقدرون أني أحسنت وأصبت وانما قصدي الحق أحسن وأصاب فلو شتمتك بالترهات صارت قوارع ولو نلت من عرضك بنصف لسان وفم كان كلامي قلائد وخير المدح والهجاء ما كان له راو من نفسه وصدق من ذاته

وان أحسن بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

يا غداة

ياغداة الفراق وكتاب الطلاق ياموت الحبيب وطلعة الرقيب يايوم الاربعا
فى آخر صفر وياالقاء الكابوس فى وقت السحر ياخراجا بلا غله ودواء بلا عله
ياأثقل من المكتب على الصبيان ومن كراء الدار على السكان يابغض من لم
ولم ومن لا بعد نعم يابغلة أبى دلامه وحمار طياب وطيلسان ابن حرب
وضرطة وهب ياقدح اللبلاب فى كف المريض ياقطرة الذل الى البغيض
ياكنيف السجن فى الصيف ياشرب الخمر على الماشف ياوجه المستخرج
يوم السبت باافطار الصائم على الخبز البحت ياجشاء من اكل بخليه وفساء
من أكل فنبيطيه ياوكف البيت الشتوى فى كانون وعلى الكانون يافراش
الجرب المبطون ياليل العزبه ووقت العشق والافلاس والغربه ياخجل
الضرطه وجواب الغلطه ياكد المقمور ودهشة المصبور ياأقذر من ذباب
على جعر رطب وياأذل من قراد فى است كلب ياأشأم من دم نبى يا انتن من
بول خصى ياشرب الترنجبين على الريق فى تموز ياعقب التخمة على اثر الحجامة
فى غرفة بغير كوه ياطلعة ملك الموت فى عين الكافر وقد ختم عمره بالكبائر
يادخول الطفيلى بيت المروزى ياانظرة العنين الى البكر وقد عجز عنها
واستشعر مخايل الغضب منها ياقرع الغريم الباب ومعه جريدة الحساب
ياحوض دكاكين الدباغين ومنهج حوانيت القصابين يامغيض ماء الحمام
ياكوز حانوت الحجام ياوجه المانع وقفا المحروم ياشخص الظالم فى عين
المظلوم ياألأم من اللؤم وأشأم من الشؤم وأقل من المعدوم وأوخم
من غم المبرسم المحموم ياغم الدين ووجع العين ويوم البين ياأوحش
من زوال النعمة بعد كفرها وأقبح من ارتجاع الصنيعة بعد شكرها يافم
من أكل السمك فى الشمس ولم يغسل يده وخمار من تقيأ ولم يغسل فمه ياأبرد
من كافورة فى الثلج مدفونة فى يوم شمال قره وفى وقت بكره فى جبل من جبال
ارمينيه ياأثقل من جبل رومى تحت ثلج حولى فوقه عساكر ف
وسطه قوافل لا بل ياأثقل من منادمة طفيلى على الندماء مقترح فى الغداء
والعشاء محرش للساقى قاطع على المغنى يواثب ويزنى لا بل ياأثقل من الحق

عليك وأبغض من الانصاف اليك يا جواب الحجاب وعبوس البواب
يا مهاجرة الصديق يا نظرا الى زوج الام على الريق يا سوء القضاء وجهد البلاء
ودولة الشقاء يا شماتة الاعداء وحسد الاقرباء وطوارق الارض والسماء
وملازمة الغرماء وعربدة الجلساء وخيانة الشركاء وغش الاصدقاء
وملاحظة الثقلاء ومسئلة البخلاء ومحادثة البغضاء ومشاتمة السفهاء
ونصرة الضعفاء وعداوة الامراء ومزاحمة السعداء يا كرب الدواء
يا من لو كان اللؤم يلد كان أباه ولو كان يولد كان أخاه ولو شارك شريكا
ماعداه يا بيع المتاع الكاسد وجوار الجار الحاسد وسماع المغنى البارد
يا مطبوخ الافتيمون وحب الاسطيقون يا ليلة المسافر فى كانون الآخر
على أكاف بأنس تحت مطر وبرد قارس يا من لو نظرت اليه السماء وهى
تمطر أقلعت ولو طلعت الشمس بوجهه ما طلعت يا خيبة من رأى السراب
فظنه شرابا وندامة من نظر الى الخطا فتوهمه صوابا يا من هو دليل على أن
الله تعالى جواد حيث أطعم مثله ورزقه يا من هو حجة الملحد على الموحد فى
قوله الذى أحسن كل شئ خلقه يا من احتماله أصعب من عد الرمل ومن
عدد النمل ومن رأى شعرة سوداء بالليل والصبر عليه أشق من الصعود الى
السماء على سلم من زبد وحبال من شهد والنظر اليه أبشع من النظر الى ذبح
الانبياء عليهم السلام ونبش قبور الشهداء والاولياء جعلت فداء لك من الخير
لا من الشر هذا كله مصانعة لك ورفق بك وذلك لانى شبهتك بأشياء
تنقص فى باب الذم عنك وتأنف والله منك ولقد ظلمتها بك اذ كان قد تفرق
فيها من المعايب ما اجتمع فيك ومن لى بشئ يوازيك وشبيه يضاهيك
ومن أين أجد اللؤم منتظما والقبح مجتمعا والجهل مجتمرا والشؤم
محتفلا والنقص محتشدا فى هيكل واحد وفى شخص ماثل وانما يجد
الواصف ما يسمع وما يرى ويحيل المشبه على ما كان أو يكون فى الورى
قد شبه الله تعالى نوره بنور المصباح والمشكاة والزجاجة وان كانت الثلاثة
قاصرة عنه فى الصفه رحمك الله تعالى دع لليونانية من الحكمة ما تنفق به

سوقهم

سوقهم واترك لبنى العباس من امتلاك ماتغنى به أمورهم وأبق الشمس والقمر من الحسن بقدار ما يطلعان به ويلوحان فيه وهب للريح العاصف والرعد القاصف من الصولة قدر ما يسمع به صوتهما ويصح به اسمهما ونعتهما وارفق بالارض من خطواتك وارحم الجبار من شدة سلطانك وانظر الى النساء من وراء حجاب ومن خلف برقع والاخرجن عن عشقك من ستر الله وقطعن أيديهن وقلن حاش لله فلا تعترض اماء الله لسخط الله ولا تفرق بينهن وبين عباد الله ولا تحمل الحرائر على خشونة الطلاق ولا تذق المماليك مرارة الاعتاق ولا تزد فى شغل الكرام الكاتبين ولا تسود صحف العالمين ولا تشمت ابليس بنا ولا تعطه مراده فينا ولا تمش فى الارض مرحا انك ان تخرق الارض وان تبلغ الجبال طولا لى رحمك الله حوايج فان قضيتها كنت قد تسلفت شكرى ورضاى وان رددتنى عنها فقد رأيت انموذج سخطى وشكواى قد اتفق الناس على ضياع النسخة الاولى من كتاب العين فأمله علينا وأجمعوا على ذهاب قراءة أبى بن كعب وعبد الله بن مسعود فأخرجهما الينا وتخالف الناس فى المهدى وشكوا فى السفيانى وفى الاصفر القحطانى فعرفنا متى يخرجون فانى أعلم أنهم اليك يختلفون وفى أمرك ونهيك مترددون وبمشورتك يغيبون ويحضرون والكيمياء فقد علمت انه أنفقت فيه الاموال وتعب له الرجال ثم لم يحصل لهم منه الا أمانى مسوفه ومواعيد مزخرفه فما عليك لو علمتناه وأغنيت الفقراء وزدت الاغنياء وأرحت الناس من الضرب فى البلاد ومن الكد والاجتهاد ومن أن يخدم الفقير غنيا ويتخذ بعضهم بعضا سخريا والزيج الاكبر فقد انقطع وانقرض أهله وهو من مفاخر الروم علينا ومن محاسنهم دوننا فاعمل فى اصلاحه ولا تدع النصارى يفضلون المسلمين فى ابداعه ومسجد دمشق فهو حسنة يباهى بها أهل المغرب أهل المشرق فابن لنا مثله ولا تثبت علينا فضله فانما هى ساعة من هندستك وجزء تستعمله من أجزاء حكمتك وقد زدت عليه وبنيت ضعفيه وآل أبى طالب قد علمت

أنهم مسلوبون حقهم ومغصوبون ارثهم فتقدم الى غلامك الدهر بأن يرفع
رايتهم ويرد اليهم ولايتهم والفلك قد زعموا انه خرف فاردد شبابه
وأعد عليه من الشبيبة ثيابه وقد سمعت قول ابن عباد من نكد الدنيا منفعة
الاهليلج ومضرة اللوزينج وتجعل فى اللوزينج منفعة الاهليلج فاذا بك
قد جعلت الناقص كاملا وأضمت الى العاجل آجلا وليس يخفى عليك
تطاول العراق بعبد الله بن هلال الهجرى صديق ابليس فأرنا رحمك الله
تعالى من عجائب صنعتك ولطائف فكرتك ما يكسد به سعرهم ويهدم به
فخرهم فان ابليس تلميذ لك تعلم منك وأخذ عنك وشتان بين من يدعى أن
ابليس من اخوانه وبين من يعتقد أنه من غلمانه وهل استنظر ابليس الى
الوقت المعلوم الا ليدرك زمانك ويرى برهانك وهل حسد آدم الا عليك وهل
عاداه الا فيك ولعلك تنكر قولى خرف الفلك ولولا خرفه ما كان القمر سماويا
وأنت أرضى ولا كانت الملائكة روحانية وأنت بشرى ولا كانت السماء
تظل والارض تقل وأنت أكبر منها قدرا وأكرم منها خيرا ولا كانت
الدنيا تنضم عليك وأنت الدنيا ولا كنت عند الناس بعض الورى وأنت
الورى ولا كنا نسميك ونكنيك ذهابا بك وبقدرك عن الاسامى والكنى انى
وفقدك فلا شئ أعز على منه ولا أحسن منه ما سمعت قول على بن جبلة فى أبى
دلف

انما الدنيا أبو دلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

الا غضبت عنك عليه واعتقدت أنه سرق صنعتك وأعار أبا دلف مدحتك
ولا سمعت قوله

انما الدنيا حميد * وأياديه الجسام
فاذا ولى حميد * فعلى الدنيا السلام

ألا تمنيت لو عرفت قبره فرجمته أو عرفت بيته فهدمته ولا سمعت قول ليلى

فتى كان أحيى من فتاة حيية * وأشجع من ليث بخفان خادر

الا

الا قلت فكيف لو رأت ليلى اتانا فتعلم أين دعواها من دعوانا ولا أنشدت قول ابن ابى السعلاء فى الرشيد

أغيثا تحمل الناقة أم تحمل هرونا

ام الشمس أم البدر * ام الدنيا ام الدينا

ألا رجعت عما قطع عليك طريق استحقاقك ومدح غيرك بمحاسن أخلاقك وأما قول الطائى

تسود أقوام وليسوا بسادة * بل السيد المقدام سلم بن نوفل

فلا شك أن الشيطان تكلم به على لسانه حتى أبرز وصفك فى غير أوانه ولو رآك علم أن سلم بن نوفل لا يسود وأنت حى وأما قول زهير

لو كنت من شئ سوى بشر * كنت المنور ليلة القدر

فانى والله أعجب منه كيف قاله فى غيرك ولم ترمه جهنم بشرارها ولم ترجمه الملائكة باحجارها وأعجب منه قول من قال فى معن بن زائدة

سمحت معد وجه من سابقا * لما جرى وجرى ذووا الاحساب

كيف يسبق غيرك فى حلبة أنت فى عدادها وكيف يكون غيرك سابق جيادها أنت رحمك الله تعالى من أيدى هؤلاء الشعراء الكذابين مرحوم وفيما بينهم مظلوم سلبوك علاك وهى حلالك وخلوها قوماسواك والمدح الكاذب ذم والبناء على غير أساس هدم والكلام يرجع الى مظنته والمدح ينصب الى قرارته كما قال أبو الطيب المتنبى

واذا الفتى طرح الكلام معرضا * فى مجلس أخذ الكلام اللذ عنى

وكفاك بفضلك مادحا لك وحسبك بانفرادك مقارعا دونك هذه رحمك الله هدية أهديتها اليك بل هدية من العرائس جلوتها عليك ومامهرها الا فقدك ولا ثمنها الا بعدك فاذا وهبتها فقد وفيت المهر وأرضيت العروس والصهر فسبحان من أرانيك ولك صهر مثلى وأنت ختن لى وعهدى بالناس يخطبون الكرائم بالكرم ويطلبونها بحسن الاخلاق والشيم وأنت خطبت هذه الكريمة بلؤم نجرك وصغر قدرك وعهدى بهم يحملون المهور فى أموالهم وأنت

جعلت مهر هذه مني عرضك الخلق اللبيس الممزق وأعجب ما فيها أنك اذا طلقتها لم تطلقك واذا أطلقتها من حبالك لم تطلقك نفذها مبارك الله فيها فبئست العروس وزوجها شر منها

﴿ وكتب ﴾

(في نكبة نيسابور وواليها حسام الدولة أبي بكر بن عبدوس بعض عدول نيسابور)

وصلت الرسالة التي كل الرسائل دونها في الكتبه كما أن كل كاتب دون كاتبها في الرتبه ووافقت مني قلبا معمورا بل خرابا بالهم وجسما معضلا بل مكدودا بالسقم فشفت القلب حتى نسي همه والجسم حتى طلق سقمه واذا صدرت الموعظة من قلب سليم ولسان حكيم وردت على أذن واعيه وعين كالئه واذا عرف الطبيب الداء عرف الدواء ولئن كانت الايام سلبتني من المال علقا خطيرا لقد أبقت لي منك عوضا كبيرا ولئن كانت صادرتني على ثوب يبلى ودرهم يسلى لقد وهبت لي من مودتك ما لا يبلى اذا استعمل ولا يصدأ اذا أهمل ولا يفنى اذا ابذل ولا يخلق اذا ابتذل على أني قد تعودت ضربات الزمان حتى صارت لا توجعني وألفت صواعقه ورواعده حتى صارت وان قربت مني لا تسمعني ونكبت حتى ما أبكي لنكبه وفرحت حتى ما أضحك لفرحه ولقد

رماني الدهر بالارزاء حتى * فؤادي في غشاء من نبال
فصرت اذا أصابتني سهام * تكسرت النصال على النصال

فها أنا الجريح المقطع والفود المرقع والغرض الذي رمي حتى دمي وضرب حتى نقب وأصابته السهام حتى لا يتوجع لها ولا يحس بها وطالما أرادت الايام أن تحركني فوجدت بحمد الله صفحة راجحه ونفسا متماسكه وقلبا لا تقلبه السراء ولا الضراء ولا يغيره الدواء ولا الداء ولقد أقبلت الايام علي فما استقبلتها فرحا ومرحا وأدبرت عني فما شيعتها جزعا ولا هلعا ولبست لكل حال لبوسا اما نعيما واما بوسا ومما أحمد الله تعالى عليه ان

- أنّ هذه الواقعة لم تثلم قدري وان كانت ثلت وفري ولا حلّت عقد صبري وعزائي وان كانت حلت عقد ملكي وثرائي واني أصبحت يوم اجتماع جيشها علي وزحوف عساكرها الي والوجه طلق واللسان ذرب ذلق واللون مضيء مشرق والقلب متماسك متمالك ومدد الصبر متقاطر متدارك لم ألاحظ الفائت بعين تدمع ولم أقابل النازل بنفس تهلع ولا عثر لساني ولا قلبي في ميدان كلام ولا قصر همي ولا همتي عن غرض في مرام ذكرت أيدك الله سلفي رحمهم الله تعالى وانك بقيتي منهم ومذكري بهم ومسلي قلبي عنهم وصديق الوالد والد وان لم يلد وترب الولد ولد وان لم يولد ومن صادق أخا ولم يصادق أباه فانما أخذه أبتر الذنب مجهول الاصل والنسب ومن صادقه قبله سلفه فقد ضم على الحبل يديه من كلا طرفيه وعرف صديقه من جانبيه رحم الله تعالى أولئك القوم الذين

ورثت سيوفهم وبقيت فردا * وما نفع السيوف بلا رجال

فلقد فجعت منهم بخير سلف وورثتهم خير خلف أطال الله تعالى بقاءك على حالة أرضاها لك وأرضاك فيها ولا أستزيدك عليها وهذا الدعاء محال فاني لو رأيتك امتطيت السماكين وانتعلت الفرقدين وملكت الخافقين واستعبدت الثقلين وتناولت الشمس والقمر بيدين ووطئت الفلك برجلين ما بلغت ما أريد وكنت أستزيد وأستعيد

(وكتب)

(الى أبي الحسن بن عبد العزيز قاضي جرجان وقد خرج منها)

فان ألك قد ودعت نجدا وأهله * فما عهد نجد عندنا بذميم

جميع ما حصل لي بهذا الحضرة من تنزيل وأنزال ومن اقبال علي واقبال ومن قول جميل وفعال فانما فعل بي واتفق لي لاحسان الوزير كان الي وتوفره كان علي وبذله لي الرغائب التي لا تسمح بها الانفس مثله ولا تزل الاعن مثل يده فهو الذي قومني قيمة صارت لي بين الملوك قيمة عدل وقضى لي بشهادة أصبحت في العباد والبلاد قضاء فصل ونظر الي أهل هذه الحضرة

بعينه ووزنوني بمثل وزنه ووضعوني في الكفة التي وضعني فيها وأهلوني للمرتبة التي أهلني لها وعلموا انه الحاكم الذي لا تنقض حكومته والشاهد الذي لا تجرح شهادته والرجل الذي لا خيار مع قوله ولا نظر مع أمره ولا خلاف عليه ولا رجوع الا اليه وانه لا يشترى من المتاع الا ما يخرج من نار الاختبار صريحا صحيحا ولا يرضى من القداح الا ما يخرج من كف الجميل معلى لا منيحا فضربوا على سبيكته وسلكوا طريقته ونسجوا على منواله وحذوا على مثاله فوصل الى نواله وان كان لم يصل الى ماله ووصل الى بره وان لم يخرج به أمره وشيعتني بركات حضرته بعيدا عنها كما كانت تستقبلني وتكنفني قريبا منها فكل جميل أطرفته منسوب اليه وكل خير رزقته فمن آثار لسانه ويديه

ان تبوأت غير دنياي دارا * وأتاني نيل فأنت المنيل

وانما الملوك شعراء يتناقضون فعلا لا قولا وفرسان يتسابقون أنفسا لا خيلا فالحمد لله الذي جعلني أفارق تلك الحضرة فلا تفارقني عوائد فضلها ولا يحسر عني نصيبي من ظلها واياه أسأل أن يطيل بقاء الوزير على حالة أرضاها له فوالله ما أرضى له الارض خطه ولا السماء ظله ولا الدنيا خزانه ولا الشمس طلعه ولا الدهر خادما ولا الفلك حاجبا ولا السعد رسولا ولا السيف قلما وأن يحرس على الدين جماله ويبلغه في الدارين آماله

﴿ وكتب ﴾

* (الى بعض أصدقائه) *

كتابي وقد كنت أحب أن ينظر سيدي الى وقد لبست جمال هذه الدولة وتشرّبت حالي ماء هذه الحضرة ورفعت طرفا طالما غضضته وبسطت باعا طالما قبضته فيعلم سيدي أن غراسه قد أثمر ومراده قد تيسر وأن علاجه حالي قد هزم الداء وجلب الشفاء بعد ما أعيا الاطباء وغلب الدواء فان فرح الطبيب بعافية المريض أشد من فرح كل أخ قريب وكل حميم وحبيب الآن حين انقطعت عن الملوك وأبوابهم فقد كان لي عذر في ورود النهر قبل

ورود

ورود البحر وفى الاجتزاء بالتيمم قبل وجود الماء الطهر وعهد سيدى بى وأنا أرتاد غير أرضى وأرتع فى غير روضى وأطلب الرزق خارجا من دارى فالآن قد نزعنا تلك الثياب وأغلقنا ذلك الباب ونسخنا ذلك الكتاب

وكنت زبيريا فأصبحت شيعة * لمروان وارتد الهوى لابن جعدل

هذا وقد اشتال على من انديبهذه الحضرة ما ترك بيانى حسيرا ولسانى قصيرا والنعمة اذا زادت على الوظيفة سكنه والسرور اذا أفرط مقطعة ومسكته والناطق اذا تحير أبكم والشاعر اذا خرج عن مقدار استحقاقه مفحم فلا زال السيد يبتدع برا ويقصد بقوله وفعله خيرا ويكفيه شرا وينصره الله تعالى على دهره فانه لئيم ظفره قبيح فى الأحرار أثره

(وكتب)

(بعد محنته ورجوعه الى خراسان الى كاتب خوارزمشاه وقد نكب)

كتابى وأنا بين محنة قد أدبرت ونعمة قد أقبلت وولى قد ملك وعدو قد هلك والحمد لله الذى ابتلى ثم أبلى فأنعم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الأكرمين وورد كتابك واستأقول غمنى وأهمنى بل أقول أعمانى وأصمنى تذكر أنك امتحنت وأنت برىء ونكبت وأنت محسن لا مسىء وأى ذنب أعظم من أن تشكر بالفضل أهل النقص وأى جرم أشنع من أن تنزل بالفهم فيما بين طبقات أهل الجهل وما للطائر الكبير والقفص الصغير وما بال الدرة اليتيمه ترضى بالصدفة اللئيمه وانما الأدب جناح فهلا طرت به من الوكر الصغير الى الوكر الكبير وهلا اذ كانت آلتك اتجعت بها مكانا تكمل فيه حالتك وما نزلت بك هذه النازلة الا ليقلعك بها السعد من يد النحس من تلك البقعة الناقصة أهلا المنبتة جهلا فأبشر ولا تتهم الله تعالى فى مصالح خلقه ولا تقنط من رزقه فانه انما ير تاب المبطلو ولا يأس من روح الله الا القوم الكافرون واياك أن تفل هذه الحادثة غربك أو تكسر حدك أو تضرع خدك أو تثلم ركنك أو تسىء بالله تعالى ظنك فانما كانت صاعقة أحرقت ثوبك ومست بعضك وسلم الله وله الحمد منها

روحك وصان فيها السانك وقلبك وورا لك الدهر الطويل وخلفك صنع الله الجميل ووعده بجميل صنعه كفيل وقد خرجت الى الدهر من نوبة العسر فهو غريمك الآن في اليسر واذا رأى جلادتك على وقع سهامه وصلابتك على تصريف أيامه جاءك معتذرا وهرب اليك مستترا وأسا بالمينى ما جرح باليسرى ووزن عليك بالسنجة الكبرى ما اتزن منك بالسنجة الصغرى فانتظر الفرج فانه منتظر واصبر فان الدهر لا يصبر

﴿ وكتب ﴾

(الى أبي محمد عبد الرحمن بن أحمد من نيسابور)

كتبت الى الشيخ من داره التي طالما تصرفت بها على أمره ونهيه وتقلبت فيها بين افضاله وفضله وحالي ببركته تعلقني بذيل الدولة السامية وانتمائي الى الحضرة العالية عن يمنى السلامة وعن يسارى العافية ولا تزال كتبي ترد على الشيخ بكلام ان لم تكن في أدنى طبقات الجودة كانت في أولى طبقات الرداءة وانما يروى الناس أحد الكلامين ويتمسكون في الرواية بأحد الطرفين فاما احسن جيد معجب واما ردي معجب ولقد أولاني الشيخ من الصنع العميم ومن الاحسان الحادث والقديم ما تركني أهذي بمدحه وأحتلم بوجهه وأتصبح باسمه وأتفاءل بذكره وأحتلب ضرع الشعر بذكر بره وان أستعين على شكر تلك النعمه ولا أمسك بيدي طرف تلك الخدمه بمثل الاعتراف بالتقصير عن الواجب والقصور عن أداء المواجب وانما النعمة مطية شرود ولن ترتبط بمثل الشكر ولن تنفر بمثل الكفر وانما الشيخ أب بر وأهل الادب أبناؤه وسمسار كبير وطبقات أهل العلم والفضل حرفاؤه فمن أحسن الى أحدهم فانما أحسن اليه وأفضل عليه واستحق المكافأة من لسانه ويديه وليشكر عنا أهل الصنعة اذا أحسن بنا وليعلم أنه قد حصل له ما حصل لنا وقد أحسن الى فلان في كذا والشيخ هو الذي مهد لي عنده موضعي وسهل لي مسلكي ووطأ لي في تلك الحضرة لسانا وأقام لي بها ميزانا لا زال الشيخ را كبا كاهل الدهر محكما في الخير والشر تخدمه الانام بل الايام

وتزجوه الكرام كما تخافه اللئام وتعشقه السلامة والسلام

﴿ وكتب ﴾

* (الى ابي منصور كثير بن أحمد) *

كتبت الى الشيخ من داره التي ما بغضها على الا بعده عنها وخلوها منه وقد كثرت كتبي اليه كثرة نعمه علي وتواترت تواتر أياديه الي وعهدي بتفضل الشيخ يسلك طريق الابتداء والطريق محرم فكيف صار الآن لا يسلك طريق المكافأة والطريق معبد قد سمع الشيخ أخباري بالحضرة وأني اكتلت بالصاع الاوفى واتزنت بالسنجة الكبرى ضعف ما كنت وزنت بالسنجة الصغرى واسترجعت باليمنى ما كنت أعطيت باليسرى وفلان قد وصلت الي بركاته سالي به وأنا في غير حضرته وأخذت ماله وان لم يخرج من خزانته وأستغفر الله من حطي الدنيا كلها حضرته والناس بأجمعهم رعيته والملوك بأسرهم شيعته والاحرار عياله وحاشيته فأما أعداؤه فمحرومون من ألم الحسد ومقتولون بسيف الغم والكمد سكوته أفصح من كلامهم ومنعه أندى من نوالهم وحجابه أحلى من لقائهم وعبوسه أحسن من ابتسامهم وغضبه أنفع من رضاهم ويسراه أسد من يمناهم وبخله أفضل من عطاياهم

* (وكتب) *

* (الى أبي القاسم المزني وقد صالح أخاه) *

كتابي واثنا الشيخ باز عتيق كان طارعن أهله وفرع عميم كان انقطع من أصله فردته أيام السعادة الى بيته وضمت اتفاقات الاقبال بعضه الى بعضه ونعم المعلم الدوله ونعم الدليل السعد والسعاده وأنا أعرف الشيخ معرفة يقين وغيري يعرفه معرفة ظن وأنظر اليه بعينين وسواي ينظر اليه بعين والرجال كثير ولكنهم قليل والدهر بأشخاصهم جواد وبحقائقهم بخيل وقد كنت أحسب أني اذا هربت من نعمته علي وانهزمت من عساكر احسانه الي خففت رقبتي من طوق صنائعه وخلت يدي من بعض ودائعه وتنفست الى الفراغ مدة

واسترحت من نوازل الاعباء وتناسق النعماء ولو ساعة واحده فاذا نعمته لى بمرصد حيث كنت وعلى مدرجتى اينما قطنت أو ظعنت أهرب منها وتتبعنى وأرحل عنها وتشيعنى فمنها الطلب ومنى الهرب فلا عدمتها طالبا ولا زلت منها هاربا ولا زال الشيخ يستقبل باحسانه كل نازل ويشيع به كل راحل وأطال الله بقاءه على حالة ترضينى له وفيه فوالله ما أرضى له الا بالرضى ولا أنزل فيها لا وراء الغاية القصوى ولا أستعظم له ملك الدنيا ولا ملك الورى ولا تزال كتب الشيخ ترد بما يحيي ميت مالى بل ميت آمالى وتطرى خلق حالى وترد الماء فيما نضب من جمالى ولسان العناية ناطق ووسم الاحسان على الاحوال لائح وطريق الجميل نهج واضح وللشيخ صنائع أرجو أن لا أكون أعياهم لسانا ولا أقصرهم بالشكر بيانا ولا أسوأهم لنعمته جوارا ولا أقلهم باعبائها نهوضا ومن كبر الانسان كبر شكره ومن شرف الكلام شرف من رواه ونشره وانما السيد بطاعة عشيرته والامير بصلاح رعيته والممدوح بالسنة شيعته

(وكتب) (رحمه الله)

طالت محنة فلان حتى كان حبسه الابد الذى ليس له أمد وكان عطبه يوم القيامة الذى ليس له غد وانى أكره للسيد أن يكون زحلى حظوة العفو جمادى حركة الصفح لا ينحل عقده ولا تتجافى عن فريسته يده فان ذلك يقوى عزم عدوه على مقارعته ويثلم رجاء وليه لمراجعته ولعمرى ان الاسير لكبير وأكبر من الاسير من أسره ثم أعتقه وأشجع من الاسد من قيده ثم أطلقه

(وكتب ايضا)

تركى مكاتبة الشيخ وهى معترضة لى غم وحسره واقدامى عليها قبل استطلاع رأيه فيها خرق وعجله ولما اكتنفنى الحالان سلكت طريقة بينهما متوسطة

لهما

ايهما فاقتصرت من الكتاب على الرقعه ومن التفصيل على الجمله فان أكن قد أحسنت فالقليل من الاحسان يقبل وان أكن أسأت فالقليل من الاساءة أمثل موصل الرقعة فلان وهو تام فى آلته ناقص فى حالته جديد ثوب الجمال خلق ثوب الحال خال من الادب عاطل من النشب وسبيله أن يوزن فى كفة كماله لا فى كفة حاله

(وكتب ايضاً)

تأخر كتابك ياسيدى فطرق لسوء الظن طريقا الى وفائك وفتح للتهمة بابا الى اخائك وانى لاكره الود يصرمه التلاقى ويخربه التنائى وأبغض الصديق يضع مقاليد البغض والحب فى يدى البعد والقرب وأنا الذى أصاب عهدك بعينه وأفسدك بحسن ظنه ويا عجبا للدهر كيف فطن لمحلك من قلبى وكيف اطلع على غيبى ومازال الدهر يقرطس سهمه فى كل شئ أحببته ويعارضنى فى طريق كل مراد طلبته حتى لو أحببت الموت لابقانى ولو أردت الحرمان لاعطانى ولو آثرت الفقر لاغنانى ولو عاديت الباطل لوالاه وعادانى ولقد

عجبت للدهر فى تصرفه * وكل أفعال دهرنا عجب
يباين الدهر كل ذى أدب * كانما نالت أمه الادب

(وكتب)

(الى أبى القاسم الحسن بن على)

انقطع كتابى عن الشيخ لتصاريف الاحوال اليه وتكون الاسفار والاطوار عليه لانه كان مشغولا بكتائب الاعداء عن كتب الاولياء وبمقارعة الامراء عن مطالعة الادباء (والسيف أصدق انباء من الكتب) فلا جرم انه قد أسفرت آماله عن المساعى الغر وعن الآثار الزهر وعن الفتح والنصر فافترع مملكة طالما خطبت فانكحت وطلبت فاوجدت

بكر فما افترعتها كف حادثة * ولا ترقت اليها همة النوب
وبرزة الوجه قد أعيت رياضتها * كسرى وصدت صدودا عن أبى كرب

وعلى قدر الهمة تكون مقادير الآثار وفي دون القيمة يكون افتراع الابكار وشتان بين من افتض عذارى الجوارى وبين من افتض عذارى النواحى لابل شتان بين من صارع مملوكه تحت اللحاف وبين من صارع مملكة تحت الرماح والاسياف لابل شتان بين من أفعاله ثنية وطريقه مسلوكة قد سبق اليها وشورك فيها وبين من

ترفع عن عون المكارم قدره * فما يفعل الفعلات الاعذاريا

والشيخ ادام الله عزه على قضية فعله وشريطة فضله ذو الكفاية للسبق في الحلبتين والتحلي بالحليتين فهو فارس القلم واللسان ثم ربه السيف والسنان

قد كان يوم ندى بجودك باهرا * حتى أضفت اليه يوم ضراب

وبديهة أنت ابتدأت طريقها * لولاك لم تكتب على الكتاب

والحمد لله تعالى الذى ألحق زماننا بالازمان وان فضل الزمان راجع الى فضل أهل الزمان وعلى مقادير الايام تكون محاسن الانام وان ذكر أهل العراق في رجالهم الفضل بن سهل ذا الرياستين وعلي بن أبي سعيد ذا القلمين واسحق بن كنداج ذا السيفين وصاعد بن مخلد ذا الوزارتين وقبلهم طاهر بن الحسين ذا اليمنين ذكرنا ذا الكفايتين وزدنا عليهم للواحد اثنين لان أولئك انما ضربوا بأسيافهم والدنيا شابه والخلافة مقبله والايام مساعده والسعود قائمه والنحوس نائمه ونحن دفعنا الى زمان هرمت فيه الدوله وفترت الدعوه وكسدت السلعه وبطلت الصنعه وضاقت المملكه وكل القلم وقل الدينار والدرهم وأنشدنا

أتى الزمان بنوه في شبيبته * فسرهم وأتيناه على الهرم

وانما الناس بالاحسان والاحسان بالسلطان والسلطان بالزمان والزمان بالامكان والامكان على قدر المكان

وأنت عبيد الله أكبر همة * وأكرم من فضل ويحيى وخالد

أولئك جادوا والزمان مساعد * وقد جاد ذا والدهر غير مساعد

هناه

هنأه الله تعالى بما أولاه وبارك له فيما أعطاه وأراه فى أولاه وأخراه وفيمن والاه وعاداه ما يريد ويهواه وآتاه مما يسمعه ويراه ما يقترحه ويتمناه وأرانى فيه ما يرضاه وأرضاه حتى أرى الدهر وهو عبده ومولاه والسيف يتبع مراده وهواه والاقبال وهو يسلك طريق خطاه والموت وهو سلاحه ويداه يفنى من أفناه ويبقى من أبقاه ويرى فى الآمال والآجال ما يراه وأطال بقاءه وجعلنى فداه

هذا وقد تناهى طبع هذه الرسائل التى لم يبلغ شأوها فى الفصاحة سحبان وائل بل هو عندها ادنى من باقل ولو ظهرت فى ايامه لمد اليها كف مستمد سائل ولو كانت فى عصر قس بن ساعدة الايادى لكان لها عليه جميل الايادى فلعمرى انها نسخت ما تركت الاوائل كلمة لقائل وأحكمت كم ترك الاول للآخر والماضى للغابر فليكن الاديب لها نعم الآخذ وليعض عليها بالنواجذ فانه يبلغ بها فى صناعته أشده وتكون له فى الانشاء أوفر عده وكان طبعها على هذا الوجه الحسن وتمثيلها فى هذا القالب المستحسن بدار الطباعة المصريه الكائنة ببولاق مصر المعزيه تعلق المستعين بمولاه فيما يعيد ويبدى عبد الرحمن بيك رشدى على ذمة حضرة محمد على بيك جراح باشى بالديار المصريه وحضرة حسن أفندى توفيق ناظر قلم التحريرات بديوان الماليه وحضرة السيد صالح مجدى افندى مترجم الكتب العسكريه لازالوا محوظين بعين العناية الربانيه وكان تصحيحها حسب الامكان بمعرفة الفقير الى رحمة الرحيم الرحمن المتوسل الى ربه بالجاه النبوى محمد قطة العدوى باشمصحح المطبعة المذكوره يسر الله له فى الدارين أموره وقد وافق انتهاء طبعها وتمام تمثيلها ووضعها أوائل ذى الحجة الذى هو فى هذا العام لشهور سنة ١٢٧٩ تسع وسبعين وماتين والف من الهجرة ختام فالحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات والشكر له على مدى

الاوقات وصلى الله وسلم على
الكائنات وعلى
آله وأصحابه ذوى
الكرامات
ما لاح بدر تمام
وفاح مسك
ختام